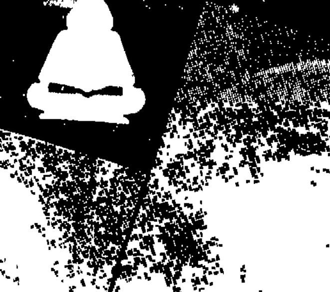
مركز وثائق
وتاريخ مصر المعاصر

ندوة
ثورة يوليو
والعالم العربى

الهيئة المصرية العامة للكتاب



ندوة
ثورة يوليو
والعالم العربى

إعداد وتقديم

د . عبد العظيم رمضان



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٣

تقديم

منذ الفتح العثمانى لمصر فى عام ١٥١٧ ، لم تتمتع مصر باستقلالها وإرادتها الحرة المستقلة فى صنع القرار السياسى الا فى عهدين : الأول ، عهد محمد على ، والثانى ، عهد ثورة يوليو ١٩٥٢ • وفى كل مرة من هاتين المرتين كانت مصر تخرج من دائرة اهتماماتها الخاصة المصرية البحتة الى دائرة اهتماماتها العربية ، وكان هذا الخروج يثير اهتمام العالم الغربى كله ، ويحركه لمواجهة هذا الخطر ـ خطر قيام دولة عربية كبرى فى المنطقة ـ فمصدر الأوامر لأساطيله ، واذا بمصر قد انتقلت الى الحلبة العالمية •

العالم العربى ـ اذن ـ هو باب مصر الى الحلبة العالمية ، وبدون العالم العربى تبقى مصر محصورة داخل ظروفها المحلية • ومن هنا فعلى كل المصريين الذين يريدون أن تنكفىء مصر على شئونها الخاصة ، وأن تنصرف عن الشئون العربية ، أن يعلموا أن الشئون العربية هى فى المقام الأول شئون مصرية •

وهذه الحقيقة لم تخترعها ثورة يوليو ، وانما اخترعها الشعب المصرى ، ودفعته اليها مصالحه المصرية الصميمة ، فهى حقيقة تتعلق بالأمن القومى لهذا البلد الذى لا يمكن أن يتسامح فيه أى عهد من العهود وأى عصر من العصور الا اذا كان رغم أنفه •

ففى يوم ٢٤ يولية ١٩٣٧ ، ولم يكن قد انقضى عام على ابرام معاهدة ١٩٣٦ ، حتى كان مصطفى النحاس يعرب عن قلقه للسفير البريطانى لامبسون بسبب مشروع تقسيم فلسطين ، ويقول له : « انه لا يستطيع أن يحس بالاطمئنان وهو يفكر فى قيام دولة يهودية على حدود مصر ، اذ ما الذى يمنع اليهود من أن يدعو لهم حتى حقا فى سيناء فيما بعد ؟ » • وبعد أسبوعين كان يقف فى مجلس الشيوخ ليعلن عرض مصر على « توطيد صلات الود والاخاء وتبادل المنافع التى تربط بين مصر والشعوب العربية » • بل ان أول مجال مارست فيه مصر استقلالها الخارجى فى ذلك الحين كان قضية فلسطين ، اذ وقف وزير الخارجية الوفدى واصف بطرس غالى باشا فى عصبة الأمم معارضا مشروع التقسيم ، وقالت جريدة « جورنال دى

ناسيون » : ان مصر وضعت بهذا الخطاب عطفها على العرب فوق صداقتها لحليفتهـا انجلترا صاحبـة مشروع التقسيم · ووقف مكرم عبيد فى عام ١٩٣٩ يتحدث عن الوحدة العربية ويقول : انها حقيقة قائمة ، هى موجودة، ولكنها فى حاجة الى تنظيم ، والغرض من التنظيم ايجاد جبهـة تنـاهض الاستعمار ، وتحفظ القوميات ، وتنمى الموارد الاقتصادية وتشجع الانتاج المحلى ، وتزيد فى تبادل المنافع « وتنبأ بأن العرب سوف يئول أمرهم الى أن يصيروا » كتلة واحدة ، وتصبح أوطاننا جامعة وطنية واحدة ، أو وطنا كبيرا يتفرع منه عدة أوطان » ·

اهتمامات مصر ــ اذن ــ بالعالم العربى هى اهتمامات مصرية بالدرجة الأولى ، والشئون العربية ــ اذن ــ هى شئون مصرية ، ولا يجب أن يكون هناك مجال للشك فى ذلك ، وهى تنبع من الشعور الوطنى المصرى قبل أن تنبع من الشعور القومى العربى ·

ومن هنا لم يكن غريبا قبل ثورة يوليو أن تلعب مصر الدور الرئيسى فى تأسيس جامعة الدول العربية ، وأن تكون القاهرة مقر هذه الجامعة ، وأن يـكون أول بروتوكول فى تـأسيس هذه الجامعـة هو بروتـوكول الاسكندرية فى ٧ أكتوبر ١٩٤٤ ، وأن يوقع ميثاق الجامعة العربية فى قصر الزعفران بالقاهرة يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ ·

ولا يعيب نشأة جامعة الدول العربية أن كان لانجلترا دور فى انشائها، وأن تكون هى التى أضاءت النور الأخضر لقيامها بتصريح وزير الخارجية البريطانية فى مانشون هاوس يوم ٢٩ مايو ١٩٤١ ، لما كانت تتصوره من امكان استخدام هذه الجامعـة بحكوماتها المحافظة فى السيطرة على الثورات الوطنية بعد الحرب ، والتصدى للخطر الشيوعى ــ نعم ، لا يعيب نشأة جامعة الدول العربية أن يكون لانجلترا هذا الدور ، فقد كان لمن أبرموا ميثاق الجامعـة أسبابهم الأخرى التى تتصل بالمصلحـة العربية الخالصة ! هذا ما يصوره هذا الحديث الخطير بين مناضل فلسطينى هو محمد على الطاهر صاحب جريدة الشورى ، وجريدة الشباب ، وبين الدكتور محمد صلاح الدين ، وكيل وزارة الخارجية فى حكومة الوفد التى أبرمت بروتوكول الاسكندرية · فعندما أبدى محمد على الطاهر للدكتور صلاح الدين تشككه فى الانجليز ، واستريابه فى السياسة البريطانية ، رد الدكتور محمد صلاح الدين قائلا : « ان الحكومة المصرية وجدت اعترافا انجليزيا ، فهى تريد أن تأخذه على منطوقه ، وتقوم بالمشروع فعلا ، بدون أن تقيم وزنا لنوايا الحكومة البريطانية » ·

وعندما قال له محمد على الطاهر : « ان شعوب العالم العربى لاتثق بحكوماتها القائمة ، فكلها مؤلفة على هوى الانجليز وباشرافهم وتدريبهم ما عدا الحكومتين السعودية واليمنية » ـ قال محمد صلاح الدين :

« نحن أمامنا حكومات عربية ، فلابد لنا من دعوتها ، بقطع النظر عن كونها موجودة برضاء الشعوب أم لا ، لأننا لانستطيع ـ كحكومة ـ أن نقول للحكومات الأخرى : أنت موثوقة ، ونقول لتلك : أنت غير موثوق بك • ولكن الأيام ستصحح هذه الأوضاع ، وتتداول المسألة حكومات كثيرة ، الى أن تتولاها الحكومات التى ترضى عنها الشعوب ، ونكون نحن ـ على كل حال ـ قد كسبنا هذه الجامعة ، التى ستصبح مع الأيام حقيقة واقعة يحسب حسابها » •

وكأنما كان الدكتور محمد صلاح الدين يستشرف المستقبل ، وكأنما كان يتنبأ بحكومة ثورة يوليو ، ولكن ذلك مر عبر نكسة أصابت الشعور القومى العربى فى مصر بعد حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ ، كما أصابته بنفس الدرجة فى البلاد العربية الاخرى ، فكما كتب أنطون سعادة فى سوريا يهاجم العروبة ويجعلها سبب نكبة فلسطين ، تحت عنوان : « العروبة أفلست » ، دعا اسماعيل صدقى فى مصر الى التعاون مع الصهيونيين لأنهم « أنفع لمصر » وأقرب عاطفة من العرب ! كما كتب أحمد لطفى السيد يقول : « نحن المصريين يجب أن نتمسك بمصريتنا ، ولا ننتسب الى وطن غير مصر ، ويجب أن نحافظ على قوميتنا ونكرم أنفسنا ووطننا ولا ننتسب الى وطن آخر » •

ولكن بعد عامين فقط من هذه النكسة قامت ثورة يوليو ١٩٥٢ لتتبنى الاتجاه الأصيل فى السياسة المصرية ، الذى يتفق مع الأمن القومى لمصر ، والذى يعتبر الشئون العربية شئونا مصرية ليس أكثر من ذلك ولا أقل •

وكان من الطبيعى أن يدفع هذا الاهتمام من جانب ثورة يوليو بالعالم العربى بمصر الى الحلبة العالمية من جديد ، بعد أكثر من قرن من الزمان ، وأن تتحرك القوى الكبرى ، وتتحرك معها أساطيلها ، وتصبح منطقة الشرق الأوسط من أخطر المناطق الملتهبة فى العالم ، وتبرز القومية العربية كعملاق جديد يلعب الدور الرئيسى فى المنطقة بعد أن كانت ـ قبل الثورة ـ قد انحسرت ، وأخذت شمسها التى بزغت مع ميلاد جامعة الدول العربية وامتحنت فى حرب فلسطين تؤذن بالأفول •

هذا الدور لثورة يوليو هو من ثوابت ايجابياتها التى لا تقبل الجدل أو التغيير ، لأن كل اتجاه عربى تنتهجه مصر هو اتجاه ايجابى لأنه يتفق

مع مقتضيات أمنها القومى . وقد دفعت ثورة يوليو بهذا الاتجاه العربى الى المستوى الشعبى العارم الذى لم يسبق له نظير ، بعد أن كان قاصرا على عمل الحكومات والنظم السياسية المختلفة . فاليها يرجع الفضل فى انتشار الوعى القومى العربى فى كافة أنحاء الوطن العربى ، ليشمل كل ناطق وصامت ، يعرفه التلميذ الصغير فى المدرسة الابتدائية كما يعرفه المفكر الكبير بعد أن كان هذا الوعى القومى العربى فى أوائل العشرينيات من هذا القرن وعيا غامضا ، يحتار فى تحديد مداه الجغرافى كبار المفكرين السياسيين .

ولكن يبقى أن يقيم المؤرخون هذا الانجاز الايجابى لثورة يوليو ، وهل حقق أغراضه أو فشل ؟ وما هى مساحة النجاح ومساحة الفشل ، وكيف كان أداء ثورة يوليو العربى ، هل كان على مستوى الآمال التى علقتها عليه الأمة العربية ، أو كان دون هذا المستوى ؟ وما هى ايجابيات هذا الأداء وما هى سلبياته ، وما هى أوضاع العالم العربى قبل ثورة يوليو وما هى أوضاعه حاليا ، وما هى أوضاع القضية الفلسطينية قبل ثورة يوليو وأوضاعها الآن ، وما هو نصيب ثورة يوليو فى السلبيات العربية الحالية وما هو نصيبها فى الايجابيات العربية ؟ .

اعادة التقييم - اذن - كان هو الهدف الأكبر ، كما كان الدافع وراء اللجنة العلمية التى أتشرف برياستها ، والتى تشرف على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، لاختيار « ثورة يوليو والعالم العربى » موضوعا للندوة التى قررت اللجنة عقدها بمقر هيئة الكتاب على النيل فى الفترة من ٣ الى ٥ مارس ١٩٩٠ . وقد رحب بهذا الموضوع مجلس ادارة الهيئة الذى أتشرف بعضويته ، والذى يرأسه الأستاذ الدكتور سمير سرحان ، كما كان محل ترحيب من السيد فاروق حسنى وزير الثقافة .

ولست أزعم أن أبحاث الندوة تغطى كل هذه التساؤلات ، ولكنها تفتح الطريق لمزيد من البحث فى هذا الموضوع الحيوى الكبير . ومن هنا فانى أوجه الشكر لكل من شارك فى هذه الندوة العلمية من المفكرين والمؤرخين والعسكريين وضباط ثورة يوليو ، كما أشكر الصديق الأستاذ الدكتور مصطفى الفقى لاشتراكه فى الندوة ، بالتعقيب على الدراسات التى قدمت بملاحظات وآراء قيمة .

وينقسم الكتاب الذى بين يدى القارىء الى قسمين : القسم الأول ويتضمن الدراسات التى قدمها السادة المشتركون فى الندوة ، وتبدأ بـ « الوعى العربى عند الضباط الأحرار » للأستاذ خالد محيى الدين ، و « مبدأ اقامة الجيش الوطنى وعلاقته بالأمة العربية » للأستاذ محمد فيصل

عبد المنعم ، و « مقدمات الوحدة المصرية ــ السورية ١٩٥٨ ــ ١٩٦١ » للأستاذ الدكتور صلاح العقاد ، و « ثورة يوليو والسودان » للأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق ، و « عبد الناصر والعروبة : افتراضات نظرية ــ ملاحظات حول التطبيق » ، للأستاذ الدكتور رفعت السعيد ، و « ثورة يوليو وثورات التحرر الوطنى العربية » للأستاذ أحمد حمروش ، و « ثورة يوليو وتوحيد القيادة العسكرية العربية » للواء جمال حماد ، و « ثورة يوليو وحركة التحرر فى المغرب العربى « للأستاذ الدكتور محمد عبد الرحمن برج ، و « انقلاب ٢٣ يوليو والسودان » للأستاذ جلال كشك ، وأخيراً تعقيب عام على الدراسات المقدمة من الأستاذ الدكتور مصطفى الفقى .

أما القسم الثانى من الكتاب فيتضمن المناقشات العامة التى دارت حول الدراسات المقدمة ، وردود السادة المشتركين عليها .

وقد قام بتفريغ شرائط تسجيل المناقشات الدكتورة سعيدة محمد حسنى الباحثة بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، وقد قامت بهذا العمل الشاق متطوعة على الرغم من أنه لم يتح لها الاشتراك فى الندوة . وكذلك قامت بمراجعة البروفة الثالثة من هذا الكتاب على البروفة الثانية ، وقدمت التصويبات اللازمة . فاليها أوجه الشكر بقدر ما أحملها المسئولية عن تفريغ شرائط المناقشات التى دارت .

وكنت قد عهدت للأستاذ الدكتور أحمد زكريا ، أستاذ التاريخ الحديث بكلية آداب عين شمس وعضو اللجنة العلمية المشرفة على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر التى أشرف برأستها ، باعداد أعمال الندوة للنشر . وقد اختار ترتيب القاء كلمات المشتركين فى الندوة دون تغيير ، كما اختار أن تعقب كل دراسة المناقشات التى دارت حولها ، وليس تجميع هذه المناقشات فى القسم الثانى من الكتاب . وكان هذا هو نفس الاعداد الذى قدمت به أعمال الندوة للمطبعة .

أما دورى فيتمثل فى الاعداد لهذه الندوة وادارتها ، ومتابعة تفريغ شرائط المناقشات باصرار ، رغم كل الصعوبات التى اكتنفت هذه المهمة ، وقد ذللتها باسناد هذه المهمة الى الدكتورة سعيدة التى قبلتها مشكورة كما ذكرت . كذلك قمت بمراجعة تصويبات البروفة الثالثة من الكتاب على البروفة الثانية ، والرابعة على الثالثة ، وقدمت الملاحظات اللازمة ، وأشرفت على تصميم الغلاف ، وقدمت للكتاب بمقدمة طويلة ، وتابعت الكتاب حتى صدوره .

وكنت أود تلخيص المناقشات التى دارت ، أو على الأقل حذف ما يستحق حذفه من عبارات قد تعرقل انسياب المعنى فى عقل القارىء ،

ولكن الدكتورة سعيدة آثرت اثبات النص بحذافيره ما أمكن ، وهو ما تم بالفعل ٠

والكتاب ، بدراساته ومناقشاته ، يقدم صورة متكاملة لعلاقة ثورة يوليو بالعالم العربى ، وهى علاقة مليئة بالتفاعلات الايجابية والسلبية ، من منظور علمى غير منحاز بقدر الامكان ، مع تعذر الحياد فى مواضيع التاريخ المعاصر ٠

وأملى أن يسهم هذا الكتاب فى اثراء تاريخ مصر والعرب المعاصر ، ويضيف الى المكتبة العربية ما يزيد فى ثرائها ، ويقدم للقارىء العزيز ما ينشده من متعة فكرية ٠

والله الموفق ٠

مصر الجديدة فى ١٢ نوفمبر ١٩٩٣

أ ٠ د ٠ عبد العظيم رمضان
رئيس اللجنة العلمية المشرفة
على مركز وثائق وتاريخ
مصر المعاصر

كلمة الأستاذ

فاروق حسني

وزير الثقافة (*)

يسر وزارة الثقافة المصرية أن ترحب بكم فى هذه الندوة العلمية ، التى ينظمها مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بالهيئة المصرية العامة للكتاب .

وتأتى أهمية هذه الندوة فى أنها تعقد وقد اقترب مرور ما يقرب من أربعين عاما على قيام ثورة الثالث والعشرين من يوليو ـ وهى فترة كافية من عمر الزمن لدراسة هذه الثورة دراسة علمية وجادة ، والحكم بما لها وما عليها .

كما أنها تنعقد وقد عادت مصر للعرب ، وعاد العرب الى مصر ، بفضل السياسة الحكيمة والناجحة التى ينتهجها السيد الرئيس محمد حسنى مبارك ، وفى ظل المتغيرات الدولية والسياسية التى يشهدها العالم اليوم ، تأتى أهمية دراسة هذا الجانب من تاريخ مصر عن ثورة يوليو والعالم العربى ، تدعى اليه هذه الكوكبة من العلماء والمفكرين والباحثين ، الذين نشرف الندوة بهم وببحوثهم ودراساتهم العلمية والمميزة .

واذا كان لثورة يوليو تأثيراتها على الصعيد المحلى والعالمى والافريقى ، فان دورها فى العالم العربى جدير بأن يبحث ويقيم ، لنخرج من هذه الدراسة برؤية واضحة محددة ، تضىء لنا الطريق ، وتكشف أمامنا معالم السير .

ولست فى حاجة أن أذكر أمامكم ـ وأنتم أعلام هذه الأمة ومؤرخيها ـ أهمية دراسة التاريخ فى التخطيط للمستقبل ، وهل يمكن لأمة من الأمم أن تدير ظهرها لماضيها ، وأن تعرض عن تاريخها وهى تستشرف آفاق المستقبل ؟! .

(*) ألقاها نيابة عنه الأستاذ فكرى صالح وكيل أول وزارة الثقافة .

أرجو لندوتكم هذه كل النجاح والتوفيق ، وأشكر اللجنة العلميـة المشرفة على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر اعدادها لهذه الندوة وحرصها على أن تخرج بهذه الصورة المشرفة والمشرقة التى ظهرت بها اليوم ، كما أشكر كل من ساهم فى انجاح هذه النـدوة من الاخوة العـاملين بالمركز وبالهيئة المصرية العامة للكتاب ، كذلك أجهزة الاعلام المختلفة .

نرجو من الله الكريم كل توفيق .

كلمة ا٠د/سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب

تنعقد هذه الندوة وقد مر على ثورة ٢٣ يوليو قرابة الأربعة عقود ، وقد أصبح من المناسب بعد هذه الفترة أن يعيد المؤرخون تقييم هذه الثورة لمعرفة ما لها وما عليها ، وخصوصا علاقتها بالوطن العربى الكبير ، والتى تمثل مصر القلب منه ، والتى وضعت وتضع نفسها ومصالحها فى خدمته والحفاظ على مصالحه وكيانه ٠

وكم خاضت مع دول منه معارك الحرية والاستقلال ، وشاركت مع الأخرى أدوارها فى التنمية الحضارية والفكرية ، مما أوجب الآن الوقوف وقفة نقيم فيها هذه العلاقات ، كى تستمر المسيرة على هدى وعلى يقين من أمرنـا ٠

ونحن الآن فى هذه الندوة التى تعقد تحت رعاية السيد الأستاذ وزير الثقافة ، ويشارك فيها عدد من أقطاب العلم والفكر والرأى يسعدنـا أن نقدم أبحاثهم التى تعالج جوانب هامة من علاقـة الثورة بالوطن العربى ، تلك الأبحاث التى صبوا فيها آراءهم وجمعوا فيها معلوماتهم ٠ مظهرين الجوانب الايجابية والسلبية فى ذلك على حد سواء دون مجاملة أو تشكيك ، لنواصل السير على الدرب الصحيح ، كما نصحح المسار فيما اصابته حيدة أو ناله تجاوز ، وهذا أمر محمود لأن الكمال لله وحده ٠

وما كان أنسب مجالا وأصـدق دافعـا من مركز يقوم أساسـا على التاريخ ، كتابة وتوثيقا ونشرا ، ألا وهو مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، هذا المركز الذى يقوم بالعمل فيه باحثون متخصصون باشراف لجنة علمية مكونة من أساتذة لهم باعهم فى هذا المضمار ، تشاركهم مجموعة أوسع من مؤرخى التاريخ الحديث والمعاصر ٠

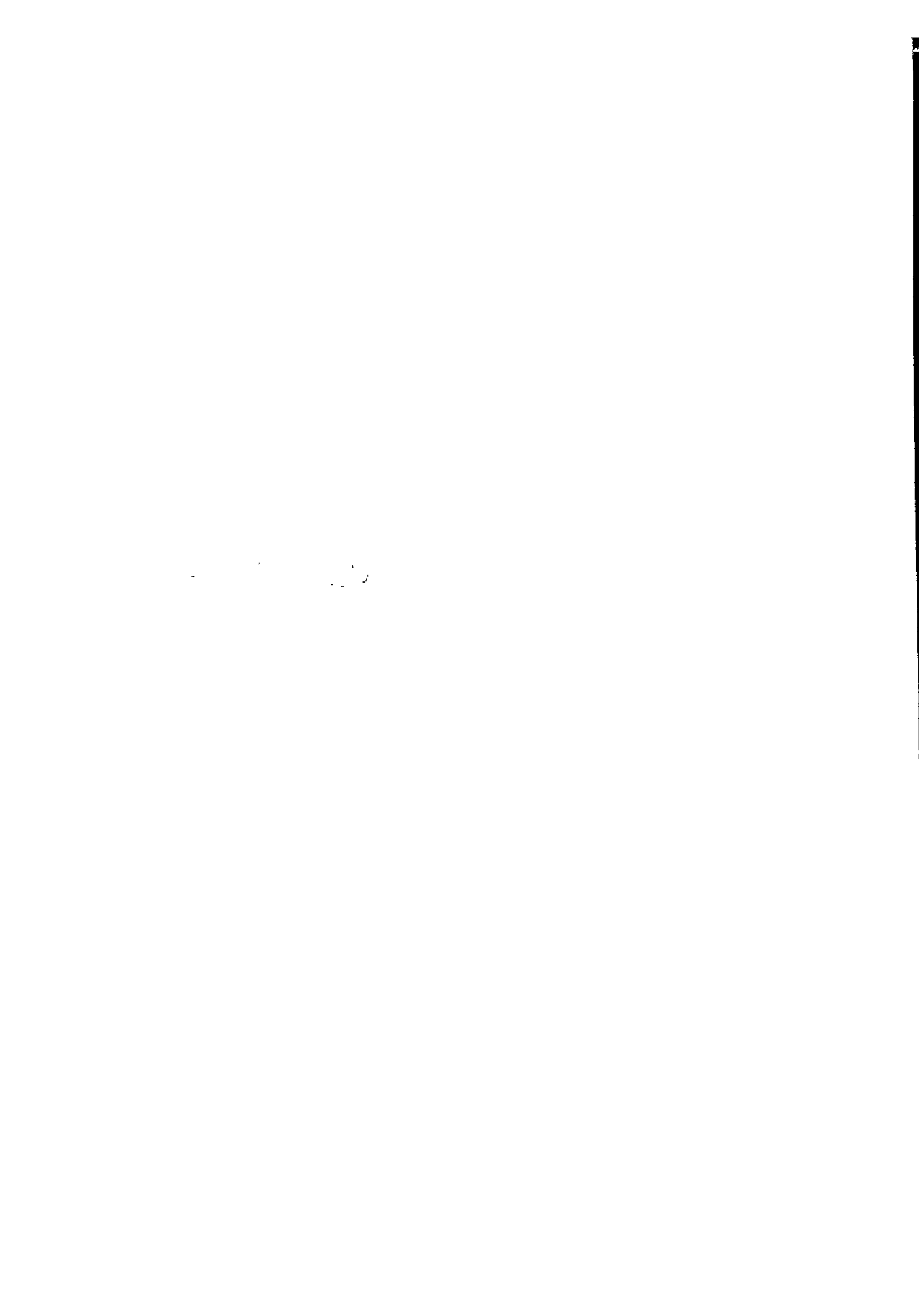
والهيئة المصرية العامة للكتاب والتى ينتمى اليهـا هذا المركز الذى اضطلع بهذا الجهد العلمى ، والذى يعتبر علامة على طريق كتابة تاريخ مصر المعاصر ، انما نشكر للسادة المشاركين جهودهم ، وللسادة الحاضرين والمناقشين ما تجشموه من عنـاء يهون فى حب مصر ، مصر الثورة التى ستداوم مواصلة مسيرتها تحت قيادة الزعيم المصرى العربى :

محمـد حسـنى مبـارك ٠٠



الوعى العربى عند الضباط الأحرار

خالد محيى الدين



اختيار هذا العنوان بالذات الهدف منه التفرقة بين تنظيم الضباط الأحرار ، التنظيم الذى أقام ثورة يوليو وأوصلها الى الحكم وبين ثورة يوليو كحركة سياسية أصبحت ملكا للشعب المصرى وليست ملكا للذين قاموا بها فقط ، وقد تداخل تنظيم الضباط الأحرار مع ثورة يوليو لفترة طويلة لأن القائمين على شئون الثورة والبلاد كانوا من هؤلاء الضباط الأحرار لفترة طويلة الى أن امتزج الوضع وأصبحت ثورة يوليو جزءا من الدولة وعقيدتها ، وبالعودة الى الوثيقة الأولى للضباط الأحرار ـ وهذه لا أحد يتحدث عنها ـ وهى أهداف الضباط الأحرار حيث كانوا يجندون الضباط على أساسها من بين ضباط الجيش ، هذه الورقة التى تسمى أهداف الضباط الأحرار والتى نشرت فى بعض الصحف ، ونشرتها جريدة الأهالى منذ ثلاث سنوات ، هذه الورقة كان منها نسخة واحدة تعطى للأعضاء للقراءة ثم اعادتها لدواعى الأمن ، فى هذه الورقة اذا أخذناها بمعيار أنها بها ذكر للاتجاه العربى ، لم يكن فيها كلمة واحدة عن الوطن العربى ، لكن لأن حركة الضباط الأحرار كانت حركة الهدف منها العمل فى وسط القوات المسلحة المصرية وأيضا كانت تريد أن تقدم نفسها فى حالة النجاح الى بقية أبناء الشعب المصرى ، من هنا كانت الورقة هدفها مصرى بحت .

فكانت تتحدث عن القضاء على الاستعمار الأجنبى وأعوانه من الخونة والامبريالية والاستعمار الأنجلو أمريكى والأحلاف العسكرية التى تريد أن تجرنا الى حرب عالمية .

ومن ثم كان من المفروض الغاء معاهدة ١٩٣٦ ، وبالطبع كانت قد ألغيت سنة ١٩٥١ ولكنها كانت صادرة منذ فترة بعيدة قبل الغائها وحياد مصر واقامة جيش وطنى قوى وجبهة وطنية من كل القوى والأحزاب الوطنية واقامة عدالة اجتماعية .

وفى الجيش الوطنى ما يعنى حق ترقية الجنود الى رتبة الضباط ، من هنا قد يتصور أنه لم يكن لدى الضباط الأحرار وعى عربى ، وكذلك هذا حدث لأن هذه الأهداف شىء والأهداف الستة التى كتبت بعد الثورة

شيء آخر ، لانها مستمدة من أهداف الضباط الأحرار لكي نقم بالثورة ، وهذه الأهداف مكتوبة ، وهي أهداف سياسية ، أي أنه حدث فيها عمل سياسي ، وهي القضاء على الاستعمار والاقطاع والاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم واقامة جيش وطني وديمقراطية سليمة وعدالة اجتماعية .

وهذه الأهداف الستة كتبت ولم تخرج عن الأهداف العامة الواردة في أهداف الضباط الأحرار ، أي أنها لم يكن بها كلمة الوطن العربي ، ولكن ذلك لا يعني أنه لم يكن هنـاك وعي عربي ، بالعكس كان تنظيم الضباط الأحرار الذي كان اسمه الضباط الأحرار وفكر في اقامته بعد هزيمة حرب فلسـطين ، اذا كان الدافع لقيام هذا التنظيم هو مواجهة كارثة الهزيمة في حرب ١٩٤٨ واحتمالات أن يجر الجيش المصري مرة أخرى الى معركة غير متكافئة وتحدث هزيمة أخرى تهدد أمن مصر ، ولأن أغلب الضباط الأحرار هؤلاء من الضباط المصريين كانوا يتعلمون في الكليـة الحربية عقيدة عسكرية وسياسية وهي أن أمن مصر موجود في الوطن العربي ، هذه عقيدة عند كل الضباط المصريين ليس فقط عند الضباط الأحرار ، شيء طبيعي أن تكون لدى الضبـاط الأحرار لأنهم أكثر وعيا وكان لهـم اهتمامات ولابد أن فكرة القومية العربية كانت متقدمة لديهم .

ومن ثم نستطيع القول أولا : أن حرب فلسطين ، والبرنامج نفسه الذي يذكر القضاء على الاستعمار وأعوانه ، وخاصة الاستعمار الانجلو أمريكي ، موجود في الأهداف ، يعني هذا شيء متقدم ، ولأنه سوف يجرنا الى حرب عالمية بواسـطة الأحلاف والقواعد العسـكرية . اذن فان المعركة ضد الأهداف والقواعد العسكرية في جوهر برنامج الضباط الأحرار ، لأن الأحلاف ستوجد ، ليس في مصر فقط بل في مصر والعالم العربي ، وليس بالصـدفة ان المعركة التي وجدت وجعلت عبد الناصر زعيم في العـالم العربي هي معركته الرئيسية ضد حلف بغداد رغم انه كان موقع اتفاقية مع بريطانيا بالجلاء ، وكانت القاعدة المصرية ستحتل في وقت الحرب في حالة حدوث حرب عالمية ، أي أن ذلك كان يعني أن هناك نوع من الارتباط بين قيام ثورة يوليو ومساندة عبد الناصر بعد ما أصبح رئيسا للجمهورية وقد بين في اتفاقية الجلاء ١٩٥٤ أن بريطانيا تعود الى احتلال القاعدة في مصر وادارتها في حالة العدوان على تركيا ، من هنا عندما جاء حلف بغداد وأراد أن يجر العالم العربي الى حلف عسكري مرتبط بمصالح الامبريالية العالمية ومرضى عنه من اسرائيل ، تحركت مصر وليس بالصدفة حدوث ما حدث .

اذن المعركة ضد الأحلاف العسكرية وضد القواعد العسكريـة في أهداف الضباط الأحرار تعني أن يكون لدي الضباط الأحرار بعد ووعي

عربى بجانب البعد المعروف عند العقيدة العسكرية المصرية دائما من أن أمن مصر يتحدد من العالم العربى ، وفكرة الأمن حتى ليس المصريين هم الذين يعتقدون ذلك وانما حتى الانجليز يعتقـدون ذلك فالجنرال اللنبى عندما أعد كتاب حملة فلسطين قال فيه : ان من يحتل بير سبع يهدد أمن قناة السويس فهو قد أعطى تبرير لعمل الحملة الوطنية المصرية لفتح فلسطين على أساس تأمين أمن مصر ، والفـكرة أن أمن مصر كما ذكر الدكتور عبد العظيم رمضان هو الأمن العربى والفكره العربية هذه شئون مصرية هذا صحيح ، والدليل على ذلك أن محمود سامى البارودى أحد قادة الثورة العرابية عندما سأله ولفرد بلنت عن أهداف الحركة العرابية اجابة أولا ، : تحرير مصر ثم بعد ذلك تحرير الوطن العربى لأنه لا يمكن أن تحرر مصر بدون تحرير الوطن العربى ولكن الذى عارضنا هم رجال الدين المصريين خوفا من أن تحرير الوطن العربى يجعلهم فى تصادم مع دولة الخلافة العثمانية ، ومن ثم فانه عندما عرفت هذه الأهداف فما كان من السلطان العثمانى الا أن أعلن أن الثورة العرابية خارجة على الاسلام ، اذن فانه فى العقيدة العسكرية المصرية والعقيدة السياسية المصرية دائما ، أن مصر تستقل ثم تذهب لمساعدة بقية أجزاء العالم العربى على الاستقلال، فمثلا لو استعرضنا الحياة السياسية فى مصر نجد أن كبار رجال ملاك الأراضى والرأسمالية اتجاههم كله نحو الصناعة المصرية والسودان والمياه الآتية من الجنوب ففكرة وحدة وادى النيل هو الاتجاه الغالب وفكرتهم أن مصر والسودان بلد واحد وكل هذه الشعارات مرتبطة بالمصالح المصرية وأنها لن تتنازل عنها ولن تتنازل عن حق المياه فى الجنوب ولكن كانت خسارة ، وهى نابعة من تجربة مصر فى فلسطين وظهور ما يسمى بالخطر الصهيونى الاسرائيلى على أرض الوطن ، من هنا أصبح هناك تفكير وأصبح الكلام كله على أن اسرائيل هى القوة المدفوعة من الولايات المتحدة وأن الولايات المتحدة وبريطانيا ساندوها لاستقرار أوضاعها بمعنى أنهم هم الذين عملوا الهدنة الأولى ، من ثم أصبح الوعى الموجود لدى الضباط الأحرار مصرى عربى ، ولذلك أركز على أنه اذا لم يكن قد ذكر فى برنامج الثورة الأول لفظ عربى لأن الثورة المصرية كانت تريد أن توطد أقدامها فى الأرض المصرية أولا ، وبعد ذلك تتجه عربيا ارتباطا بمصالحها ، وهذا تاريخيا قد حدث منذ أيام محمد على وأيام كل رئيس وطنى وجد فى مصر، كان عليه أن يتجه نحو هذا الاتجاه لتـأمين أمن مصر والقوميـة العربية بمعناها الجديد الذى طرح بعد ثورة يوليو لأنه يمكن القول أن سنة ١٩٥٤، سنة ١٩٥٥ كانت مازالت أو مايزال يسمى بتداخـل حركة الضبـاط الأحرار كتنظيم وقيادة الثورة لم يكن قد انتهى •

نستطيع القول أنه فى سنة ١٩٥٦ عندما انتخب عبد الناصر نهائيا من الشعب المصرى وأصبح هو الرئيس الفعلى وأصبح يمارس سياسته

التى لا نستطيع أن نفسر أنها انفصلت عن الأهــداف الأولى الوطنيــة والقومية للمصلحة العليا ولذلك نستطيع أن نقول : أن الوعى العربى عند الضباط الأحرار هو وعى عميق مرتبط بالمصالح الوطنية المصرية ومرتبط بمصالح وتجربة الضباط الأحرار أنفسهم فى حرب فلسطين والتى دخلوها وهم متصورون أنهم يحاربون عن قضية مصرية دفاعا عن وطن شعب عربى شقيق ، ويؤكد ذلك أيضا أن مصر لم تدخل الحرب الا فى ١٥ مايو ١٩٤٨، وليس بالصدفة أن قيادات تنظيم الضباط الأحرار مثل حسن ابراهيم والبغدادى وغيرهم قد أجروا اتصال بفوزى القاوقجى بسوريا وكانوا على استعداد أن يهربوا بسياراتهم ويذهبوا الى سوريـا لكى يقفوا بجانب فوزى القاوقجى كقائد عام للقوات العربية التى ترغب فى تحرير فلسطين، ولكن فى آخر لحظة حدثت عوائق ، وعلى ذلك فانه قد كان هناك تفكير فى أن أمن مصر مرتبط بأمن الأمة العربية الى أن تم دخول القوات المسلحة المصرية رسميا فى ١٥ مايو ١٩٤٨ فى كتيبة المتطوعين المصريين تحت امرة أحمـد عبد العزيز والضباط الأحرار ولو أن اسمهم قد أصبح الضــباط الأحرار الذى سموا به سنة١٩٤٩ ولكن أحد قيادتهم وهو كمال الدين حسين من الضباط الأحرار تطوعوا فى كتيبة أحمد عبد العزيز التى سافرت مبكرا الى الأرض الفلسطينية قبـل قيـام الحرب رسميا ، ومن هنا فان حركة الضباط الأحرار بصفتها الطليعة التى أدت الى قيام ثورة يوليو كان لديها الوعى أن الامبريالية والاستعمار الانجلو أمريكى ،وطالما ذكرنا ذلك،أمريكا اذن دخلت الأحلاف وهو العدو الرئيسى لأنه لم يرد أن يجرنا الى الأحلاف والجر الى حرب عالمية وبلادنا تستقل، وهذا وارد فى أهداف الضباط الأحرار ولذلك أنا أرى أنه وثبة متقدمة ومن هنــا تنطلق الرغبة فى مقاومة هذه الأحلاف ومن هنا كان الوعى العربى كما ذكرت فى حركة الضابط الأحرار سببه هزيمتهم فى فلسطين أو قيام دولة اسرائيل الذى كان يهدد أمن مصر ، بهذا المدخل الذى أستطيع أن أؤكد أن حركة الضباط الأحرار رغم أنه لم يوجد فى برنامجها ذكر لكلمة الوطن العربى أو القومية العربية، كذلك ثورة يوليو فى أهدافها الستة لم يكن بها لفظ القوميــة العربية ولا الوطن العربى لأننا كنا نفهم أن ارتباط مصر بمصالح الوطن العربى جزء رئيسى ومكمل لأمن مصر فكان شيئا طبيعيا طالما أنت ضد الامبريالية وضد الأحلاف وضد القواعد وضد الرجعية فالمعنى الجديـد لما يسمى بالقومية العربية هو معنى متقدم يعنى فيه مصلحة تربطه بهذه المجموعة لتحقق هذه الأهداف لأنه لا يمكن أن نواجه ما يسمى بالامبريالية والرجعية والصهيونية منفردين،اذن القومية العربية هى تعبير عن مصالح مصرية عربية سياسية ومن هنا برزت بصورة أكثر فأكثر مع استقرار الوضع السياسى لقيادة ثورة يوليو فى ادارة شئون البلاد أن تتجه الى البعد العربى الذى يمثل الأمن الرئيسى لمصر .

المناقشة والتعقيبات (*) :

ـ أحد المناقشين : لو يسمح الأستاذ خالد أنا أود أن أسأل سؤالا ألا وهو هل يمكن القول أن اسرائيل كانت الدافع للقومية العربية قبل أى ثورة ؟ بمعنى آخر هل تعتقد أن قيام اسرائيل كانت هى الدافع لقيام الحركة العربية لو لم تكن موجودة لم يكن هناك دافع أكثر ؟

ـ رد الأستاذ خالد محيى الدين :

لا شك أن الدافع كما ذكرت قديما ، وفكرة الشعور بالأمن المصرى واستقراره قديم قبل قيام اسرائيل ، لكن هل تستطع وكما شرحت بمثل سامى البارودى والضباط المصريين تصورهم أنه أمن مصر مرهون بالعالم العربى جنوبا السودان وشرقا على حافة سيناء لكن بلاشك أن قيام دولة اسرائيل جعل هذا المضمون أكثر خطرا ، أى خطأ حالى ومباشر لدرجة أن الناس حسته ، أحس الناس أنهم أمام خطر جديد أتى لهم بجنود من أوروبا وشافوا العساكر الذين يحاربونهم وأن هؤلاء القادمين مدربين وبلا شك كان تدريبهم أعلى ، لذا هم شعروا بالخطر الصهيونى وأنه أحد العوامل المكدرة للأمن المصرى •

وفى الاتجاه الجنوبى يوجد السودان ولكن السودان هذا بلد عربى ينظر له على أنه امتداد وادى النيل لأن الفكرة المصرية كانت موجهة أكثر للجنوب ، لكن لا جدال أن العداء للقوى الأجنبية ، عداء للصهيونية كفكرة، انها ليست ستقتصر على فلسطين فقط بل ستمتد لسيناء ولا تقتصر على سيناء ، حتى أن كل السياسيين المصريين ولغاية محمد على علوبة كتب كتابه عن فلسطين أيد فيه أن الخطر الرئيسى اذا استقرت الدولة الاسرائيلية فى فلسطين ، ان الخطر الرئيسى سيكون على سيناء ، وهذه الدولة أول ما تهدد •• تهدد مصر وأنه سيبقى خطر وجودها ، وأن قيام دولة قوية للصهيونية أول ما يهدد سيهدد مصر أكثر من البلاد العربية الأخرى وهذه كانت عقيدة واصلة بدرجات مختلفة للسياسيين المصريين •

ومن هنا فان الفكرة القائلة بأن قيام دولة اسرائيل كانت حافزا صحيحة ، ولكن ليست الحافز الوحيد الذى جعلها مشتعلة •

ـ استفسار آخر : النقطة الأولى فى الاستفسار كان أن سيادتك ذكرته قبل ذلك وأكدت عليه هذا اليوم وهى أن كلمة الاستعمار الانجلو أمريكى

(*) رأينا التزاما بالأمانة العلمية نشر المناقشات بنفس تعبيرات أصحابها على ما فيها من فصحى وعامية ، ونحب أن نشير الى أن نصوص المناقشات تم تفريغها من شرائط مسجلة للندوة •

كانت فى مستندات ، وبعد ذلك أنا قرأت لك أن الرئيس جمال عبد الناصر طلب حذف أمريكا هل هذا صحيح ؟

ـ السؤال الثانى : رغم أن الحضور الشديد لقضية فلسطين فى تنظيم الجيش وقت الحرب وبعد ما خرجتم من الحرب وكما تفضلت وذكرت أن فيه خطر من أن تتجدد الحرب هل من الطبيعى أن يغفل بيان الضباط الأحرار وبرنامج ثورتهم ذكر اسرائيل ؟ أم كان ذلك نتيجة حسابات معينـة ؟

ـ **رد الأستاذ خالد محيى الدين :** هو فى الحقيقة أن جمال عبد الناصر جاءت له عدة آراء من الضباط الأحرار منها انه ليس هناك داعى لأن نكتب الاستعمار الانجلو أمريكى لأن الناس فهمت أن الاستعمار هو الانجلو فقط واذا ذكر كلمة (الأمريكى) سيلخبط فهم الناس فليس هناك داعى أن تكتب فى النشرات لأنها لن تغير من الأهـداف ثم بعد ذلك تكتب فى النشرات أو لا تكتب ، وحدث مناقشة فى هذا العصر بين عدد كبير من الضباط وتناقشنا سويا وأنا رأيى فعلا فى هذه الأيام أنها كانت متقدمة أكثر من اللازم ٠

ولم يرجع ذلك لأن الذى كتبها كان يساريا بعض الشىء بلا جدال، لكنها فى الواقع كانت تعبر عن اتجاه معين وهذا ثبت صحته عندما كان جمال عبد الناصر يذكر : « أنا ضد حلف بغداد أنا ضد أمريكا » ٠

ـ أما الرد على النقطة الثانية فكان : أنه كما ذكرت أن حركة الضباط الأحرار كان تفكبرها الرئيسى القوات المسلحة أى أنهـــا تكتب للقوات المسلحة ويكون عملها الرئسى فى الداخل ولذلك فان بعض الضباط قالوا هذا لجمال عبد الناصر لأنه كانت قضيته الرئيسية الوطن ، وعندما تأتى فى هذه الأيام لتكلم الناس على بلادهم لا أعتقد أن كلام اسرائيل والخطر الأول هذه قضايا كلها وعى جديد على ذلك الوقت ٠ وعى جديد لأنه لم تكن هناك دولة تمثل الأبعاد السياسية ولا هذه الأبعاد للمهتمين بالسياسة ونحن كنا مهتمين بالدرجة الأولى بكسب الضباط ٠ ومن هنا تركها لهم قصد أن الحركة يكون هدفها الرئيسى مصر ٠ ولذلك حتى الثورة عندما قامت فكرة العداء الشديد لاسرائيل لم تطرحها فى أول الأمر لأنه كان كل هدفها كسب الوضع المصرى ثم كسب الوضع العربى لكى نواجه اسرائيل ، اذا ان ذلك أتى بحكم تركيبة الضباط لأنها موجهة أساسـا للداخل ، حتى أصحاب فكرة القيـام بالعمل العسكرى ليلة ٢٣ يوليو كانت الفكرة أولا السيطرة على القوات المسلحة ثم بعد السـيطرة على القوات المسلحة واذا لم تنجح هذه السيطرة لن نستطيع أن نعمل شىء فى الثانى ولذلك كانت لهـا أهداف متواضعة وجدت استجابة فى تيـارات

الحركة ثم بعد ذلك الحركة السياسية تحدد اتجاهاتها وليس بالسطو لأنه منذ أن قام تنظيم الضـــباط الأحرار لم يكن هناك أى تنظيم ثان للقوات المسلحة يصدر أو يطلع بيان ، يعنى اذا وجد أن ما تطرحه حركة الضباط الأحرار من بيانات وآراء كافية للتعبير عن كافة الانجاهات كلها ٠

تعليق آخر وكان حول آن المعلق كان يتمنى أن يكون وضع مصر مع العالم العربى قبل قيام الثورة ووضع مصر بعد قيامها أما المعلق فقال : أن وضع مصر قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو مع العالم العربى كان خيرا من وضعها بعد الثورة ، واستكمل تعليقه بقوله ان الثورة لم تفعل شىء يحسن من وضع مصر مع العالم العربى بعد الثورة ، بل أساءت الى ذلك ٠ ولعل السبب فى هذا أن الأهداف كانت حقيقة طيبة وجيدة ، ولكن الوسائل التى اتبعت للوصول الى هذه الأهداف كشفت عن بعد حقيقى وهو أن هذه الثورة لم تكن على مستوى الوضع السياسى والاجتماعى والثقافى والاقتصـــادى ٠

وقد علق الأستاذ خالد محيى الدين على ذلك بقوله : ان هذه رؤية أما رأيه كمحاضر مختلف عن ذلك واستطرد قائلا ان ذلك كان يتوقف على ثورة يوليو بالذات أو ثورة يوليو فى العالم العربى أى تتوقف على النظرة بالتقييم فهناك تقييم سلبى وهناك تقيم آخر ايجابى على حسب معيار التقييم فالمعيار مثلا أثر ثورة يوليو فى مصر فى قضية الديمقراطية السياسية والأحزاب نجدهـــا سلبية واذا أخذته فى الحقوق الاجتماعية والاقتصادية وتحرير الفلاح ستجدها ايجابية ، ثم استطرد قائلا ان رأيه أن الذى أحدثته ثورة يوليو فى العالم العربى هو وعى عربى ووجود قيادة للعـــالم العربى متمثلة فى مصر ووحدة الحركة العربية ضـــد الأحلاف الأجنبية ثم الدور الذى لعبته الجماهير المصرية فى العالم العربى والعلاقات الثقافية المتطورة والعلاقات الاجتماعية والذى قامت به مصر فى العالم العربى من بناء والتقدم الذى تحقق فى العالم العربى كان بيد الشعب المصرى ولأن مصر هى الزعيمة للعرب منذ فترة طويلة قبل عبد الناصر وقبل فاروق هذه قضية لكن كان هناك حكم مصرى يجعلها زعيمة اذ أن عبد الناصر وقيادته لمصر فى العالم العربى أكد على هذه الزعامة المصرية بزعامة أخرى والدليل على ذلك الموقف العربى عند التعرض لمحنة العدوان الثلاثى كان موقفا ايجابيا بالرغم من الخلافات العربية ٠

وعندما نحسب الحسبة من قبل ثورة يوليو الى هذه الأيام نجد أن الوعى العربى والعلاقات المصرية العربية متقدمة بمراحل كثيرة جدا ٠

عندما قامت الثورة فكرنا فى العلاقات مع العراق ، ولكن لم يناقش فى مجلس قيادة الثورة مثل هذا الموضـــوع لأن بعد الثورة حدث نوع من

الانقسامات فلم يعرض ولم يتخذ فيها قرار ، وانما مثلا الموقف من جانب بغداد من علاقة العراق والموقف من السودان ، وأنا رأيى أن ثورة يوليو كانت متقدمة فى فكرها فى قضية السودان من حيث أنها دولة واحدة وملك واحد وأنه فعلا كان من حق الشعب السودانى أن يقرر مصيره ويستقل ، وهذا اتجاه متقدم وليس اتجاه متخلف ، والواقع أن السودان كان يحب أن يستقل ·

– وهناك **استفسار** آخر حول صحة ما اذا كان هناك تفاوض نظرى من الثورة وبعض قوى الاستعمار اعتقادا منها أن هذه القوى ستؤيد أو ستتعاون مع الحقوق المصرية ؟

– السيد خالد محيى الدين :

فى ذلك الوقت كانت توجد أمريكا وانجلترا وفرنسا هذه هى القوة الظاهرة فهل فيهم أحد من هذه القوى مؤيد للحق العربى ؟ ثم استطرد قائلا : هذه توقعات على الرغم من أن الموجود كان الاستعمار الأنجلو أمريكى ولكن الثورة كانت ترغب فى ألا تعادى الولايات المتحدة الأمريكية والدليل على ذلك أننا عندما قلنا شروط المعونة الأمريكية لم نكن نرغب فى اعلانها ولم تكن الثورة ترغب فى اعلان الاتفاق على هذه النقطة لأن الجماهير المصرية والعربية كارهة أمريكا فعندما عارضت فى ذلك قالوا : نحن لم نعلنها لأننا نعرف أو نشعر أن هناك اتجاه معادى لدى الجماهير المصرية ، ولكن كانت المصلحة تقتضى كسب الولايات المتحدة الأمريكية فى هذه المرحلة لأن الضباط كان عندهم أمل أن أمريكا تسلحهم وتعطيهم معونة ··· الخ ، ولما اكتشفوا أن أمريكا ستضع شروط باهظة على ما يسمى بالتسليح قالوا : تنتهى هذه العملية ومن ثم رفضت الشروط الأمريكية ولكن لم يكن فى ذلك الوقت تفاوت كبير فى العداء للقوى المختلفة ·

– استفسار آخر وهو : اذا كان الهدف من الندوة هو تقييم ثورة يوليو فهل يسمح المتكلم فى أن يقيم ظروف الثورة فى تحقيق أحد أهدافها وهو الديمقراطية السليمة فى العشرين سنة الأولى من الثورة ؟

– وقد علق رئيس الجلسة بأن موضوع الندوة هو ثورة يوليو والعالم العربى فرد المستفسر قائلا : انه كان يرغب فى أن يعرف موقف الديمقراطية فى مصر وأثره على جيرانها من العالم العربى والنمط الذى اتخذته الثورة بالنسبة للديمقراطية فى مصر وأثر ذلك على العالم العربى ·

– وقد رد الأستاذ خالد محيى الدين بقوله : ان ذلك يحتاج الى دراسة أخرى وان له وجهة نظر وهى أن موقف مصر من الديمقراطية كان لا شك

له تأثير على علاقتها عربيا فى العشرين سنة الأولى والذى كان يحكم هذه العلاقة هو موقف مصر من القضايا العربية ، والجماهير العربية جاءت وأيدت عبد الناصر ليس لأنه ديمقراطى أو غير ديمقراطى ولكن بلا شك وبلا جدال أنه لو كانت فى مصر أوضاع ديمقراطية أفضل كانت بلا شك العلاقات العربية ـ المصرية ستكون أفضل .

ـ وقد علق الدكتور عبد العظيم رمضان بقوله : انه من خلال قراءته لثورة يوليو أن الأستاذ خالد محيى الدين من البداية كان له موقف ديمقراطى ولو كانت الثورة سارت على ذلك الموقف الديمقراطى كان الموقف من الديمقراطية سيتغير .. ان خالد محيى الدين كان عنده بعد ليبرالى فى تفكيره وفى نفس الوقت اشتراكى أى أن خالد محيى الدين قد صنع توليفة فى الحياة الديمقراطية الجديدة التى كان يمكن لثورة يوليو أن تفعلها وهذا لم يكن محل قبول ورضى من بقية أعضاء مجلس قيادة الثورة انما هو عرض رأيه فى الديمقراطية بالشكل الذى كنا نتمناه جميعا وأعرب عنه فى الصحف وفى جريدة الوفد وفى مجلة التحرير وموقفهم من الديمقراطية، كان أحد الأسباب الرئيسية فى خلافه مع الضباط الأحرار ، وهو الذى أدى به الى أن ينسلخ عنهم أو يتركهم ومع احترامى لكل الضباط الأحرار كانت لهم مواقفهم وكانت لهم اتجاهاتهم أو وجهة نظرهم القابلة طبعا للنقاش والجدل والهجوم والدفاع انما موقف خالد محيى الدين من الديمقراطية كان موقف ثابت على وجه التحديد ، هو لا لبرالى اشتراكى،ومنطقه الذى جعله لم يبق معهم وموقفه من أزمة مارس ١٩٥٤ كان موقفا خطيرا وهو الذى صنع هذه الأزمة أى أن خالد محيى الدين وقوى الديمقراطية داخل الضباط الأحرار كانوا فى جانب وعبد الناصر والقوى التى تؤيد فكرة الديكتاتورية فى جانب آخر مما أدى الى أزمة كبيرة جدا كان فيها محمد نجيب وبالتالى عزل محمد نجيب وكان خالد محيى الدين فى سلاح الفرسان والذى أعاده سليما على الرغم من أن خالد محيى الدين كان سيتعرض لاعداء فى هذه الأيام انما كان موقفه الى جانب الديمقراطية موقف ثابت ولم يشك فيه أحد تاريخيا وأنا أذكر هذا الكلام باعتبارى مؤرخ لتاريخ مصر المعاصر وكتاباتى فى هذه الناحية كتابات شديدة الاتصال بهذا الموضوع .

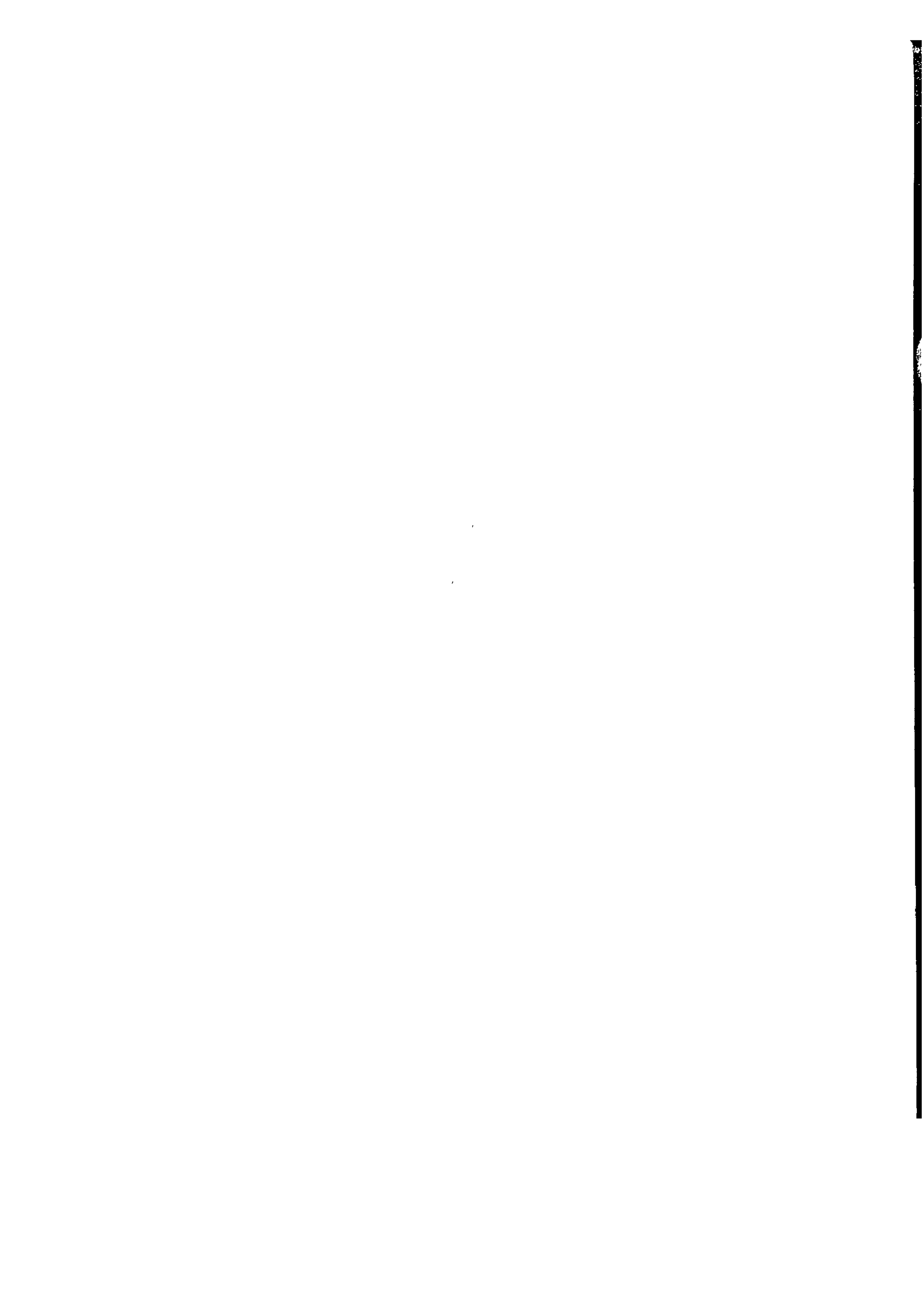
ـ وقد رد الأستاذ خالد محيى الدين على ذلك بقوله : طبعا أذكر أن ثورة يوليو كان موجود بها اتجاهات مختلفة حيث كان يوجد فى داخل الضباط الأحرار اتجاه ديمقراطى وكان يمثله فى ذلك الوقت سلاح الفرسان للأمانة التاريخية وللضباط اللذين ضحو بحياتهم ودخلوا السجون لأنه فعلا لو لم يكن أحد من ضباط الفرسان مؤمنا بالاتجاه الديمقراطى

لا أستطيع أن أذكر كلمة واحدة ، أنا كنت آخذ الأمور بقناعة شخصية لكن الذى شجعنى على ذلك أنه كان يوجد داخل سلاح الفرسان اتجاه نحو احترام عودة الحياة النيابية ولكن نقطة الخلاف أنه لم يكن رأينا نحو الثورة بمعنى أن سنة ١٩٥٤ وضعت الديمقراطية فى وجه الثورة ٠

ـ وقد علق الأستاذ جلال كشك بعد ذلك بقوله انه كان يحب أن يكون فى الندوة محاضرة عن دور الديمقراطية فى مصر والبلاد العربية لأن الديمقراطية المعدمة فى مصر كان لها دور فى انقسام السودان لأن اصرار النظام المصرى على حل جميع التنظيمات الجماهيرية قبل الوحدة شرط قيامها ، أى حل الأحزاب ، بمعنى أن الأحزاب التى تكافح من أجل الوحدة ستكافأ بالاعدام ٠

مبدأ اقامة الجيش الوطنى ..
.. وعلاقته بالأمة العربية

محمد فيصل عبد المنعم



القسم الأول : اقامة الجيش الوطنى :
الجذور التاريخية

أفصحت ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ عن وجهها فور قيامها حين أعلنت عن المبدأ الخامس من مبادئها الستة والذى قضى باقامة الجيش الوطنى القوى « فى مواجهة المؤامرات لاضعاف الجيش واستخدام ما تبقى من قوته لتهديد الجبهة الداخلية » ٠

لذلك كان منطقيا تماما أن يصدر البيان الأول للثورة صباح يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ ليفصح ـ دون مواربة ـ عن هذا الهدف الذى نؤكد أن الثورة انما قامت من أجل وضعه موضع التنفيذ وليشير الى ذلك الفساد السياسى الذى تأثر به الجيش فأضعفه وتسبب فى هزيمته على أيدى العصابات اليهودية المسلحة على أرض فلسطين فى الجولة العربية ـ الاسرائيلية الأولى عام ١٩٤٨ (١) ٠

على أن مبدأ اقامة الجيش الوطنى القوى هذا لم يأت من فراغ ، كما لم يكن « نتاج اللحظة الأخيرة » أو بسبب الهزيمة فى فلسطين فحسب ، ولكننا نرى أنه انما جاء نتاجا طبيعيا لتراكمات كثيرة تركت بصماتها الثقيلة فى نفوس هذا الرعيل الأول من الضباط الوطنيين الذين استشعروا المهانة فشكلوا الخلايا وتعاهدوا على الاطاحة بالنظام السياسى فى مصر والتخلص من الاحتلال البريطانى الذى استباح الحرمان ٠

---

(١) جاء فى البيان : « اجتازت مصر فترة عصيبة فى تاريخها الاخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم ، ولقد كان لهذه العوامل تأثيرا كبيرا على الجيش ، وتسبب المغرضون الكثيرون فى هزيمة الجيش فى معركة فلسطين ، اما فترة ما بعد الحرب فقد تضافرت فيها عوامل وتآمر الخونة على الجيش حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها ٠ وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير انفسنا وتولى امرنا رجال نثق فى خلقهم ٠ ولا شك أن مصر ستلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب ٠٠ الخ » ٠

كانت الضربات التى توالت على هذا الجيش منذ معاهدة ١٨٤٠ أيام حكم محمد على بعد تلك الانتصارات الباهرة التى أحرزها تحت قيادة ابراهيم بن محمد على فى الفترة من عام ١٨٣١ ـ ١٨٤٠ فى معارك « الزراعة وعكا وحمص وبيلان وقونية ونصيبين » وغيرها (١) حتى أثارت هذه الانتصارات أحقاد الدول الأوروبية الاستعمارية الدفينة ضد مصر ، مما دفعها الى التدخل الجماعى والذى انتهى بمعاهدة لندن (يولية ١٨٤٠) والتى قضت بجلاء الجيوش المصرية عن سوريا وقصر ولاية محمد على على مصر وحدها ٠

على أن عين بريطانيا ظلت على مصر بعد أن أدرجت احتلالها على جدول أعمال الامبراطورية فسارعت ـ فى ١١ يولية ١٨٨٢ ـ للتدرع بحجة واهية لضرب مدينة الاسكندرية واحتلال مصر بأسرها ، ولم تكتف بريطانيا بذلك ، بل عمدت الى اضعاف الجيش المصرى الوطنى طوال فترة الاحتلال على النحو الذى سوف نعرضه حالا ، وهى الفترة التى حفلت بتوجيه العديد من الاهانات لجيش مصر وضباطه وجنوده ، ولقد أوردنا حادث ٤ فبراير على سبيل المثال وليس الحصر ، ثم جاءت هزيمة الجيش فى فلسطين عام ١٩٤٨ وبعدها حريق القاهرة ، والفساد الذى استشرى فى البلاد ، فتفجرت الثورة يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ لتنهى عصرا كاملا من الفساد والرجعية والاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم ، ولتدخل مصر فى عصر جديد سوف يحكم التاريخ له أو عليه ٠

الجيش المصرى فى بداية عهد الاحتلال :

لقد كان القرار الأول الذى أصدره الخديو توفيق بعد الاحتلال البريطانى أمرا عاليا بتجريد الضباط الذين اشتركوا فى الثورة العرابية ممن كانوا برتبة ملازم ثان وملازم أول ويوزباشى من رتبهم وحرمانهم من كل حق فى مرتب الاستيداع ومعاش التقاعد مع العفو عنهم عن جريمة العصيان ٠

أما كبار الضباط من رتبة الصاغ (الرائد) فما فوق حتى رتبة الفريق ، فقد حوكموا وصدر الحكم على معظمهم ٠ وجرد من مرتب الاستيداع ومعاش التقاعد كل من اشترك منهم فى حادث قصر النيل

---

(١) محمد فيصل عبد المنعم : « مصر تحت السلاح » ـ مكتبة القاهرة الحديثة ـ القاهرة ، ١٩٧١ ٠

ومظاهرة عابدين وكل من وجد تحت السلاح يوم ١١ يولية ١٨٨٢ وظل حاملا للسلاح يوم « طاعة الجيش » (١) .

وعلى ذلك تم تشكيل الجيش المصرى الجديد فى عهد الاحتلال البريطانى يوم ١٨٨٢/١٢/٢٠ من ٢ لواء مشاة (كل من ٤ أورط/كتائب) بمجموع (٤٠٠٠) رجل (٣) تولى اللواء « جرانفيل » قيادة اللواء الأول ، فى حين تولى اللواء يوسف شهدى قيادة اللواء الثانى ، وآلاى خيالة من (٥٠٠٠) جندى بقيادة الأميرالاى تيلور بك ، ولواء مدفعية (من ٤ بطاريات) بقيادة الأميرالاى دنكن بك ، وفرقة من راكبى الجمال . وبذلك يصبح المجموع الكلى للجيش المصرى (٦١٤٧) ضابطا وجندى ، فى حدود الرقم الذى حدده « دوفرين » بالدقة ! .

وعندما تقرر اعادة افتتاح السودان عام ١٨٩٦ ارتفع تعداد الجيش المصرى الى ١٨ أورطة من المشاه وخمسة بلوكات من الهجانة وستة أورط خيالة و ٥ بطاريات مدفعية الى جانب أورط انشاء السكة الحديد . وفى ١٨٩٧ ومع اعادة فتح محافظة « دنقلة » أضيفت لقوة الجيش ٣ أورط من المشاة و ٢ من الخيالة وبطارية مدفعية وجماعتين هجانة ، ثم لم يلبث ــ بعد انتهاء عمليات اعادة فتح السودان سنة ١٩٠٠ أن جرى تخفيض الجيش المصرى بنحو ٥٥٠٠ رجل (٣) .

وقبيل مصرع السردار سيرلى ستاك كان الجيش المصرى مكونا من ٧ أورط مشاه (١٦١ ضابط ــ ٤٢٨٤ جنديا) وبطارية مدفعية (٥ ض ــ ١٣٨ جندى) ومدفعية حامية القاهرة (٣ ض ــ ٦٤) وأورطة سوارى (٦ ضابط ــ ١٤٨ رتب أخرى) والحرس الملكى (٢٩ ض ــ ٧٥٧ص‌ض‌ج)، هذا علاوة على ادارة الأشغال العسكرية وادارة المهمات والقسم الطبى والقسم البيطرى وادارة القرعة (التجنيد) وادارة الحدود وذلك بمجموع ٤٣٧ ضابط ــ ٨٧٣٤ رتب أخرى (٧٥٣٦ بندقية ــ ١٨ مدفع ــ ١٧ مدفع ماكينة رشاش) .

---

(١) د. عبد الوهاب بكر محمد : « الوجود البريطانى فى الجيش المصرى » (١٩٣٦ ــ ١٩٤٧) دار المعارف ، ١٩٨١ .

(٢) كان اللورد « دوفرين » المبعوث البريطانى آنذاك يرى الا يزيد تعداد الجيش المصرى على ٦٠٠٠ جندى وأن هذا العدد كاف تماما للوفاء بالأغراض المطلوبة .

(٣) اليوزباشى عبد الرحمن زكى : « تاريخ أورطة البنادق الثامنة المشاة » ــ القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٨ .

حالة الجيش المصرى فى النصف الأول من الثلاثينيات :

ومما يلفت النظر أن تعداد الجيش فى ظل الاحتلال البريطانى كان يتناقص تدريجيا ففى عام ١٩٣٠ بلغ ١٢٫٣٧٧ انخفض فى ١٩٣١ الى ١٢٫٢٩٢ ثم الى ١٢٫٢٦٢ فى ١٩٣٢ ثم الى ١٢٫٢٠٦ فى ١٩٣٣ ورغم ذلك فان العدد الذى كان يعمل فى الجندية كان قلة فى هذا المجموع الضئيل فقد كان هناك جنود كثيرون يعملون فى خدمته تحت مسمى المراسلة وبذلك لم يكن عدد الجنود والضباط القائمين بالأعمال العسكرية يزيد على ٥٫٠٠٠ رجل ٠

كذلك كانت ميزانية الجيش فى تناقص مستمر فقد بلغ مجموع الاعتمادات المطلوبة لوزارة الحربيـة والبحرية عام ١٩٣٠ ١٫٩٨٣٫١٩٥ جنيه بتخفيض قدره ٨٩٫٣٥٠ جنيه عن ١٩٢٩ ثم الى ١٫٨١٨٫١٥٧ فى ميزانية ١٩٣٣/٣٢ ، بل ان ميزانيـة الجيش منذ عام ١٩١١ حتى عام ١٩٣٥ ظلت ثابتة تدور حول رقم ١٫٧٥٠ مليون ج ! ٠

ومع ذلك لم تكن هذه الميزانية تصرف كلها على الجيش اذ لم يكن يخصه فيها سوى ٧٥٠ ألف ج فقط بينما كان مثل هذا المبلغ يخصص لقوة الدفاع السودانية ، والباقى يصرف على مصلحة الحدود وفضلا عن ذلك كانت مرتبات الضباط تلتهم جزءا كبيرا من هذا المبلغ (١) ! ٠

كذلك كانت الروح العسكرية فى الشعب قد وصلت الى الحضيض بسبب المهام الصورية للجيش وتجرده من الظروف التى تدفع المواطن الى الانخراط فيه حيث كان قانون القرعة السائد يقضى بأن يظل الجندى فى الخدمة العسكرية خمس سنوات متتالية من سن ١٩ ـ ٢٣ لا يقضيها الجندى فى ميدان القتال وانما يقضيها فى منازل الضباط وقد كتبت الأهرام فى ١٩٣٥/٣/١١ تشكو من الآثار المدمرة لهذا النظام فقالت :

« انه من الظلم للجندى المصرى وللانتاج الزراعى أن يظل فى الخدمة العسكرية خمس سنوات متتالية فى وقت الشباب فاذا خرج ألفى نفسه وقد نسى الزراعة ان كان زارعا فهو بين أن يصبح عاطلا أو يحصل على وظيفة فراش أو جندى بوليس أو ساعى ان كان من المحظوظين » ٠

وقد أدى تخلف المواطنين عن الانخراط فى الجيش الى تناقص عدد الجنود وتزايد عدد الضباط فقد ارتفع عدد الضباط من ١٩٣٠/٥٦٣ الى

---

(١) د٠ عبد العظيم رمضان : « الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ » ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ٠

٥٦٥/١٩٣٢ الى ٥٧٥/١٩٣٤ بينما نقص عدد الجنود فى نفس الفترة من ١١٫٨١٤ فى سنة ١٩٣٠ الى ١١٫٢٧١ سنة ١٩٣١ الى ١١٫٦٩٣ فى سنة ١٩٣٢ الى ١١٫٦٣٨ فى ١٩٣٣ حتى طالبت لجنة المالية بمجلس النواب فى تقريرها عن ميزانية وزارة الحربية بزيادة عدد عساكر الأرط بما يتناسب مع عدد الضباط ، وقد انعكس ذلك على سياسة قبول الطلاب بالمدرسة الحربية فقد قامت سياسة الحكومة فى ذلك الحين على ألا تقبل فى كل عام الا عددا من الطلبة يتناسب وعدد الوظائف التى ستخلو فى الجيش عند موعد تخرجهم . وفى عام ١٩٣٤ مثلا كان طلبة المدرسة الحربية يبلغ ٦٠ طالبا فقط (منهم ٢٢ فى الفرقة ١ و ١٨ فى الفرقة المتوسطة و ١٧ فى النهائى) ومع ذلك رأينا توفيق رفعت باشا وزير الحربية والبحرية فى وزارة اسماعيل صدقى باشا يقف فى مجلس النواب للتباهى بالجيش فى جرأة خارقة وعبارات رنانة مزيفة قال : « لقد وصل جيشكم بقوة الله ورعاية صاحب الجلالة قائده الأعلى الملك المقدس الى ما تصبو اليه نفوسكم وترتاح له ضمائركم ، من جمال ترتيب وكمال تدريب بفضل ما أدخل عليه من التحسينات التى أنتجتها تجارب الحرب العالمية فلتطمئن قلوبكم الى أن لكم جيشا مجهزا بأحدث المعدات العصرية » (١) !! .

أما الطيران فلم يبدأ انشاؤه الا فى عام ١٩٢٩ عندما أرسلت وزارة الحربية ضباطا من الجيش المصرى لدراسته بمدرسة الطيران بأبى صوير ، ثم أوفدوا الى بريطانيا لمزيد من الدراسات الفنية وعادوا الى مصر عام ١٩٣٠ ليلحقوا بسلاح المشاة (لعدم وجود سلاح جوى آنذاك) .

وفى ٢/٦/١٩٣٢ وصلت ٥ طائرات من انجلترا ، حيث بدأ سلاح الجو المصرى عمله عليها بقوة قوامها ٦ ضباط مصريين ومعهم ٣ ضباط وخمسة مساعدين انجليز ، وفى ٢٧/٥/١٩٣١ صدر قرار انشاء سلاح الطيران المصرى والذى بلغت قوته عام ١٩٣٦ :

٢٠ طائرة (أفرو)   ٥ طائرات (موت)   ١ طائرة (وسكس)

١ طائرة كومودور   ٥ طائرة أوداكس   ١ طائرة مواصلات

معاهدة ١٩٣٦ : مرحلة جديدة من العلاقات :

فى ٢٦/٨/١٩٣٦ تم توقيع معاهدة ١٩٣٦ بين بريطانيا العظمى ومصر ، وبذلك دخلت العلاقة بين الجيش المصرى والوجود البريطانى فى

---

(١) د. عبد العظيم رمضان : (الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦) ـ الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٧ .

مرحلة جديدة ، تحولت فيها من عهد اشراف مباشر وقيادة وما يستتبعهما من سيطرة ونفوذ ، الى مشورة ونصيحة وما يستتبعهما من حرية الطرف الذى تقدم اليه النصيحة أن يأخذ بها أو لا يأخذ ·

وبذلك تحددت مهمة الماجور جنرال « جيمس مارشال كورنوول » ـ رئيس البعثة العسكرية البريطانية فى مصر ـ على النحو التالى :

١ ـ أن سياسة حكومة صاحب الجلالة هى أن القوات المصرية سوف تتطور الى قوات حديثة فعالة قادرة على التعاون مع القوات البريطانية فى الدفاع عن مصر ·

٢ ـ أن دور البعثة استشارى ، ولن يعطى ضباطها أية قيادة فعلية الا اذا رغبت الحكومة المصرية فى ذلك ، وأنها لن تمارس اشرافا مباشرا على الامدادات بالأسلحة والذخيرة والمعدات الى الجيش المصرى ·

٣ ـ أن البعثة لن تدخل فى أنشطة خاصة بالمخابرات (بخلاف تدريب مخابرات الجيش المصرى) خشية اثارة الشكوك المصرية وأن على رئيس البعثة البريطانية أن يرفع تقريرا ربع سنوى الى وزارة الحرب البريطانية عن حالة الجيش المصرى · كذلك تحددت البعثة البريطانية ب ٢٤ ضابطا الى جانب هيئة الرئاسة اللازمة لحسن توجيه مجهودات الخبراء والتوفيق بينها ·

ليس جيشا بالمعنى المفهوم :

على أن بريطانيا العظمى ـ بعد معاهدة ١٩٣٦ ـ كانت قد عقدت العزم على عدم السماح للجيش المصرى ليصبح جيشا بالمعنى المفهوم ، فراحت طوال فترة وجودها ـ بعد المعاهدة ـ تتلمس المعاذير التى تغطى بها وسائلها فى تنفيذ سياسة اضعاف الجيش المصرى حتى تصل فى النهاية الى هدفها النهائى فى استمرار احتلالها للبلاد دون عائق ·

يؤكد هذا ما كتبه اللورد كيلرن ـ السفير البريطانى فى مصر ـ تعقيبا على خطة هيئة التخطيط المشتركة البريطانيةالمرفوعة الى رؤساء أركان الحرب البريطانيين عن التنظيم المستقبلى للجيش المصرى :

«اننا لا يجب أن نتجاهل كلية امكان بذل محاولة فى ظروف معينة لاستخدام القوات المسلحة المصرية ضد القوات البريطانية أو لمقاومة

---

(١) الوجود البريطانى فى الجيش المصرى : مرجع سابق ·

استخدامنا للقوة أو التهديد بذلك لفرض ارادتنا على الحكومة المصرية ، وقد ناقشنا هذا الرأى مع القادة البريطانيين وهم يقولون لى : انه اذا اشتملت الحامية البريطانية فى الشرق الأوسط على فرقة واحدة Division وقوات جوية مناسبة ، فان هذا سوف يكون كافيا للتعامل مع أى عمل عدائى تقوم به القوات المصرية وفقا لأسس يوصى بها القادة البريطانيون الى رؤساء أركان الحرب » (١) .

لقد كانت بريطانيا ملتزمة ـ وفقا لبنود معاهدة ١٩٣٦ ـ بتحديث الجيش المصرى ليصبح جيشا متطورا وأن تزوده بالأسلحة والمعدات ليصبح فى النهاية « **فى حالة يستطيع معها أن يكفل بمفرده حرية الملاحة فى القناة وسلامتها التامة** » .

ولكن واقع الحال أن بريطانيا بدأت فى الاخلال بتوريد الأسلحة اللازمة للجيش المصرى بحجة « عدم المقدرة المستمرة فى الصناعة البريطانية لامداد الاحتياجات العاجلة للجيش المصرى » .

لقد أثبت موقف توريد الأسلحة عام ١٩٣٩ أن الدبابات المطلوبة للجيش المصرى لم يرد منها سوى ٦ دبابات فقط فى حين أن العدد المطلوب منها كان ١١٦ دبابة ، ولم يصل من المدافع المضادة للطائرات ٣ بوصة سوى ٨ مدافع من ٥١ مدفع ، ونفس الأمر كان ينطبق على أعيرة أخرى من المدافع ونوعيات أخرى منها وكذلك المدافع الرشاشة » .

كذلك لم تورد انجلترا من المهمات المطلوبة للجيش المصرى خلال الفترة من بداية عمل البعثة العسكرية البريطانية وحتى قيام الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ الا ما قيمته مليون ومائة وسبعون ألفا من الجنيهات ! .

التدريب على أساليب القرون الوسطى ! .

ويعبر عن حالة الجيش المصرى ـ فى يناير ١٩٣٧ ـ الماجور جنرال مارشال كورنوول ـ أول رئيس للبعثة العسكرية البريطانية ـ فيكتب :

« ان الجيش المصرى يتألف من (٥٦٧ ضابط ـ ١١٨١٤ صف وعسكرى) مجمعين فى ٣ لواءات مشاة دون أن يربطها أى اتصال تكتيكى أو مذهب عسكرى ، وتوزيع هذا الجيش فى وقت السلم بعيد كل البعد عن دوره الاستراتيجى فى الحرب ، وأماكن تمركزه بعيدة فى السلوم والعريش ، وتبدو هذه الأماكن وكأنما اختيرت عمدا بهدف تجنب التركيز

---

(١) الوجود البريطانى فى الجيش المصرى : مرجع سابق .

المكثف للقوات فى وادى النيل ، ولا تمتلك الأحد عشر كتيبة التى تتالف منها ألوية المشاة الثلاثة أية مدافع ماكينة خفيفة أو ثقيلة أو أى شكل من أشكال الدعم أو أسلحة مضادة للدروع • وقليل جدا من الضباط العظام بالمشاة درسوا كتب التعليم الانجليزية الأخيرة ، كما أنهم غير قادرين على تطبيق مبادىء التكتيك ، كما تبدو أورطتى السوارى كأنهما دربتا على أساليب القرون الوسطى ولا فائدة منهما الا فى أغراض الاحتفالات •
أما المدفعية فباستثناء ٤ بطاريات غير منظمة فى تنظيم اللواء (محمولة على البغال من طراز الهاوتزر عيار ٣ر٧ بوصة وبطارية ميكانيكية من مدافع الماكينة) فان مدافع هذا السلاح من النوع القديم جدا ولا يصلح الا للمتاحف» •

وجاء النزاع العربى ـ الاسرائيلى بعد نهاية الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) ليعطى لبريطانيا ذريعة جديدة لحظر امداد الجيش المصرى بالأسلحة والمعدات ، حيث كانت لجنة الدفاع الامبراطورية قد قررت فى نوفمبر ١٩٤٧ اعادة فحص المعدات التى تطلبها الحكومات العربية على ضوء احتمالات دخول الجيوش العربية الحرب فى فلسطين ، وانتهت اللجنة الى **وجوب تاخير الامداد بالذخيرة لمصر لمدة لا تقل عن ستة أشهر حتى يصبح الموقف الفلسطينى أكثر وضوحا » ، مع الوضع فى الاعتبار الامكانية الدائمة لأن يبيع المصريون بعض الذخيرة الى أى منظمة عربيـة قد تصبح أخيرا فى حرب مع اليهود ، حتى لا نصبح متهمين بتسليح الجانب العربى •**

بريطانيا تورد الأسلحة الفاسدة الى مصر :

ولم تكتف بريطانيا بحجب الأسلحة والعتاد عن مصر ، وانما عمدت الى توريد المعدات التالفة والأسلحة الفاسدة ، وهو الأمر الذى كشفته الصحافة المصرية فى عام ١٩٣٨ ، حيث نشرت مجلة المصور فى أبريل ١٩٣٨ أن البعثة العسكرية البريطانية قد استوردت للجيش المصرى طائرات صناعة ١٩٣٤ ومدافع صناعة ١٩١٤ وأن الفائدة الوحيدة التى تعود من هذه الصفقة هى للصناع البريطانيين الذين وجدوا فى مصر سوقا للتخلص من مخزونهم الذى عفا عليه الزمن ، كذلك فجر (كريم ثابت) على صفحات جريدة (المصرى) فى يونيو من ذات العام قنبلة جديدة فى وجه الانجليز عندما أعلن أن ٩٠٪ من الذخيرة الموردة من بريطانيا الى الجيش المصرى هى ذخيرة كذابة duddle ، كما أعلن الدكتور عبد الحميد سعيد فى مجلس النواب أن مصر أصبحت سوقا رائجة للأسلحة البريطانية المهملة : فالمدافع التى استوردتها وزارة الحربية أصبحت خارج الخدمة فى الجيش البريطانى، وأنه فى الجيش المصرى الآن ـ عام ١٩٣٨ ـ ٦ دبابات من نوع قديم ولاتزيد

سرعتها على ١٦ كيلو مترا فى الساعة فى الوقت الذى تبلغ فيه الدبابات الحديثة (وقتذاك) ٦٥ كم .

كذلك كشف الدكتور عبد الحميد سعيد فى المجلس النقاب عما أسماه **بالتسلح المزيف** عندما أعلن أن المدافع القليلة التى استوردت من انجلترا كان معظمها قديما وانتهى استخدامه فى الجيش البريطانى ، ثم أرسلت هذه المدافع الى المصانع البريطانية فملئت ثقوبها وطليت وبيعت للجيش المصرى على أنها جديدة ، وبعد وصولها فحصها الضباط المصريين الفنيين فتبين لهم حقيقتها وانها عندما جربت انكسر بعضها وثبت أنها قديمة لا تصلح للاستعمال (١) .

وقد اعترف رئيس البعثة العسكرية البريطانية ببعض هذه الحقائق عندما ذكر فى تقريره عن الجيش المصرى سنة ١٩٣٩ : أن المدافع المضادة للطائرات قد وردت الى مصر دون (البريدكتور) ، كذلك كان الأمر بالنسبة للمدفعية الساحلية التى وردت تنقصها بعض المعدات التى لا يمكن لهذه المدافع أن تعمل بدونها .

ومع انقطاع مدد العربات للجيش ، ومع توريد العربات دون قطع غيار لا تسمح بتشغيل العربات لمدة لا تزيد عن ١٨ شهرا ، لم تجد الحكومة المصرية عام ١٩٤٤ حلا لمشكلة سيارات الجيش المتدهورة الا باستخدام أسلوب تفكيك السيارات غير الصالحة للعمل الى أجزاء ، واستخدام الصالح من هذه الأجزاء فى تشغيل العربات التى يرجى منها نفع فيما سمى بنظام Cannikalization .

كذلك لجأت الحكومة البريطانية الى ارهاق الخزانة المصرية **وذلك باشتراط الدفع نقدا** ثم المبادرة الى القاء اللوم على الحكومة المصرية التى لم تستطع أن تدبر الاعتمادات المالية اللازمة لتقوية جيشها ! .

تحويل الجيش المصرى الى قوة بوليسية :

وفى عام ١٩٤٥ قامت هيئة التخطيط البريطانية المشتركة ــ المنبثقة عن لجنة الدفاع المشترك ــ بالتخطيط ووضع تصوراتها لمستقبل الجيش المصرى ، فأصدرت قرارات عديدة من شأنها تحجيم الجيش وتحويله الى مجرد قوة احتياطية للشرطة فى حفظ النظام وتقديم المساعدة للدفاع عن المصالح الاستراتيجية البريطانية شرقى البحر المتوسط ، ويؤدى هذا

---

(١) جريدة المصرى ــ العدد ٦٦٧ فى ١٢ اغسطس ١٩٣٨ .

التنظيم البريطانى الى **تخفيض حجم الجيش المصرى بما قدره ٢٦٠ ضابط و ٦٠٠٠ صف وعسكرى** ، وكان هذا التنظيم المقترح يتمشى تماما مع السياسة البريطانية الرامية الى تخفيض حجم الجيش المصرى ووقف الاتجاه الوطنى الى تدعيمه وتقويته وامداده بالأسلحة الحديثة •

أما عن التدريب – باعتباره الشق الثانى للتسلح – فقد أوقفت بريطانيا منذ يولية ١٩٣٩ الحاق الضباط المصريين بدورات التعليم فى المدارس العسكرية البريطانية بحجة قصر هذا النوع من التدريب على البريطانيين فقط دون الأجانب ، متناسية أن معاهدة ١٩٣٦ قد جعلت من مصر حليفة لبريطانيا • لكن بريطانيا ضربت بالتزامها هذا عرض الحائط وامتنعت عن تدريب ضباط الجيش المصرى وشرعت فى انتحال الأعذار للحكومة المصرية للتحلل من التزاماتها فى هذا الصدد •

وقد تبين أن مصر قد وضعت فى مجال تبادل المعلومات الحربية بالمرتبة (ج) فى حين وضعت الهند فى المرتبة (أ) وكان هذا يعنى – فى مجال التدريب – عدم السماح للمصريين بدخول كليات أركان الحرب البريطانية البرية والبحرية التى يتوفر بها معلومات ذات طبيعة تكنيكية واستراتيجية لا يجوز الا لأبناء الدول الموضوعة فى المرتبة (أ) الاطلاع عليها •

ويلاحظ من جدول أعدته البعثة العسكرية البريطانية عن دورات التدريب التى قدمتها بريطانيا لمصر فى المملكة المتحدة وفى الشرق الأوسط أن كلية أركان الحرب البريطانية فى (كامبرلى) لم تقبل أى ضابط مصرى منذ عام ١٩٣٩ وحتى نهاية الوجود البريطانى فى الجيش المصرى عام١٩٤٧• وأن الكلية الحربية فى(ساند هيرست)والأكاديمية العسكرية فى (وولبتش) لم تقبلا ضابطا مصريا منذ عام ١٩٣٨ وأن نفس الاجراء حدث بالنسبة لباقى المدارس العسكرية فى بريطانيا ، وأن كل ما قامت بريطانيا بتدريبه من الضباط المصريين والأفراد بلغ (٦٣٨) ضابطا على مدى عشر سنوات (١٩٣٧ – ١٩٤٧) فى بعض المدارس العسكرية التى أنشأتها بريطانيا فى الشرق الأوسط كمدرسة المدرعات بالعباسية ومدرسة المدفعية فى حيفا ومدرسة المشاة فى عكا وجبل مريم ، وذلك فى الوقت الذى قدم فيه رئيس البعثة العسكرية البريطانية تقريرا كشف عن قصور الامكانيات البشرية والثقافية عن ملاحقة موجة التطوير الحديثة فى الجيش المصرى ، حيث ترتب على مشروع تطوير الجيش الاحتياج الشديد الى الضباط المدربين ، مما أدى الى سحب بعض ضباط كتائب المشاة للعمل فى الكتائب الجديدة ، كما اضطرت وزارة الحربية المصرية فى معظم الأحوال الى تخفيض مدة الدراسة بالكلية الحربية الى ١٢ شهرا فقط بدلا من سنتين •

خالف الانجليز كل بنود المعاهدة :

على أن الانجليز خالفوا كل بنود معاهدة ١٩٣٦ ، ليس بالنسبة لتوريد الأسلحة والتدريب فحسب ، بل فى مجال التخابر والتجسس كذلك . فعلى الرغم من أن المعاهدة قضت بعدم تدخل البعثة البريطانية فى أية أنشطة خاصة بالمخابرات (بخلاف تدريب مخابرات الجيش) ، الا أنه تبين أن البعثة العسكرية البريطانية قامت بأعمال كبيرة فى مجال التجسس على الجيش المصرى بحجة ابعاد الضباط ذوى الميول المعادية لبريطانيا عن الخدمة ، كما استباحت لنفسها التدخل فى شئون المصريين وأن توجه قيادة الجيش المصرى الى حالات الرشوة والسرقات وأن تطالب بمحاكمة المتهمين فى هذه الحالات وأن تطالب بوزير للدفاع بمواصفات معينة مما يعد من صميم الأمور الداخلية للجيش .

كذلك قامت البعثة البريطانية بنقل كافة المعلومات المتوفرة لديها عن تنظيم وتدريب وتسليح الجيش المصرى الى القيادات البريطانية والتى قامت بدورها بنقلها فيما بعد الى الولايات المتحدة الأمريكية (والى اسرائيل فى عام ١٩٤٨) وذلك عندما بدأت أمريكا تبدى الاهتمام بمنطقة الشرق الأوسط فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية وبمناسبة التوتر فى فلسطين واحتمالات دخول مصر فى نزاع مع القوى الصهيونية بغية نقل هذه المعلومات الى العناصر المسلحة اليهودية قبيل نشوب الحرب فى الجولة العربية ــ الاسرائيلية الأولى .

كذلك كانت بريطانيا مهتمة باحتمالات التدخل العسكرى المصرى فى مسرح القتال بفلسطين وبخاصة بعد ارسال مصر لقوة عسكرية الى العريش فى ١٥/١٠/١٩٤٧ بقيادة الأميرالاى أحمد على المواوى بك ، فقد تبين أن قيادة القوات البريطانية كانت توافى وزارة الحرب البريطانية بتفاصيل تحركات القوات المصرية ، وكانت هذه التقارير عن التحركات المصرية تعاصر زمنيا ارسال مصر لقواتها الى العريش كمقدمة للدخول فى حرب فلسطين ، وكان رصد القيادة البريطانية للقوات المصرية دقيقا للغاية ، مما يرجح نقل هذه المعلومات الى اسرائيل سواء من جانب بريطانيا أو الولايات المتحدة ! .

٤ فبراير : بذور الثورة ! :

على أن الاحتلال البريطانى لمصر لم يكتف بتقليم أظافر المصريين وحرمانهم من اقامة جيش وطنى يذود عن حياضهم ، ولم يكتف بتسريح الجيش المصرى العرابى وتشكيل « جيش المحمل والاحتفالات »الذى أتينا

عليه ، بل دأبت السلطات البريطانية على توجيه الاهانات البالغة لشعب مصر وجيشها جميعا فى العديد من المناسبات ، وتوجت ذلك كله يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ بعد سنوات ست فقط من توقيع معاهدة « الشرف والاستقلال » !! •

ففى ارتباط وثيق بين السياسة والحرب ، وفى أعقاب الهجوم العاصف الذى استرد به الفيلد مارشال « فون اروين روميل » برقة فى يناير ١٩٤٢ ، وانسحاب القوات البريطانية أمام قوات البانزر الألمانى الى داخل الحدود المصرية فى حالة يرثى لها من الذعر هاهنا طاش صواب القيادة البريطانية فى مصر فبدأت تعد للانسحاب الى فلسطين كخطوة تالية (١) •

وفى يوم الثانى من فبراير ١٩٤٢ ، انطلقت المظاهرات الشعبية فى القاهرة والاسكندرية تهتف : « الى الأمام ياروميل » ، ولم يكن ذلك تعبيرا بطبيعة الحال عن حب المصريين لروميل ، ولكن هذه الهتافات الصاخبة انما من مقولة « أن عدو عدوى صديقى » ، وبذلك اعتقد المصريون ـ الذين عانوا طويلا من الاستعمار البريطانى ـ أن روميل سوف يخلصهم أخيرا من هذا الاحتلال البغيض الذى كانوا يلعنونه خمس مرات فى صلواتهم اليومية •

هكذا قادت وثبة روميل الخاطفة وانهيار الموقف العسكرى للجيش الثامن البريطانى فى الجيش الثامن البريطانى الى ذلك الحدث السياسى الذى هز أعماق ضباط الجيش ونعنى به حادث ٤ فبراير •

ففى صباح يوم الرابع من فبراير ١٩٤٢ ، طلب السفير البريطانى لورد كيلرن مقابلة رئيس الديوان الملكى « أحمد باشا حسنين » وسلمه انذارا هذا نصه :

« اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعى الى تأليف الوزارة ، فأن الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعة ما يحدث » •

وكان مجلس الحرب البريطانى قد انعقد فى صباح ذات اليوم واتخذ قرارا بأنه : اذا لم يرد الملك فاروق ردا مرضيا قبل انتهاء مدة الانذار ، فان السفير البريطانى سيطلب مقابلته فى الثامنة مساء مصطحبا معه القائد العام للقوات البريطانية فى مصر ، بينما تكون الترتيبات العسكرية اللازمة قد أجريت ليطلب الى فاروق التنازل عن العرش ، فاذا رفض فان «لامبسون» سيبلغه بأنه قد تم خلعه عن عرش مصر ! •

---

(١) محمد فيصل عبد المنعم : « الى الامام يا روميل » ـ دار الشعب ، القاهرة ،

وهكذا اجتمع الزعماء المصريون فى قصر عابدين واستقر رأيهم على رفض الانذار البريطانى والذى اعتبروه « مساسا خطيرا بالمعاهدة المصريه ـ البريطانية واعتداء على استقلال البلاد » ·

أما « لامبسون » ، فكان قد اتخذ قراره حين قام بالتوجه الى قصر عابدين فى المساء فى حين كانت عابدين كلها قد حوصرت بالدبابات البريطانيه قبل ذلك بقليل ، وقام السفير البريطانى بابلاغ رئيس الديوان بأن قرار الزعماء المصريين برفض الانذار البريطانى أمرا فى غاية الخطورة ·

تجنبا لحدوث مذبحة :

وفى تلك الأثناء كانت احدى الدبابات البريطانية قد اقتحمت الباب الرئيسى المعروف بالباب الملكى ودخلت منه الى حرم القصر ، وتبعتها سيارة السفير البريطانى وبرفقته الجنرال « ستون » ، وقفت السيارة أمام باب القصر الداخلى ونزل منها لامبسون وستون ودخل الرجلان القصر بينما كان يسير أمامهما ثمانية من الضباط الانجليز شاهرين مسدساتهم فى أيديهم ، وحين اقترب منهم كبير الامناء بالنيابة (اسماعيل تيمور باشا) ليسألهم عن وجهتهم ، نحاه السفير البريطانى بيده فى خشونة قائلا لـه « اننى أعرف طريقى » ! ·

وكان الجنود البريطانيون قد هاجموا حراس القصر وجردوهم من أسلحتهم وحاصروا ثكناتهم ، وبعد عدة اشتباكات صغيرة ، صدر أمر من القصر الى رجال الحرس بعدم المقاومة تجنبا لحدوث مذبحة !

وكانت السلطات البريطانية قد أصدرت أوامرها الى سلاح الطيران الملكى لوضع سرب من الطيران فى حالة التاهب القصوى وقام بالتحليق فوق ثكنات الجيش المصرى لقصفها جوا اذا ما بدرت من الجيش أيه بادرة للمقاومة ، كذلك حاصرت وحدات من الجيش البريطانى أقسام الشرطة فى مختلف أنحاء القاهرة وقامت بقطع الاتصالات التليفونية بين قصر عابدين والخارج ، كما حوصرت محطة الاذاعة المصرية لمنع أية أنباء الى الشعب المصرى ! ·

وتتابعت فصول المهانة ، حين قدم « لامبسون » الى الملك فاروق ورقة معدة من قبل تقضى بتنازله عن العرش وطلب اليه أن يوقعها على الفور والا « فان لديه أنباء أخرى غير سارة » سوف يواجه بها فى حالة الرفض ·

وفوجىء فاروق بعبارة « الأنباء غير السارة » هذه فتطلع الى لامبسون وسأله عما اذا كان سوف يمنحه فرصة أخرى! فسأله لامبسون عن مقترحاته، فأجاب الملك : بأنه سوف يقوم باستدعاء النحاس باشا فورا ليكلفه بتشكيل

الحكومة وفى حضور السفير اذا أراد · وهنا وافق « لامبسون » ليكتب فى مذكراته :

« قمت فى البدايه باظهار بعض التردد عن عمد ، ثم قلت لفاروق : اننى مستعد لأن أمنحه فرصة واحدة أخرى رغبة منى فى عدم حدوث التعقيدات المحتملة فى الموقف ، ولكن على أن يتم التنفيذ فورا » (١) ·

آثار بعيدة المدى للحادث :

هكذا ازداد شعور المهانة لدى ضباط الجيش المصرى ، تلك المهانه التى حاقت بمليكهم ـ الذى كان يجسد رمز مصر مهما كان رأيهم فيه ـ وعلى ذلك يمكننا اعتبار تاريخ ٤ فبراير ١٩٤٢ بمثابة مولد ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ بكل المقاييس ·

يؤكد ذلك ماكتبه الرئيس الراحل جمال عبد الناصر فى فلسفة الثورة :

« لقد كان اليوم الذى اكتشف فيه بذور الثورة فى نفسى هو حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ » ·

ثم يكتب رسالة منه الى صديق له مؤكدا على تلك المهانة التى شعر بها كل ضباط الجيش المصرى :

« اننى أشعر بخزى وعار شديدين لأن جيشنا سكت على هذا الاعتداء وارتضاه · لقد بدأ ضباطنا يتحدثون منذ ذلك الحادث عن الانتقام والثأر والتضحيه والاستعداد لبذل النفس فى سبيل الكرامة وأصبحت تراهم وكلهم ندم لأنهم لم يتدخلوا مع ضعفهم ليردوا للبلاد كرامتها ويغسلوها بالدماء ، ولكن غدا لناظره قريب ·

لقد ردت هذه الصفعة الروح الى الأجساد وعرفتهم أن هناك كرامة يجب أن يستعدوا للدفاع عنها وكان هذا درسا قاسيا » (٢) ·

أما الرئيس الراحل محمد أنور السادات ، فيكتب معلقا على حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ :

---

(١) The killearn diaries, 1934-1946, Ed. T. Evans, London, 1922.

(٢) د· محمودمتولى « حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ فى التاريخ المصرى المعاصر » ـ دار الثقافه للطباعة والنشر ، القاهرة ١٩٧٨ ·

« حقيقة نذكرها .. لقد أحسسنا بهذا الحادث وفهمناه من تحليلنا ومن تحرياتنا ، وبينما كانت البلاد في ذهول ، طاش صواب ضباط الجيش وبدأنا نفكر . لقد كانت الأحداث أغرب من الخيال وأذهلتنا بعد ذلك ما تقاذف به السياسيون من سباب واتهامات وما أثير من قصص الاجتماعات التى تمت فى القصر والمواقف المثيرة (١) . لقد طاش صواب ضباط الجيش لأنهم - كعسكريين - شعروا بأنها ضربة عسكرية لا يردها سواهم . وفى فورة الحماسة وعنف الشباب بدأت الاجتماعات تعقد علنا فى نوادى الضباط لمناقشة الموقف وتقرير الخطة بصورة مفتوحة لا يمكن أن تؤدى الى خير » ..

« أما نحن فقد انتهينا الى قرار أولى حينئذ ، فمع تصميمنا على وجوب رد هذه الضربة للانجليز ، تقرر تأجيل هذا الرد لأن هذا الجو المفتوح الذى نوقشت فيه المسألة فى نوادى الضباط كان يوجب عدم القيام بأى شىء . كنا قد درسنا الأمر من كل الوجوه على طريقة العسكريين فيما نسميه (تقدير الموقف) ولم نضع فى حسابنا عندئذ أن نحدد موعد ضربتنا » .

لماذا قدموا استقالاتهم من الجيش ؟ :

هكذا كان حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ هو البداية الحقيقية لانشغال الجيش المصرى بما يجرى على مسرح السياسة وأن التفكير النظرى للثورة تحول - بعد الحادث - الى تفكير عملى ، وبدأت نواة تشكيل الضباط الأحرار تتشكل فى شكل الخلية الأولى .

يؤكد ما نذهب اليه ما كتبه احسان عبد القدوس (٢) مشيرا الى أن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ كان هو الدافع الأقوى الى تحريك الثورة الوطنية داخل الجيش وبدء قيام التنظيمات السرية بين الضباط والتى كان من بينها تنظيم الضباط الأحرار .

كذلك قدم اللواء محمد نجيب استقالته من الجيش احتجاجا على التدخل البريطانى ، وجاء فى خطابه للملك : « اننى أخجل أن ألبس زيى العسكرى وأطلب السماح لى بالاستقالة » ، ولكن الياور «عبد الله النجومى» أقنعه بسحبها ، كذلك اقتنع ضباط سلاح الطيران بضرورة عمل شىء ما كما قدم ٣ ضباط استقالتهم للقيام بأى عمل ضد القوات البريطانية وهم عبد اللطيف البغدادى وصلاح سالم وأنور السادات (٣) .

---

(١) أنور السادات : « صفحات مجهولة » .
(٢) فى مقدمة كتاب « الدبابات حول القصر » - كتاب اليوم كمال عبد الرؤوف .
(٣) د. محمود متولى حادث ٤ فبراير - مرجع سابق .

على أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ومفجر ثورة ٢٣ يوليــة ١٩٥٢ يرى أن حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ على الرغم من المهانة التى ألحقها ببلادة ، الا أنه كان أيضا بمثابة الحافز لدفع عجلة الثورة ، يكتب (١) :

« كنا بحاجة الى شيء يجعلنا جميعا ندرك الضرورة الملحة والحتمية فى حركتنا الثورية فأعطانا الانجليز ما نحتاج اليه ٠٠ كان ذلك فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ٠ ومنذ ذلك التاريخ لم يعد شيء كما كان أبدا ٠٠ ان حادث ٤ فبراير قد ألحق العار بمصر لكنه رغم ذلك ألهمنا بروح جديدة ، فقد أيقظ هذا الحادث أناسا كـثيرين من سباتهم وعلمهم أن هنــالك كرامة تستحق أن يدافع عنها الانسان بأى ثمن (٢) ٠

كذلك كانت هزيمة جيوش عربية سبعة لدول عريقة ذات جذور ضاربة فى أعماق التاريخ أمام عدد من المنظمات المسلحة الاسرائيلية شبه النظامية أمرا يبعث على الذهول : كان بمثابة الصدمــة التى نزلت على رأس الأمة العربية كالصاعقة وهى تشهد اقامة دولة دخيلة فى قلب هذه الأمة ، دولة غريبة تقام على أنقاض شعب فلسطين صاحب الأرض وصاحب الحق الشرعى فى بلده ٠

لقد شعرت الشعوب العربية - فى أعقاب حرب ١٩٤٨ - بأنها قد خدعت وغرر بها على أيدى حكام لم يتوافر لديهم الاخلاص والجدية والواقعية اللازمة ، بل كانت تحركهــم أطماعهــم الشخصية ومطالبهم الاقليمية الضــيقة ٠

كان الملك فاروق يهدف الى تحقيق زعامته للعالم الاسلامى بسبب عدم قبوله الملك عبد الله حاميا للمسجد الأقصى ، فى الوقت الذى كان يحاول فيه كسب ثقة وحب الشعب فى مصر بعد أن وصلت سمعته فيها الى الحضيض ، فى حين كان الملك عبد الله يطمع فى ضم المنطقة المخصصة للعرب من فلسطين الى مملكة شرق الأردن لكى يصبح زعيما للعرب ولمنافسة الملك فاروق فى زعامته للأمة العربية ، أما السوريون فكانوا يطمعون فى احتــلال أكثر ما يمكن من شمال فلسطين قبــل أن تصــل اليها يد الملك عبد الله ٠

تعلـق جريـــدة هــابوكر الاسرائيليــة على ذلك فى عددهــا الصــادر فى ١٩٤٧/١٢/١٢ :

« ان فاروق كان يهـدف الى السيطرة على السودان وليبيا والعــالم

(١) محمود متولى حادث ٤ فبراير - مرجع سابق ٠

(٢) سيد الله امام : « حكايات عن عبد الناصر » - الوطن العربى - الطبعة الثانية

العربى ، بينما كانت المملكة السعودية تريد أن تضم اليها أراضى اليمن ، فى حين كان هدف حكام سوريا ولبنان منع قيام مشروع سوريا الكبرى الذى كان الملك عبد الله يرغب فى تنفيذه ، يضاف الى هذا الخلاف المستحكم بين السعوديين والهاشميين » (١) ٠

كذلك كشفت حرب فلسطين عام ١٩٤٨ عن عدم الجدية التى ميزت تصرفات حكام العرب الذين دخلوا الحرب باعتبارها مظاهرة عسكرية تنهار على أثرها مقاومة اليهود فى فلسطين ويعلنون عن استسلامهم » ٠

يعلق على ذلك محمود فهمى النقراشى ـ رئيس وزراء مصر ابان حرب فلسطين ـ فى مؤتمر عاليه (أكتوبر ١٩٤٧) :

« أريد أن يعلم الجميع أن مصر اذا كانت توافق على الاشتراك فى هذه المظاهرة العسكرية (يقصد حرب فلسطين) فانها غير مستعدة قط للمضى أبعد من ذلك » ٠

كان حكام العرب فى تلك الآونة ينظرون الى قضية فلسطين باعتبارها صراعا جانبيا تعطيه من حماسها وتصفيقها القدر الذى لا يعوق سيرها اليومى ٠

يعلق على ذلك ، المجاهد الليبى « صالح مسعود بو يصير » قائلا (٢) :

« وهكذا فى ظل ميزانيات السلم التى لا تسليح فيها ولا تموين ولا احتياطى ، زحفت جيوش عربية قوامها جنود وضباط مخلصون وشجعان وقيادات سياسية تقبع وراء القصور فى معظم العواصم العربية بعيدة عن جدية المعركة وأخطار المستقبل البعيد ، وعن حاضر الشعب صاحب الأرض الذى تلاقت عليه المؤامرات الدولية والقرارات السرية والعلنية » ٠

كذلك دخلت الدول العربية بجيوشها المسلحة حرب فلسطين دون هدف واضح محدد لعدم وجود قيادة موحدة وذلك على الرغم من الاعلان عن وجود قيادة صورية بقيادة عبد الله ملك الأردن ٠

فبينما كان الهدف النهائى للقوات الاسرائيلية يتركز فى تدمير القوات المسلحة للدول العربية أولا ثم الاستيلاء على أكبر قسم من فلسطين يمكن احتلاله بقوة السلاح لتأسيس دولة اسرائيل المنشودة ،

---

(١) أحمد فراج طايع : « صفحات مطوية عن فلسطين » ٠
(٢) صالح مسعود أبو يصير : « جهاد الشعب الفلسطينى فى نصف قرن » ٠

كان اهتمام معظم الجيوش العربية ينحصر فى مجرد الاستيلاء على الأرض واحتلال المواقع الدفاعية بها الأمر الذى أدى الى تثبيت معظم القوات المصرية وربطها بالأرض ،وبذلك حرمت من فرصة الضرب المؤثر لتدمير القوة الضاربة الاسرائيلية التى أتيحت لها على هذا النحو الفرصة الكاملة لممارسة حرية المناورة وتسديد الضربات الموجعة للقوات المصرية التى اكتفت بالتشبث بالأرض فى المراحل الأخيرة للحرب ، بل ان الحكومة المصرية لم توضح أو تحدد لرئاسة هيئة أركان حرب الجيش أو هيئة العمليات فى اى وقت من الأوقات — الغرض الواضح من هذه الحرب التى تخوضها القوات ، بل كانت الأهداف المؤقتة تحدد للقيادة الميدانية تليفونيا أولا بأول وفى تدخل صارخ للساسة فى شئون الحرب ٠

لقد نتج عن تلك السياسة ارتباط القادة بالأراضى التى تحتلها القوات ، حيث أصبحت الأرض تمثل الهدف الواضح أمامهم ، كما تورطت قواتنا كذلك فى معارك لا لزوم لها الا المحافظة على الأرض ،كذلك لم تعن القيادة العسكرية بتقديم الاجابة الواضحة للجنود عن سبب خوضهم هذه الحرب أو حتى اقناعهم بعدالة القضية التى يقاتلون بها (١) ٠

يقول « محمد حسنين هيكل » (٢) :

« اعتقد أن تجربة فلسطين كانت مهمة ليس لجمال عبد الناصر فقط انما لمصر كلها ٠ وقضية فلسطين لم تكن واضحة تماما بالنسبة الينا فى مصر حتى عام ١٩٤٨ ، وهناك أمثلة تؤكد ذلك :

فى العهد الملكى كان هنالك نوع من الانبهار المصرى ، أو من بعض المصريين على الأقل ، باليهود الذين أتوا الى فلسطين ٠ وأتذكر أننى بعد مؤتمر بلودان عام ١٩٤٦ توجهت الى القدس وفى فندق الملك داوود رأيت مصطفى النحاس والملكة نازلى وأحمد حسنين ومصريين آخرين ، معظمهم من الباشاوات ، وعلمت أنهم أتوا للمعالجة والاستشفاء فى مستشفى « هداسا » بعدما تعذر عليهم السفر الى أوروبا بسبب الحرب ٠

مثل آخر : كل اليهود الذين أتوا من أوروبا الى فلسطين كانوا يمرون فى مصر ويقيمون فى معسكرات ٠

---

(١) محمد فيصل عبد المنعم « أسرار ١٩٤٨ » — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة ، ١٩٦٨ ٠

(٢) فؤاد مطر ٠ « بصراحة عن عبد الناصر » — حوار مع محمد حسنين هيكل » — دار القضايا — القاهرة ، ١٩٧٥ ٠

وتألفت لجنة لهجرة اليهود برعاية عدد من باشاوات مصر ، كما كانت هنالك لجنة تبرعات برئاسة مدام « قطاوى باشا » — وهى يهودية والوصيفة الأولى للملكة نازلى •

وفى منطقة الهرم ، اقيم معسكر لتدريب اليهود ، وفى برج العرب خصص مكان لمرابطة الفيلق اليهودى ووجهت الجامعة العبرية فى القدس مرة الدعوة الى « أحمد لطفى السيد » مدير الجامعة المصرية لالقاء كلمة ولم يتمكن من الذهاب الى القدس وسافر بدلا منه الدكتور طه حسين وألقى الكلمة •

وذات يوم شاهدت بن جوريون وايلياهو ساسون يدخلان القنصلية المصرية فى القطمون ومعهما مذكرة لتسليمها الى القنصل المصرى وكانت البيانات والمذكرات التى تصدرها الوكالة اليهودية ترسل منها نسخة الى مصر •

وحتى حرب فلسطين ١٩٤٨ لم نكن ندرك فى مصر الخطر الاسرائيلى وجاءت الحرب لتشكل نقطة تحول أساسية • وأعتقد أن عبد الناصر قبل حرب ١٩٤٨ كان مشغولا بالوطنية المصرية ولم يكتشف أهمية فلسطين الا بعد أن حارب على أرضها • وهناك أيضا اكتشف البعد القومى عندما وجد أن المصرى يقاتل الى جانب العراقى الى جانب السورى • فى فلسطين شاهد عبد الناصر الخطر وعاد بقناعة قومية •

ان الخطأ الذى بدأ واضحا خلال حرب ١٩٤٨ انما تركز — بعد ذلك كله — فى تدخل السياسة فى الحرب ، وذلك بدلا من تحديد الغرض بواسطة السياسيين قبل بدء الحرب ثم يترك أمر التنفيذ للقيادة العسكرية وللقادة المحليين فى ساحة القتال ، والذين يعملون على تنفيذه بحسب رؤيتهم الميدانية دون تدخل مباشر •

ويمكننا أن نقدم لذلك مثالا واضحا حينما طلبت القيادة السياسية فى القاهرة — يوم ٢٢ مايو ١٩٤٨ — من قيادة الجيش احتلال المجدل لأسباب سياسية ، فأرسلت الأخيرة اشارة عادية الى قائد القوات المصرية بفلسطين جاء فيها ثلاثة كلمات : (نريد المجدل اليوم) (١) وهكذا كلفت الكتيبة الأولى المشاة بتنفيذ هذه المهمة العاجلة والتى أتمتها فى ذات اليوم، الأمر الذى ترتب عليه اطالة خطوط المواصلات المصرية أكثر من اللازم ،

---

(١) محمد فيصل عبد المنعم • « أسرار ١٩٤٨ » — مكتبة القاهرة الحديثة — القاهرة ، ١٩٦٨ •

مما جعلها عرضة للقطع والتدمير بعد ذلك بقليل لتنشأ مشكلة حصار قوات الفالوجا .

كذلك دخلت الجيوش العربية الحرب دون اعداد مسبق للقتال فقد صرح النقراشي باشا — رئيس وزراء مصر وقتذاك — بأنه ما كان يرغب في دخول الحرب للنقص الملحوظ في العتاد ، كما صرح الفريق عثمان المهدى باشا رئيس أركان حرب الجيش : أنه ورجال القيادة المصرية لم يكونوا على استعداد لدخول الحرب وأنه عارض الاشتراك فيها بشدة .

أما اللواء أحمد باشا المواوى — قائد القوات المصرية بفلسطين — فقد كان يرى — على حق — أن الجيش المصرى لم يكن مدربا تدريبا كافيا ، بل انه لم يجر مناورة عسكرية واحدة خلال الفترة من ١٩٣١ — ١٩٤٧ ، وأن كل ما كان يقوم به الجيش المصرى قبيل حرب فلسطين كان الاشتراك في كسوة المحمل والمولد النبوى ومقاومة الفيضانات ومكافحة الجراد والكوليرا وحراسة الوزارات وقمع المظاهرات (١) .

يكتب « أنيس صايغ » : (٢)

لقد بدأ صغار الضباط المصريين الذين أتاحت لهم ثقافتهم واهتماماتهم الاطلاع على القضايا العربية المصيرية ما لم يكن متوافرا لجنودهم ، والذين لم تكن المناصب التى أفسدت كبار القادة الذين عملوا تحت قيادة الانجليز قد أفسدتهم ، فكانت المرارة والألم على مصير فلسطين ومصر وخضوعهما للنفوذ البريطانى حافزا لهؤلاء الضباط حديثى التخرج من الكلية الحربية لكى يؤسسوا الخلايا الأولى عام ١٩٣٩ فيما عرف بعدئذ بالضباط الأحرار ، وهم الذين تطوعوا — بعد ٩ سنوات — في صفوف المجاهدين للقتال ضد الصهيونية في فلسطين ، وتمكنوا بعد نهاية الحرب بأربعة سنوات من خلع نظام الحكم الملكى الرجعى ، والذى اعتبروه مسئولا — مع غيره — عن ضياع فلسطين وبذلك وضعوا لمصر سياسة عربية قومية تجعل من تحرير فلسطين هدفا قوميا رئيسيا .

ثم جاءت الهزيمة الأولى في حرب ١٩٤٨ على أرض فلسطين العربية ، والتى فجرت حقيقة هامة تتركز في أنه لا حياة ولا حرية بوجود الاحتلال

---

(١) مجلة المصور المصرية — العدد ١٩٦٨ الصادر في ١٩٥٣/٥/١٣ (عن كتاب التعاون العسكرى العربى للعميد الركن حسن مصطفى — دار الطليعة — بيروت) .

(٢) أنيس صايغ : « فلسطين والقومية العربية » — مركز الأبحاث ، م.ت.ف ، بيروت ، ١٩٦٦ .

البريطانى الجاثم على صدر البلاد منذ أن سكتت مدافع أحمد عرابى عام ١٨٨٢ • كانت كتائب الجيش ـ التى حرمها الانجليز من التدريب والتسليح طويلا ـ تتحرك الى فلسطين فتتعرض ـ عندما تعبر كوبرى الفردان على قناة السويس ـ للتفتيش على أيدى القوة التى أقامت اسرائيل، ولا عجب فقد كانت منطقة القناة بأسرها تمثل قاعدة عسكرية ضخمة تهدد مصر والمصريين بل وتستطيع ـ فى أى وقت شاءت ـ أن تقطع طريق المواصلات الوحيد بين الجيش المقاتل فى فلسطين وبين قاعدته الادارية فى الدلتا والقاهرة ، وكان هذا المشهد وحده يكفى لكى يؤجج نيران الثورة فى نفوس ضباط هذا الجيش الذى عانى الأمرين على أيدى جلاديه •

يقول الرئيس الراحل جمال عبد الناصر : (١)

« وجاءت القطرة الأخيرة التى طفح الكيل بعدها •• ففى مايو ١٩٤٨ أنهت بريطانيا انتدابها على فلسطين وأحسسنا جميعا بأن اللحظة جاءت للدفاع عن حقوق العرب ضد ما اعتبرناه انتهاكا صارخا لا للعدالة الدولية وحدها ، ولكن لكرامة الانسان كذلك •

لقد اتضح لى أن المعركة الحقيقية هى بالفعل فى مصر ، فبينما كنت ورفاقى نحارب فى فلسطين كان السياسيون المصريون يكدسون الأموال من أرباح الأسلحة الفاسدة •• ولقد كان من الضرورى تركيز الجهود لضرب أسرة محمد على ، فكان الملك فاروق هو هدفنا الأول من نهاية عام ١٩٤٨ الى عام ١٩٥٢ •

« كانت الفالوجا محاصرة ، وكان تركيز العدو عليها ضربا بالمدافع والطيران هائلا مروعا • وكثيرا ما قلت لنفسى : ها نحن أولاء هنا فى هذه الجحور محاصرين •

لقد غرر بنا ودفعنا الى معركة لم نعد لها ، لقد لعبت بأقدارنا مطامع وشهوات ، وتركنا هنا بغير سلاح • ولطالما ألح « على خاطرى سؤال : هل كان يجب أن نقوم نحن الجيش بالذى قمنا به فى ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ؟

لقد كنا نشعر شعورا يمتد الى أعماق وجودنا بأن الذى قمنا به فى ٢٣ يولية هو واجبنا وأننا اذا لم نكون قد تخلينا عن أمانة مقدسة نيط بنا حماها » •

---

(١)عبد الله امام • « حكايات عن عبد الناصر » ـ مرجع سابق •

(٢) فلسطين الثورة : مصلحة الاستعلامات ـ القاهرة • ١٩٦٦ •

« كنا نحارب فى فلسطين ، وأحلامنا كلها كانت فى مصر ، كان رصاصنا يتجه الى العدو الرابض أمامنا فى خنادقه ، ولكن قلوبنا كانت تحوم حول وطننا البعيد الذى تركناه للذئاب نرعاه .. وكان شغلنا الشاغل وطننا الذى يتعين علينا أن نحاول انقاذه .

ولما انتهى الحصار (فى الفالوجا) . وانتهت المعارك فى فلسطين وعدت الى الوطن ، كانت المنطقة كلها فى تصورى قد أصبحت كلا واحدا ، وأيدت الحوادث التى جرت بعد ذلك هذا الاعتقاد فى نفسى ، كنت أتابع تطورات الموقف فيها فأجده أصداء يتجاوب بعضها مع بعض ، كان الحادث يقع فى القاهرة فيقع له مثيل فى دمشق وفى بيروت وفى عمان وفى بغداد وغيرها ، وكان ذلك كله طبيعيا مع الصورة التى رسمتها التجارب فى نفسى .. منطقة واحدة .. ونفس الظروف ونفس العوامل .. بل ونفس القوى المتألبة عليها جميعا ، وكان واضحا أن الاستعمار هو أبرز هذه القوى » .

القسم الثــانى

مساندة القوات المسلحة المصرية لثورة الجزائر

نموذج للدراسـة

تأييد مصر الثورة لحركات التحرير العربية
ومساندة ثورة الجزائر كنموذج للدراسة

مساندة حركات التحرير فى كل مكان :

لقد تبدلت الصورة تماما بعد قيام الثورة فى مصر يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، وبعد أن تحررت البلاد من احتلال بريطانى دام قرابة السبعين عاما • فرأينا مصر الثورة تعمد الى كسر احتكار السلاح ـ انطلاقا من مبدأ الحق المسلح بالقوة ـ فاتجهت الى الكتلة الشرقيـة فى تسليح قواتهـا المسلحة ، بعد أن أقام الغرب العراقيل ازاء امداد مصر بالسلاح ، واتجهت حكومة مصر الثورة الى تدعيم حركات التحرير فى المنطقة العربية بكل قواها ، الأمر الذى انعكست آثاره فى انحاء القارة الأفريقية بل وفى بعض دول أمريكا اللاتينية كذلك ، بدءا بمساندة ثورة الجزائر التى اندلعت فى الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ والتى نورد على الصفحات التالية تفصيلا لها ، ودعم الجمهورية السوريـة مما أدى الى قيام دولة الوحـدة عـام ١٩٥٨ (١) ثم ثورة العراق (١٩٥٨) ودعم الثورة اليمنية التى طلبت العون من مصر فسارعت بالاستجابـة (١٩٦٢) (٢) والثورة الليبيـة

---

(١) كانت مصر الثورة تستند الى حتمية تاريخية تتركز فى أن أمن مصر موجود فى سوريا ، وأن أمن سوريا موجود فى مصر •

(٢) « اذا كان الجيش الفرنسى أيام الحملة الفرنسية على مصر قد قام فى مصر بدور تحديثى ، بمعنى أنه كسر استمرار عصر المماليك وفتح افاق العلم أمام المصريين ، فان الجيش المصرى بانتمائه القومى قام بدور مماثل تقريبا فى الجزيرة العربية من خلال وجوده فى اليمن بضع سنوات ، فقد أسقط حكم الملك سعود وجاء الملك فيصل ليبـدأ عملية تحديث للدولة السعودية ، وبدأ الأمراء يتعلمون واصبحت هناك رغبة بل حاجة الى الاتصال بالعصر •

(١٩٦٩) ، هذا الى جانب الوقوف الى جانب دول الخليج والجنوب العربى حتى تم لها الاستقلال جميعا فى مطلع السبعينيات ٠

وبطبيعة الحال ، لم يكن هذا ليتيسر لو لم تتحرك مصر من تبعية النفوذ البريطانى وقيامها بالعمل على وضع مبدأ اقامة الجيش الوطنى القوى موضع التنفيذ منذ اليوم الأول لقيام الثورة ٠

ولا يقلل من هذا ، تلك الهزيمة العسكرية التى حاقت بقواتنا المسلحة فى الجولة العربية ـ الاسرائيلية الثالثة فى يونيو ١٩٦٧ حيث أنه في تلك الجولة لم تحدث مواجهة تقريبا بين القوات المصرية وجيش الدفاع الاسرائيلى ، فالثابت أن أربعة أخماس القوات المصرية لم تتح لها فرصة القتال ضد القوات الاسرائيلية بشكل جدى ، بعد أن صدرت اليها الأوامر المتضاربة الخاطئة من قيادتها العامة فى القاهرة بالانسحاب ، فى حين لم يكن الوضع القتالى وقت صدور هذا الأمر ـ ثانى أيام القتال يوم ٦ يونيه ـ يبرر ذلك على الاطلاق ، لأننا اذا استعرضنا الوضع القتالى فى ذلك اليوم ، فسوف نتبين على الفور أن القوات الاسرائيلية ـ على الرغم من قيامها بتدمير سلاح الجو المصرى واخراجه من المعركة صباح يوم ٥ يونيه ـ لم تكن قد نجحت على الجبهة المصرية الا فى دق أسفين من رفح الى العريش بعمق ٥٠ كيلو مترا فحسب ، ولكن التشكيلات المصرية أصيبت بأفدح الخسائر نتيجة لتنفيذ أمر الانسحاب الصادر اليها على النحو المتقدم ، لتفترسها مقاتلات السلاح الجوى الاسرائيلى فى طول شبه جزيرة سيناء وعرضها بعد أن حرمت من غطائها الجوى فى الساعات الأولى من الحرب ٠

أما اذا استعرضنا أحداث حرب ١٩٤٨ ، فسوف نتبين أن المواجهة مع الجيش الاسرائيلى كانت مواجهة جزئية لا يمكن الحكم على أساسها بشكل دقيق بسبب وقوع معظم الدول العربية آنذاك تحت سيطرة

= وأن استقلال الجنوب العربى كان نتيجة مباشرة لتدخل مصر عسكريا فى اليمن ، لقد أحدث هذا التدخل تغييرا أساسيا وجذريا فى شبه جزيرة العرب واصبح هناك وعى استراتيجى عربى ٠ وبسبب وجود الجيش المصرى قرب منابع النفط ، أصبحت الشركات الأمريكية والبريطانية هناك تتعامل بشكل مختلف مع القوى المحلية صاحبة الثروة النفطية لأنها شعرت أن هنالك قوة عربية قريبة من منابع النفط ٠

ان هذه الايجابيات جعلت الغرب يتآمر بعد ذلك على الثورة المصرية وعلى تجربة عبد الناصر وظهر التكالب واضحا فى عدوان ١٩٦٧ » ٠

(عن كتاب « بصراحة عن عبد الناصر » حوار مع محمد حسنين هيكل ـ فؤاد مطر دار القضايا ـ القاهرة ، ١٩٧٥) ٠

الاستعمار الانجليزى / الفرنسى من جهة ، وانعدام تبلور طبيعة الاستراتيجيات الاسرائيلية والعربية من جهة أخرى .

كذلك تميزت حرب ١٩٥٦ – الجولة المسلحة الثانية – بالقليل جدا من المواجهة بسبب تلك الظروف السياسية والعسكرية الشاذة التى سادت آنذاك بسبب تدخل دولتين كبيرتين فيها الى جانب اسرائيل وما تبع ذلك من اصدار أمر الانسحاب الاستراتيجى للقوات المصرية الضاربة فى سيناء لتقوم بالاشتراك – اعتبارا من يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ – فى معركة الدفاع عن الوطن الأم فى بور سعيد .

تأسيسا على ذلك يمكننا القول بأن حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت الاختبار الحقيقى والميدانى والحاسم للحكم على نوعية الجندى المصرى وأداء الجيش المصرى لأن هذه الحرب مثلت المواجهة الحقيقية الأولى والتى جرت فى ظروف متكافئة – على الأقل حتى يوم ١٤ أكتوبر – حينما بدأت الولايات المتحدة الأمريكية تلقى بثقلها العسكرى – من ناحية التسليح – الى جانب اسرائيل (١) .

ولم يكن قد مضى أكثر من ٢٧ شهرا على قيام ثورة ٢٣ يوليه فى مصر حينما اندلعت الشرارة الأولى لثورة الجزائر فى فجر الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ وبادر الثوار بتوجيه أعنف الضربات للقوات الفرنسية بعد أن قاموا بالاستيلاء على كميات من الأسلحة والذخيرة أتاحت لهم الفرصة لتسليح عدد من المناضلين ، وهكذا قضت هذه الثورة على آمال فرنسا فى تحويل الجزائر الى مقاطعة فرنسية ، علاوة على القضاء على آمالها فى توجيه ضرباتها من الجزائر ضد حركة المقاومة الشعبية فى كل من تونس ومراكش .

ولقد بادرت مصر الثورة – منذ اليوم الأول لانتفاضة الشعب الجزائرى – الى تأييدها حينما قامت اذاعة صوت العرب من القاهرة

---

(١) أنشأت وزارة الدفاع الامريكية جسرا جويا ضخما الى اسرائيل أطلق عليه « نيكل جراس » حمل اليها الدبابات والصواريخ وقطع الغيار وذلك اعتبارا من يوم ٩ اكتوبر ، فى ١٤٢٢ طلعة جوية على طائرات (جالاكسى) و (ستارليفتر) العملاقة ، كما قامت بتجريد بعض فرق الجيش الامريكى من أسلحتها لدفعها الى اسرائيل ، كذلك أصدرت تعليماتها بامداد الجيش الاسرائيلى بالدبابات والصواريخ من المخزون الاستراتيجى لحلف الأطلنطى فى القارة الأوربية .

محمد فيصل عبد المنعم : « عندما سقطت السماء فوق اسرائيل » – دار الشعب القاهرة ، ١٩٧٥ .

بالتعريف لهذه الثورة وتشجيع المناضلين الجزائريين وتأليب الرأى العام العالمى على فرنسا ، فى ذات الوقت الذى اتخذت فيه حكومة الثورة جانب الثورة الجزائرية ٠

ولما كانت أقدار الجيش المصرى قد عادت الى أيدى أبناء مصر ، بعد ان انتهى الوجود البريطانى فيه منذ عام ١٩٤٧ ، فقد اتخذ الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وقتذاك قراره بدعم الثورة بالأسلحة والذخيرة وفتح مخازن الجيش المصرى لامداد الثوار الجزائريين بما يلزمهم للاستمرار فى الثورة ضد سلطات الاحتلال الفرنسى ٠

لقد استخدمت حكومة مصر فى البداية احدى قطع الأسطول المصرى (انتصار) والذى غادر ميناء الاسكندرية ليلة ٥/٦ ديسمبر ١٩٥٤ تحت ستار القيام برحلة تدريبية ليقوم بتفريغ حمولته بواسطة القوارب الصغيرة فى احدى الموانىء المهجورة شرقى طرابلس حيث قام المناضل (أحمد بن بيللا) ورفاقه بنقلها الى الجزائر (١) ٠

وقد توالى امداد ثورة الجزائر بشحنات متتالية من الأسلحة والعتاد والذخيرة ، وكان لهذه المساعدات المصرية أكبر الأثر فى نجاح الكفاح الجزائرى (٢) ٠

ونورد فيما يلى تقييما للوضع فى الجزائر بعد ٩ شهور من اندلاع الثورة ، والذى يتبين منه ازدياد خسائر القوات الفرنسية بعد بدء الدعم المصرى من السلاح :

---

(١) فتحى الديب : « عبد الناصر وثورة الجزائر » ـ دار المستقبل العربى ، القاهرة ، ١٩٨٤ ، وقد بلغت هذه الشحنة .

١٠٠	بندقية لى انفيلد ٣٠٣ر٠	ـ ١٠	رشاش برن ٣٠٣ر٠
٢٥	بندقية رشاشة تومى ٤٥ر٠	ـ ٥	كأس اطلاق
٨٠ ٠٠٠	طلقة ذخيرة ٣٠٣ر٠	ـ ٠ ٠ر١٨	طلقة ٣٠٣ر٠ للرشاش البرن
٦٥٠ ٢٤	طلقة ٤٥ر٠ للرشاشة التومى	ـ ٠٠٠ر١	طلقة ٣٠٣ر٠ خارقة للدروع
١٠٠٠	طلقة ٣٠٣ر جارتة	ـ ١٢٠	قنبلة يدوية طراز « ميلز »

(٢) تم شحن اليخت المصرى (دينا) بكمية من الأسلحة والذخيرة يوم ١٩٥٥/٣/٢٤ على النحو التالى :

٢٠٤	بندقية ٣٠٣ر٠	٢٠	رشاش برن ٣٠٣ر٠
٢٦٠	خزينة للرشاش البرن	٣٤	كأس اطلاق
٣٨	بندقية رشاشة تومى ٤٥ر٠	٢٣٠٠٠	طلقة ٣٠٣ر٠
٥٠٠ر١٦٦	طلقة ٣٠٣ر٠ للرشاش البرن	٣٥٦	قنبله يدوية ميلز ٣٦
٠٠٠ر١٣٦	طلقة ٤٥ر٠ للتومى	٤٠٠٠	كبسول طرقى
٥٠	علبة كبريت هواء		

خسائر الجانب الجزائرى :

تدمير ٥٠٠٠ منزل ٢٠٠٠ قتيل من الأهالى المدنيين

٧٠٠ قتيلا فى جيش التحرير الجزائرى .

خسائر الجانب الفرنسى :

٣٠٠٠ قتيل من القوات الفرنسية (منهم ٣٠ ضابط) .

٣٠ جندى أسير (تحت يد جيش التحرير) .

٦٠ جندى أسير من الفرقة الأجنبية انضموا بأسلحتهم لجيش النحرير ويقاتلون فى صفوفه .

٦٠٠ قتيل جزائرى من الخونه المعاونين مع فرنسا .

٥٠٠ قطعة سلاح مختلفة بذخيرتها استولى عليها جيش التحرير .

٢٠٠ سيارة عسكرية فرنسية تم تدميرها .

كذلك تعاقدت السلطات المصرية على شراء ألف قطعة سلاح (رشاشات وبنادق) من أسبانيا واشترت كميات من الأسلحة عن طريق بعض المهربين الدوليين (بواسطة مندوبى الكفاح الجزائرى بأوروبا) كما جرى اعداد صفقة من ٣٥٠ رشاشا من مصانع (بوتا) الايطالية و (١٥٠٠) قطعة سلاح كانت ملكا للجامعة العربية فى مخازن الجيش السورى تم

كما تم شحن نفس اليخت بكمية اخرى من الأسلحة والذخيرة لثوار مراكش على النحو التالى :

٩١	بندقية ٣٠٣ر٠	١٠	رشاش برن
١٢٠	خرنة للرشاش البرن	١٦	كأس اطلاق
٨٢٥٠٠	طلقة للبرن	١٨٠٠٠	طلقة ٣٠٣ر٠
٣٢	بندقية رشاشة تومى ٤٥ر٠	١٤٤	قنبلة يدوية ميلز ٣٦
٦٤٠٠٠	طلقة للتومى ٤٥ر٠	١٥٠	متر فتيل مأمون
٢٠٠٠	كبسول طرقى		

استحضارها لاصلاحها بورش الصيانـة المصرية ونقلت الى جبهة القتال الشرقية فى الجزائر بالأوراس ٠

وفى خريف ١٩٥٥ قامت السلطات المصريـة بشراء مركب حمولـة ٦٠٠ طن خصصت لنقل شحنات الأسلحة للمناضلين الجزائريين (١) وقامت بنقل شحنات كبيرة من البنادق والرشاشات البراونتج والطبنجات والذخيرة اللازمة والقنابل اليدوية ونظارات الميدان والبوصلات المنشورية مما حدا بقيادة الثورة الجزائريه الى تحديد ليلة ١/٢ أكتوبر ١٩٥٥ لبدء الكفاح بجبهتى وهران ومراكش بعد وصول هذه الشحنة حيث استمرت الهجمات لمدة ٣ ليال متوالية الأمر الذى كبد القوات الفرنسية خسائر جسيمة فى الأرواح سواء فى جبهة وهران أو مناطق الريف والأطلس المتوسط بمراكش كما انعدمت المقاومـة الفرنسية فى الناضور بعد المعـركة الكبرى التى نشبت مساء الأربعاء ١٩٥٥/١٠/٤ على الرغم من تدخل الطيران الفرنسى فى المعركة ٠

لقد تبلورت نتائج هذا الاشتباك فى خسائر على الجانب الفرنسى تمثلت فى ٢٤٠ قتيلا ما بين ضابط وجندى ، ٣٣٠ جريح و ٣٠٠ بندقية و ٥٠ مدفـع رشاش ثقيل و ٢٠ مدفـع رشاش خفيف وذلك فى مقابل ١٢ قتيلا و ١٥ جريحا فى جيش التحرير الجزائرى ٠

١٩٥٦ عام الأحداث الجسام :

لقد تصاعدت الأحداث فى عام ١٩٥٦ بعد أن اجتمع ممثلو جيش التحرير للمغرب العربى فى القـاهرة لرفع شـكرهم للرئيس جمـال عبد الناصر وحكومة مصر على ما قدمته للمغرب العربى من عون كبير فى سبيل تقوية الكفاح المسلح ، وتم فى هذا الاجتماع اعتزام القيادة المشتركة فتح ثلاث جبهات جديدة بمراكش قبيل مارس ١٩٥٦ لتشتيت المجهود الحربى للجيش الفرنسى قبـل هجوم الربيع المنتظر وذلك فى مناطـق (عزاوة / سوس / جبال الأطلس الوسطى) ، كما تم الاتفاق على تعزيز الجبهات بكمية مناسبة من الأسلحة (٢) ٠

---

(١) تمهيدا لقرار امداد الجبهة الغربية باحتياجاتها من الذخيرة ، قامت السلطات المصريه بتجهير الشحنة الجديدة والتى تضمنت طلقات ٧٫٩٢ ملم و ٠٫٣٠٣ انجليزى وفتيل انفجارى وقوالب ت٠ن٠ت شديدة الانفجار ومقذوفات مصادة للدبابات وطلقات هاون شديدة الانفجار ومعدات النسف وأجهزة لاسلكى ٠٠ الخ ٠٠ وارسلت فى ١٩٥٥/١٠/١٤ على اليخت المصرى « حود هوب » ٠

(٢) بلغت : ٨٠٠ بندقية ـ ٢٠ مدفع هاون ـ ٣٠٠ مسدس ـ ٦ رشـاش مضادة للطائرات ـ ١٠٠٠ قنبلة يدوية ـ ٦ جهاز لاسلكى ـ ٥٠٠ كيلو متفجرات ٠

أما بالنسبة للجزائر ، فقد تضمنت الخطة قيام جبهة وهران بتعزيز الجبهات العاملة من حيث الكم والكيف مع تطوير أساليب التدريب وارسال عدد من الخبراء للتدريب بالقاهرة على التخصصات التى يحتاجون اليها (وبخاصة أعمال الاتصال اللاسلكية) (١) ٠

وقد نتج عن انعقاد هذا المؤتمر ازدياد حجم الأسلحة المرسلة من مصر الى الجزائر وبخاصة أن القوات المسلحة المصرية كانت قد بدأت فى تلك الآونة فى تلقى الأسلحة من الكتلة الشرقية ، وبذلك جرى ارسال معظم الأسلحة الغربية الى الجزائر (٢) على ٤ دفعات فى يناير ومارس وأبريل ويولية ١٩٥٦ ٠

وعلى الرغم من احتجاج الحكومة الفرنسية لموقف مصر المساند للثورة الجزائرية ، الا أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قرر الاستمرار فى دعم الكفاح المسلح الجزائرى «بكل طاقاتنا وقدراتنا المتاحة مهما كانت التضحيات التى يتحملها الشعب الجزائرى ونتحملها نحن معه شعب مصر ، وهذا حقه علينا كثورة تحررية رائدة فى الوطن العربى قامت لا لتحرر أرض مصر وحدها ، بل لتحرر كل الأرض العربية » ٠

الحكومة الفرنسية تشكو مصر لمجلس الأمن :

وفى يوم ٢٦ يولية ١٩٥٦ أصدر الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قراره التاريخى بتأميم قناة السويس شركة مساهمة مصرية ، وبعدها بخمسة أيام — فى الاول من أغسطس — اجتمع بأحمد بن بيللا وفرحات عباس وقادة الثورة الجزائرية الذين جاءوا الى القاهرة لتقديم الشكر للرئيس المصرى لمساندته قضية الجزائر عسكريا وسياسيا واعلاميا وماديا وتهنئة الرئيس بقراره التاريخى بتأميم القناة ، وفى هذا الاجتماع قرر الرئيس اعتماد مبلغ من المال (٢٥٠ر١ مليون جنيه مصرى) للصرف منها

---

(١) ١٠٠٠ قطعة سلاح : (٦٠٠ بندقية — ٢٥٠ رشاش — ١٥٠ رشاش خفيف برن — ٦٠ باروكا) — ٥ رشاش ثقيل — ١٥ هاون — ٥٠ مسدس — ٣٠٠٠ قنبلة يدوية — طن مفرقعات ، علاوة على الذخيرة اللازمة ٠

(٢) تضمنت هذه الشحنة الكميات التالية من الأسلحة :

٣٢٠ بندقية ٩٢ر٧ مللم — ٢٣٦ بندقية ٣٠٣ر٠ — ١٠٠ رشاش لانكستر — ٢٣ رشاش ماو — ١١ رشاش فيكرز ٣٠٣ر٠ — ٥٠ مسدس برتا ٩ مللم — ٥ وصلة انيرجا ضد الدبابات — ٢٠٠ خزنة لزوم لانكستر — ٤٠ شريط للفيكرز — ٠٠٠ر٢٠ طلقة ٩٢ر٧ مللم — ٠٠٠ر٥٠ طلقة ٩ مللم للانكستر — ٥٠٠ قنبلة يدوية — ٦٠٠ طلقة ٩ مللم للمسدس — ٢٠٠ قنبلة انيرجا مضادة للدبابات ٠

على احتياجات الكفاح فى كافة المجالات ، بالاضافة الى استمرار امداد الثوار بالأسلحة والذخيرة بدون مقابل من مخازن الجيش المصرى ·

وتأسيسا على ذلك ، قامت السلطات المصرية — فى أكتوبر ١٩٥٦ — بشحن كمية كبيرة من العتاد الحربى على المركب (آتوس) التى غادرت ميناء الاسكندرية فى طريقها الى خليج « كاب داجوا » حسب الخطة، الا أن السلطات البحرية الفرنسية قامت بالقبض على السفينة واستولت على شحنة الأسلحة،وبعدها بأربعة أيام قامت باختطاف زعماء الثورة الجزائرية : أحمد بن بيللا ومحمد خيضر ومحمد بوضياف وحسين آيات وأعقبت ذلك بتقديم شكوى الى مجلس الأمن ضد الحكومة المصرية ·

الأسلحة الغربية من تشيكوسلوفاكيا الى الجزائر :

وفى فبراير ١٩٥٧ ، قامت السلطات المصريه بالتعاقد سرا مع تشيكوسلوفاكيا على صفقة أسلحة غربية من مخلفات الحرب العالمية الثانية ممتازة ، على أن تشحن هذه الاسلحة الى الاسكندرية ومنها يكون للحكومة المصرية الحق فى التصرف فيها كيفما تشاء ، وقد شملت هذه الصفقة رشاشات م ٤٢ (٥٠٠) ورشاشات م ٣٤ (٦٠٠) وهاونات ٨٢ مللم (١٠٠) ورشاشات قصيرة ٩ مللم (٣٠٠٠) وقنابل يدوية (٣٠ر٠٠٠) وبنادق ٧ر٩٢ (٦٠٠٠) وطبنجات ٩ مللم (٥٠٠) وعشرة ملايين طلقة ٧ر٩٢ مللم ودانات للهاون (٢٠٠٠٠) و ٥ ملايين طلقة ٩ مللم ·

ولم يتوقف امداد مصر الثورة للثورة الجزائرية بمختلف أنواع الاسلحة والعتاد الحربى عن طريق البر بعد أن تم الاتفاق مع بعض التجار الليبيين للاستفادة من سيارات النقل المملوكة لهم والتى كانت تسير بانتظام لنقل البضائع بين مصر وليبيا ، حيث تم امداد الجبهه الشرقية للجزائر بالعديد من شحنات الأسلحة والذخيرة والتى كانت تأخذ طريقها الى المخازن المعدة قرب الحدود الليبية / التونسية وليتم تهريبها الى الجزائر على دفعات ، كما تم تهريب العديد من شحنات الأسلحة والذخيرة لولايات قسطنطينة والأوراس والجزائر ، وكانت تشمل البنادق والرشاشات القصيرة والخفيفة والهاونات والقنابل اليدوية والطبنجات ومعدات التفجير ·· الخ ، وكانت السلطات المصرية تراعى على الدوام تنويع أصناف السلاح والذخيرة استجابة لطلب قادة الولايات بالداخل لمواجهة المخطط الفرنسى الجديد لشن هجومهم الواسع على جميع أنحاء الجزائر ·

على أن الأمر لم يقتصر على مساندة مصر الثورة للكفاح الجزائرى بالسلاح والذخيرة ، فأن الحكومة المصرية لم تجد سبيلا الا وسلكته من أجل

هذه المساندة الفعالة • فقد استمرت حملات اذاعة صوت العرب من القاهرة أقامت الدنيا وأقعدتها ، كذلك توالى التأييد السياسى من حكومة مصر الثورة ومن الرئيس جمال عبد الناصر سرا وعلانية لنصرة الجزائر الثائرة ، كما قامت القوات المسلحة المصرية بتدريب عشرات الضباط الجزائريين فى الكلية الحربية ومختلف المعاهد العسكريه طوال سنوات الثورة •

وفى سبتمبر ١٩٥٧ ، انعقد المؤتمر الوطنى للثورة الجزائرية بالقاهرة واستغرق المؤتمر أربعة أيام وتضمنت أجندة المؤتمر الموضوعات التالية :

١ ـ توزيع الاختصاصات بين القيادة العسكرية بالداخل ولجنة التنسيق بالخارج •

٢ ـ تعيين المقر الرسمى لقيادة الجيش والجبهة بالخارج وأسلوب تعاملها مع الخارج والداخل •

٣ ـ اعداد دراسة كاملة وتفصيلية للموقف العام للثورة الجزائرية لعرضها على المؤتمر الوطنى •

٤ ـ تحديد نوعية اللجان التى سيوكل اليها ادارة شئون الثورة فى الداخل والخارج عسكريا واداريا وسياسيا وتوزيع الاختصاصات بينها •

٥ ـ تحديد الحد الأدنى للشروط الواجب توافرها قبل الدخول فى أية مفاوضات مع فرنسا وقبل ايقاف اطلاق النار •

وقد تضمنت قرارات المؤتمر عدة توصيات منها اقرار مبدأ رفض الدخول فى أية مفاوضات مع فرنسا مالم تعترف باستقلال الجزائر أولا ، والاصرار على عروبة الشعب الجزائرى واقرار مبدأ حرية تنقل لجنة التنسيق ما بين مصر وتونس ومراكش للاشراف على شئون الكفاح الجزائرى •

وفى عام ١٩٥٨ ازداد معدل امداد الجزائر بالأسلحة ، وليس أدل على ذلك من أنه خلال الفترة من يناير ١٩٥٨ الى ٣١ أغسطس من ذات العام، تم تدعيم الثورة هناك بالأسلحة التالية :

٢٠١٠	بندقية موزر ٩ مللم	١ر٥	مليون طلقة ذخيرة
٤٠٠٠	بندقية ٧ر٩٢ مللم	١٠	مليون طلقة ذخيرة
٦٠٠٠	بندقية ٣٠٣ر	٣ر٥	مليون طلقة ذخيرة
١٠ر٠٠٠	بندقية نصف آليه ٧ر٩٢	١٤	مدفع رشاش ألفا متوسط
١٠٠٠	رشاش برن ٣٠٣ر	٠ر٥	مليون طلقة ذخيرة
٢٧٦٠	رشاش متوسط	٢٠٤	رشاش ألمانى م ـ ٤٢

٢٠٠٠	قنبلة يدوية ٣٦ ميلز	
٣٠٠	رشاش برتا ٩ مللم	١٠٠ر٠٠٠ طلقة ٩ مللم
٢٠	وصلة انيرجا م / د	٢٥٠ لغم مضاد للدبابات
٢٦٠	لغم مضاد للأفراد	٥٠٠ كيلو جرام بارود أسود
١٠٠٠	قالب ت ٠ ن ٠ ت	٥٠٠ كيلو جرام جلجنايت
٥٠٠٠	قالب قطن بارود	٢٠٠ بادى قطن بارود
٢٥٠	كيلو نوبل ٨٠٨	٦٠٠٠ متر فتيل مأمون
١٠٠٠	مشعل	٦٠٠٠ مفجر طرقى نمرة ٨
١٠٠٠	مفجر كهربائى	٣٥٠٠ طوربيد بنجالور
٢٠٤	قنبلة أنيرجا مضادة للدبابات	
١٠٠	قنبلة م /د	٤جهاز لاسلكى
٢٤	وصلة اطلاق انيرجا	٢٧٠٠ ذخيرة مضادة للدبابات

التدريب على تدمير خط موريس المنيع :

وفى عام ١٩٥٨ ، كلف سلاح المهندسين المصرى بوضع خطة لتدمير المانع الفرنسى المعروف بخط (موريس) — وهو مجموعة من النقط القوية الحصينة على غـرار خط ماجينو ويتألف من الأسلاك الشائكة والمكهربـة والألغام بطول ١٥٠ كيلو مترا ، ويتضمن هذا الخط الحصين شراكا خداعية تحت الأرض وبأعماق مختلفة ونقطا للحراسة على أبعاد تتراوح بين ٧ كيلو متر لتشتمل كل النقط على قوة مدرعة وقوة من المشاة تجوب الفواصل بين الموانع ، كما يغطى المانع بأكمله غـلالة من نيران المدفعية الميدانية ونيران الرشاشات ٠

وقد أعد الخبراء العسكريون المصريون بعد زيارات ميدانية خطهلتدمير المانع فى شهر أكتوبر ١٩٥٨ تضمنت الأسس التالية :

١ — اسام الاقتحام للخط فى ليلة مظلمة غير ممطرة ، لتجنب أضرار التيار الكهربائى ٠

٢ — التدريب المكثف للقوة المكلفة بتدمير المانـع وعلى طول امتـداده فى ٢٥ قطاعا ، مع الاستكشاف الجيد والدقيق لكل قطاع بمعرفة قائد الاقتحام ٠

٣ — أهمية الالتزام بالسرية التى يتوقف عليها نجاح الخطة ٠

٤ ـ توفير احتياطى للتعامل مع العدو وحماية مجموعات الاقتحام والقيام بعدة هجمات خداعية ٠

٥ ـ يتم تنفيذ الخطة بأكملها خلال ساعة واحدة ٠

٦ ـ يحتاج تنفيذ الخطة الى نحو (٦٫٠٠٠)مقاتل لتدمير المانع فى ٢٥ قطاعا ٠

ومما يذكر أن سلاح المهندسين المصرى قام بانشاء جزء مماثل تماما لخط موريس بمنطقة الاهرامات خلف أهرامات الجيزة بطول ١ كيلو متر تقريبا ، للتدريب عليه بواسطة الضباط الجزائريين الذين كانوا قد تخرجوا لتوهم من الكلية الحربية المصرية ، وقد تم تنفيذ الاقتحام ـ خلال التجربة ـ بنجاح ، وبناء عليه ، قامت الحكومة المصرية بتسليم الثورة الجزائرية كمية كبيرة من المتفجرات والألغام لحث الثورة على تدمير الخط المنيع (١) ٠

بيان ديجول :

وفى ١٤ يولية ١٩٦٠ ، أعلن الجنرال ديجول بيانا دعا فيه قادة الثورة الجزائرية للتوجه الى باريس للتوصل الى حل للقضية الجزائرية ووقف القتال ٠

وبدأت مفاوضات (ميلون) بعد أن قامت كل من فرنسا والجزائر بتعيين ممثليها ، وكان واضحا منذ البداية عدم جدية الجانب الفرنسى فى التوصل الى اتفاق ، وبالفعل انتهت مفاوضات (ميلون) بالفشل وعاد الوفد الجزائرى الى بلاده دون تحقيق أى نجاح ٠

الا أن الجنرال ديجول اضطر مرة أخرى ـ ازاء تدهور الأوضاع الاقتصادية فى فرنسا وتفاقم المشاكل الداخلية والخارجية ـ الى الرضوخ

---

(١) اشتملت هذه الكمية ضمن ما اشتملت على ١٦٥٠ لغم مضاد للدبابات ماركة (٥) و ١٣٥٠ لغم مضاد للدبابات ماركة (٧) و ٥٠٠ لغم مضاد للأفراد
من قوالب الـ ت٠ن٠ت والجلجنايت والمشاعل والمفجرات و ٥٠٠ صاروخ بلاندسيد ش٠ف ولمبنجاب الاشارة و ١٥٠٠ طوربيد بنجالور ٠٠٠ الخ ٠ وكانت حكومة مصر الثورة قد أمدت ثوار الجزائر بكميات كبيرة من معدات النسف والتدمير لنسف خط (موريس) الفرنسى على الحدود الجزائرية/التونسية فى ٥ـ١٢ و ٢ـ١ـ١٩٥٨ واشتملت هذه الشحنات على (٧٥٤) طوربيد بيدنجالور و (١٠٨) كبسول طرقى والاف الأمتار من الفتيل والمتفجرات ٠

لمطالب الثورة الجزائريـة وقبول التفاوض مع الحكومة الجزائريـة (١) باعتبارها الممثل الوحيد للشعب الجزائرى معلنـا عن استعداده لمبـاشرة المفاوضات فى مدينة (ايفيان) ٠

وقد تشكل وفد الجزائر برئاسة كريم بلقاسم (لوجود بن بيللا فى المعتقل الفرنسى) وتحدد موعد المفاوضات ليكون فى أواخر شهر مايو ١٩٦١ ٠ واسفرت المفاوضات فى ايفيان – بعد جذب وشد – عن اتفاق رضى به الطرفان ونضمن الاعتراف باستقلال الجزائر وسيادتها الكاملة على أراضيها ووحدة ترابها بما فى ذلك الصحراء ، وأنه بمجرد موافقة المجلس الوطنى للثورة الجزائرية على هذا الاتفاق يتم الافراج فورا عن الزعماء الخمسة المعتقلين (٢) ٠

نواة جيش الجزائر بعد الاستقلال :

وفى ٢٩/٤/١٩٦٢ قابل أحمد بن بيللا الرئيس الراحـل جمال عبد الناصر وقدم اليه السيد بن بيللا قرار القيادة الجزائرية بانشاء نواة الجيش الجزائرى لما بعد الاستقلال وذلك على النحو التالى :

قوة القطاع الشرقى (القوات المتمركزة على حدود تونس / الجزائر)

٥ وحدة مدرعة خفيفـة ٠

١٧ كتيبة مشاة خفيفة الحركة ٠

قوة القطاع الغربى (بجوار الحدود المراكشية / الجزائرية)

٣ وحدة مدرعة خفيفـة ٠

٨ كتيبة مشاه خفيفة الحركة ٠

يعاون هذه القوة الضاربة قوة طيران فى حدود :

١٢ طائرة ميج ١٧ (التى تم تدريب الجزائريين عليها) ٠

---

(١) كانت الثورة الجزائرية فى عام ١٩٦٠ قد تشكلت حكومة على النحو التالى :
فرحات عباس – كريم بلقاسم – احمد بن بيلا – حسين ايات – رابح بيطـاط محمد دو صياف – محمد خيضر – سعيد محمدى – عبد الحميد مهرى – عبد الحفيظ بوصوف – أحمد فرنسيس – محمد يزيد – عبد الله بن طوبال ٠

(٢) تم التصديق على اتفاقية ايفيان فى ١٩٦٢/٥/٢٨ باعتبار ذلك أفضل ما أمكن الحصول عليه من فرنسا فى ذال الوقت ٠

٨ هليكوبتر لنقل ١٦ فردا ٠

١ جهاز توجيه راديو ٠

بالاضافة الى جميع الفنيين اللازمين لادارة مطار وورشة من المصريين ٠

وقد قام الرئيس الراحل جمال عبد الناصر بالموافقة على مطالب الثورة الجزائرية وقام ـ بخط يده ـ بكتابة ما استقر عليه الرأى بالنسبة للمساعدة المطلوبة لجيش التحرير الجزائرى على أن يتم التسليم خلال ٣٠ يوما من يوم ١٩٦٢/٤/٩ ٠

عـدد

١٠٠ عـربة جيب ٠

١٠٠ لورى ٣ طن + ١٠٠ لورى + ٥٠ جمس + ٥٠ صناعة محلية ٠

٢٠ مطبخ متحرك ٠

٥٠ عربـة نجدة ٠

٥٠ عربة ٣/٤ طن لمدفع الماكينة ٠

٢٠ عربة مصفحة + ١٠ تشترى من الخارج ٠

٦ طائرة ميج ١٥ ٠

٦ طائرة جمهورية ٠

ويرى « محمد حسنين هيكل » انه لولا مساندة حكومة مصر الثورة لثورة الجزائر لكانت هذه الثورة فى حاجة الى بضع سنوات أخرى لتحقيق هدفها ٠

يقول (١) :

«قبل أن تطلق الطلقـة الأولى ، جاء ابن بيـللا الى القاهرة وأطلـع عبد الناصر على الوضع ٠ وبعد هذا اللقاء بدأ الرئيس عبد الناصر يمد ثورة الجزائر بكل المساعدات الممكنة ، وكانت هذه المساعدات تتزايد بسرعـة خطيرة جدا الى درجة أن اشتراك فرنسا فى العدوان الثلاثى عام ١٩٥٦ على مصر كان نوعا من الرد على ما فعلته مصر الثورة لثورة الجزائر ، بل ان هناك عدد من جنرالات فرنسا ـ «سالان» مثلا قالوا : ان الثورة الجزائرية

---

(١) فؤاد مطر : « بصراحة عن عبد الناصر » حوار مع محمد حسنين هيكل ـ القاهرة ، ١٩٧٥ ٠

هى ذيل الأفعى الموجود فى مصر وأن فرنسا عندما شاركت فى العدوان الثلاثى ، فلكى تضرب رأس الأفعى • بمعنى آخر أن فرنسا حاولت فى حرب السويس أن تضرب الجزائر عن طريق ضرب مصر ، وهذا يظهر الى أى مدى كانت مساعدة مصر لثورة الجزائر فعالة • وبعد أن نجحت الثورة الجزائرية، كان عبد الناصر فى غاية الحماسة وكان يرى أنه ينبغى مساندة النظام الجزائرى بكل الامكانات ، وترجمة لذلك فان عبد الناصر أمر بأن تحول الى الجزائر مصانع كانت مشحونة بالفعل الى مصر ، وكان رأى عبد الناصر أن مثل هذا الأمر يظهر النظام الجزائرى كأنه بدأ يقدم انجازات عملية،وهنالك أيضا العديد من المدرسين والفنيين المصريين الذين أرسلوا الى الجزائر على الفور ، وفى الميزانية المصرية كان هنالك اعتماد للجزائر •

لقد مرت فترة كان الاتحاد السوفييتى فيها غير ملم تماما بالثورة الجزائرية ، وقد شرح عبد الناصر للسوفييت ظروف هذه الثورة • ونتيجة لذلك تغيرت نظرتهم واهتمامهم •

وفى مؤتمر بريونى لدول عدم الانحياز ، حدث أن محمد خيضر جاء الى يوغوسلافيا فى محاولة عرض وجهة نظر الثورة الجزائرية ، ولم يسمح له بالانتقال الى بريونى وبقى فى (باولا) لأنه كان من رأى تيتو ونهرو ان حضوره الى بريونى سيحدث مشكلة لدول عدم الانحياز مع فرنسا • لكن عبد الناصر ضغط من أجل أن يحضر « خيضر » الى بريونى ويقوم بالمهمة الموكلة اليه ، وحضر مندوب الثورة الجزائرية وشرح ما أراد » •

مراجـع البحـث

١ ـ **احمد فراج طايـع** .

صفحات مطوية عن فلسطين .

٢ ـ **أنور عبد الملك ـ د** .

المجتمع المصرى والجيش ـ بيروت ـ دار الطليعة .

٣ ـ **انيس صايـغ** .

فلسطين والقومية العربية ـ مركز الأبحاث ـ بيروت منظمة التحرير الفلسطينية مركز الأبحاث ـ ١٩٦٦ .

٤ ـ **سيل ، باتريك** .

الصراع على سورية ـ دراسة للسياسة العربية بعد الحرب ـ طلاس للدراسات والنشر ـ دمشق .

٥ ـ **صالح مسعود أبو يصير** .

كفاح الشعب الفلسطنى فى نصف قرن .

٦ ـ **عبد الله امام** .

حكايات عن عبد الناصر ـ مطبوعات الوطن العربى ـ القاهرة .

٧ ـ **عبد الرحمن زكى ـ اليوزباشى** .

تاريخ أورطة البنادق الثامنة المشاة ـ القاهرة المطبعة الأميرية ببولاق ، ١٩٣٨ .

٨ ـ **عبد العظيم رمضان ـ د** .

الجيش المصرى فى السياسة ١٨٨٢ ـ ١٩٣٦ ـ القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٩ ـ **عبد الوهاب بكر محمد د** .

الوجود البريطانى فى الجيش المصرى ١٩٣٦ ـ ١٩٤٧ القاهرة دار المعارف ١٩٨١ .

١٠ ـ فـؤاد مطـر •

بصراحة عن عبد الناصر ، حوار مع محمد حسنين هيكل ـ القاهرة دار القضايا ١٩٧٥ •

١١ ـ فتحى الديب •

عبد الناصر وثورة الجزائر ـ القاهرة دار المستقبل العربى ١٩٨٤ •

١٢ ـ محمد جمال الدين محفوظ / عميد أ • ح •

عبد الناصر والقوات المسلحه ـ سلسلة الثقافة العسكرية للشعب ـ ١٩٧١ •

١٣ ـ محمد فيصل عبد المنعم

(أ) أسرار ١٩٤٨ ـ القاهرة ـ مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٦٩ •

(ب) الى الأمام ياروميـل •

(جـ) عندما سقطت السماء فوق اسرائيل ـ القاهرة ـ دار الشعب، ١٩٧٥ •

(د) مصر تحت السلاح ـ القاهـرة ـ مكتبة القاهرة الحديثـة ـ ١٩٧١ •

١٨ ـ محمود متولى •

حادث ٤ فبراير فى التاريخ المصرى المعاصر ـ القاهرة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ ١٩٧٨ •

١٩ ـ مصلحة الاستعلامات •

فلسفة الثورة •

ميثاق العمل الوطنى •

★★★

المناقشة والتعقيبات :

الاستفسار الأول للدكتور / سيد عشماوى :

كنت أود أن يكون الطرف الآخر من ممثلى العالم العربى على الأقل موجودين وأتمنى أن يكونوا موجودين لأننى عشت فترة فى القطر الجزائرى الشقيق وسمعت فى أكثر من ندوة عالمية وندوات محلية حول علاقة مصر بثورة الجزائر وسمعت شيء من النكران وشيء من الجحود يتم الآن تحت ظروف صعبة جدا ، حول اطار هذا الدور أتمنى كما أقول أن يكون الممثلين هنا ويكفى أن أقول أو أشير الى أن كتاب الأستاذ فتحى الديب « عبد الناصر وثورة الجزائر » ممنوع حتى الآن من دخول الجزائر ولا أعرف لماذا هو ممنوع فى هذه الظروف ؟

تساؤل آخر : لا أدرى اذا كان الأستاذ محمد فيصل عبد المنعم يكرس المقولة السلفيه السابقة لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين وبالتالى لا جيش فى السياسة ولا سياسة فى الجيش ؟ الدور التاريخى للشعب المصرى وقد وضحت الآن وباعترافك أنت شخصيا منذ ١٨٨٢ وقبل ١٨٨٢ وفى ١٩٥٢ الجيش المصرى لعب دورا كبيرا جدا سياسيا • فبالتالى أنا لا أعرف من أين أنت تنطلق فى المرحلة المعاصرة ١٩٧٣ الرئيس السادات يقول : نحن انتصرنا لأننا أبعدنا بالجيش ، أؤكد أنه لا يمكن فصله مهما كانت الظروف أى فصل الجيش عن المؤثرات السياسية والتدخل فى الأمور السياسية وأنا أعتقد شخصيا فى ١٩٧٣ أن الجيش له دور وكانت القضية تحريك الدور السياسى الذى كان يلعبه السادات فى قضية الشرق الأوسط فى ذلك الوقت •

وقد رد الأستاذ محمد فيصل عبد المنعم فقال :

ـ ان سؤال المستفسر مقسم الى عدة أقسام : الجزء الأول لماذا منع كتاب فتحى الديب من دخول الجزائر وطبعا واضح السبب لأنه يسجل بالوثيقة فضل مصر على ثورة الجزائر وطالما أنهم ينكرون ذلك كما تقول سيادتك وكما أنا أعرف جيدا فليس من المعقول أن يدخلوا وثيقة تدينهم لأنه آت بصور فوتوغرافية ووثائق خطية وهذه طبيعة البشر التى سادت الجزء الأخير من القرن العشرين وهى نكران الجميل •

أما الجزء الثانى من السؤال وهو الأهم ، الجيش والسياسة ، لا تدخل

للجيش فى السياسة اطلاقا فى رأيى ، هذا يفسد الاثنين ونحن شاهدنا الدليل ، ففى ١٩٦٤ كان الجيش يدير النقل العام ويدير المحلات ويتعقب اللصوص ويتعقب قطاع الطرق فهل هذا وظيفة الجيش ؟ أنا لا أعتقد ذلك .

الجيش يدرب أو يتدرب ويسلح وينظم ويؤمر فيصدع بما أمر أكثر من ذلك مفيش . وأيضا ديجول قال ماذا قال ان الحرب شيء خطير جدا حتى يترك للسياسة فقال له آخر وان السياسة شيء خطير جدا حتى تترك للعسكريين ، والمقولتين صح .

ومن يلزم هؤلاء وهؤلاء بهذا كله ، القائد الأعلى أو رئيس الدولة هو الذى يضع الخطوط الفاصلة لأنه يضع الجيش فى الظروف المناسبة للقتال يعنى لا يهيج كل الدول ضده ويقول لى حارب وأذهب لأضرب انما يهيىء لى المجال والظروف أو المناخ الطيب لأننى أقاتل ، زمان القتال فى مصر هو حرفة أنا أريد أن أؤكد على هذا ، فى اسرائيل كل البلد عسكريين وقت الحرب يتلموا أو يجتمعوا بمجرد الاعلان فى الراديو انما نحن فى مصر جيش محترف ، نحن احترفنا القتال فأصبحت حرفة فأصبح لا يجوز المحترف أن يتدخل فى السياسة وأعطى مثالا على ذلك بأنه لا يجوز لمحترف كرة أن يؤلف أغانى الا اذا كان موهوبا فى هذا ..

فى الحرب والسياسة أنا فى رأيى لا يجوز التدخل أو التداخل فيهما اطلاقا . ووضح ذلك أيضا أيام حرب اليمن وأعطى مثل آخر أن الجيش المصرى فى سنة ١٩٤٨ فى المرحلة الأولى كويس جدا وماشى كويس وأخذ مستعمرات كثيرة احتلها قبل ما يوصل لجنوب تل أبيب فجأة وصل للأسطول أن الملك كان سيعمل اجتماع للرؤساء العرب وعايز يعمل حركة الملك فاروق فراح جايب النواوى أو حيدر وقال له أناعايز الجيش المصرى يحتل المجدل هذا اليوم .

وطبعا قالوا له ان المجدل بلد لا قيمة لها ولكن تعالوا ننظر للموضوع عسكريا ، الجيش المصرى ماشى على طول فى خط مستقيم طالع على الطريق الساحلى . المجدل لما ييجى الجيش هايمشى كده أى ينحرف ، خطوط المواصلات بتاعته استطالت جدا وليس هناك قوات تحرسها أو تحميها وبالتالى كان هذا هو أحد أسباب حصار الفالوجا فيما بعد لأن الجيش المصرى بعد ما مشى دخل شرقا ودخل على عراق المنشية والفالوجا فحوصر وهذا كان أحد أسباب الهزيمة .

هذه الحكاية لها سابقة تاريخية أيام محمد على أثناء حربه فى بلاد اليونان فبعث محمد على برقية لقائد الجيش فى بلاد اليونان قال له :

« اما ميسلونجي واما رأسك » ، لذا دخل هذا القائد وذبح ميسلونجى هذه أولها الى آخرها وهذا كان سبب ثورة اليونان على الجيش المصرى ٠

أعود وأقول لا تدخل للسياسة فى الحرب أبدا وهذا رأى شخصى كما ذكرت ٠

ـ وقد علق الدكتور عبد العظيم رمضان وكان يدير المنافسة فى هذه الجلسة فقال : انه ليس مسألة رأى شخصى ، وانما كان الجيش تاريخيا هو أداة الطبقة التى تملك وسائل الانتاج لكى تحمى به مصالحها فالأداة لايمكن أن تحكم والطبقة هى التى تحكم ولذلك فى رأيى سر متاعب العالم الثالث كله أنه تحكمه أنظمة عسكرية وبالتالى فالأنظمة العسكرية ، الجيش لا يحكم ، الجيش ينفذ وانما لا يحكم ، وعلى كل حال هذا رأيى أنا أقوله من الناحية التاريخية ٠

ـ استفسار أو تعليق آخر للأستاذ صلاح منتصر :

ان قضية الجيش والسياسة هذه قضية هامة جدا ولكن فى رأيى لها عنصرين العنصر الأول أنه اذا كان الجيش هو مسألة عمل ، أى انسان يعمل عمل جيد اعتقد أنه يعطيه وقته ، اذا الجيش لم يعط التدريب الجيد فيستحق الهزيمة ٠

العنصر الثانى وهو أن الظروف التاريخية التى رأيناها جعلت أن أمل العسكريين أنهم يصبحوا حكاما ، ولا يمكن أن يتحقق هذا الا عن طريقتين ٠ فهما العنصرين الأساسيين أما اذا انشغل الجيش بالتدريب العسكرى الجيد جاز لهم حق انشغالهم بالأمور العسكرية دون السياسة ٠ اذا ساد منطق الوصول الى الحكم عن طريق العمليات العسكرية اذن نحن ندفع فى داخل كل عسكرى طموح فى أنه يصل الى الحكم عن طريق العمل السياسى ٠

تعليق للأستاذ **جلال كشك** : هذه النقطة تحتاج الى توضيح ليس هناك سياسة لا تتدخل فى الجيش ولا جيش لا يتدخل فى السياسة ، والجيش يجب أن يخضع خضوعا تاما للقيادة السياسية للبلد ، هو اللبس يأتى من أين ؟ من انعدام الديمقراطية لما يصبح النظام ديكتاتورى يعتمد على الجيش ، طبعى أن الجيش يتدخل فى السياسة والنظام يتدخل فى الجيش ولكن فى النظام الديمقراطى الجيش مؤسسة خاضعة تماما للقيادة السياسية المنتخبة ، هذه النقطة هى التى أريد توضيحها ، أما النقطة الثانية وهى أننا نريد أن نقول للشباب حقائق ونتركهم يستنتجوا ونقول الذى حصل وبعد ذلك نعتذر ، بناء جيش قوى كما وضح من عرض المحاضر ـ محمد فيصل عبد المنعم ـ لم يتحقق من سنة ١٩٥٢ الى حرب ١٩٧٣ ،

فى ١٩٥٦ كان انجازنا أضعف من ١٩٤٨ يعنى سيادتك ذكرت أننا وصلنا الى أسدود وجاء الملك ليأمر بأن نأخذ أكثر فى سنة ١٩٤٨ وفى سنة ١٩٥٦ كان الأمر بالانسحاب حتى فى أبى عجيلة اضطررنا الى أن نتركها لهم ولم نستطيع دخولها الا بعد ما مسينا منها ، وكما تفضلت المعركة الوحيدة التى دارت هناك كانت بين اليهود وبعضهم ٠

فقطعا نستطيع أن نقول : أنه فى ١٩٥٦ لم يكن هناك دليل على قيام جيش وطنى قوى وفى ١٩٦٧ قيام جيش وطنى مفيش ، أظن لا يستطيع المناقشة فيها ، أما ١٩٧٣ أعتقد أنه لما خف تأثير ثورة يوليو على الجيش بانقلاب مايو ١٩٧٠ حتى أنه أمكن قيام جيش وطنى ، لازم الأمور توضع فى اطارها التاريخى السليم ، مفيش أحد فى الدنيا يقول أنه هناك عملية بناء جيش بقيادة عبد الحكيم عامر ، فلا يمكن أن يكون هذا هو الذى يجرى فى مصر ٠

ـ **رد المحاضر** : أولا فى سنة ١٩٥٦ سيادتك تقول أننا انسحبنا يا ترى نحن انسحبنا ليه ؟ هو نحن نذكر نصف الجملة ونترك بقية الجملة لماذا انسحب الجيش المصرى ؟! خوفا من اليهود ، ضعفا فى السلاح ، أبدا أنا اشتركت وليس من رأى كمن سمع وكنت مشارك فيما بعد كمؤرخ وكمحارب فى الأول ٠ فى سنة ١٩٥٦ كان أمر الانسحاب يقضى بالانسحاب للدفاع عن الوطن أنا أقول لسيادتك انه فى ١٩٥٦ لم يحدث أن جيشنا فى العالم ـ وكل المنصفين يؤيدوننى ـ يحارب ، هذه كانت مصيدة يا أستاذ جلال احنا نسينا ولا ايه ؟

كانت مصيدة لاستدراج الجيش المصرى فى سيناء وهذا مكتوب نصا فى معاهدة (سيفر) ماضى عليها ايدن وعندى الوثائق ، استدراج الجيش المصرى الى سيناء وقطع رأس الحية ثم الانفراد بمصر ، رغم هذا فقد أمر اللواء الخامس المشاة الذى ـ أنا كنت أخدم فيه فى رفح ـ يتحول الى قوة انتحارية ونمنع دخول اليهود الى سيناء حتى يستكمل الجيش انسحابه وهذا حدث فعلا ٠

ونحن يمكن أن نؤكد هذا كتابة بالوثيقة ولكن الوقت غير كاف وليس بالكلام ٠ ورد الأستاذ جلال كشك على ذلك بقوله :

ـ ان مبرر الانسحاب الوحيد اننا رايحين نحارب فى بور سعيد والحقيقة أننا لا قاتلنا فى سيناء ولا قاتلنا فى بور سعيد ٠

ورد الأستاذ محمد فيصل عبد المنعم بعصبية ومشادة كلامية هذا ظلم فادح ، والله هذا كلام ظالم للجيش المصري ٠

واستطرد قائلا :

ان المشير أمر بالانسحاب فى ١٩٦٧ معتقدا أن ما حدث فى ١٩٥٦ سيحدث فى ١٩٦٧ ثم ذكر انه يريد تصحيح معلومة ذكرها الأستاذ جلال كشك وهى أن المعـركة الوحيـدة التى وقعت فى سينا كانت بين اليهود وبعضهم البعض فأصحح هذه المعلومة بأنها كانت المعركة الوحيدة للمدرعات .

تعليق من الأستاذ **خالد محيى الدين :**

ـ أنا أرغب فى مناقشة أولا موضوع السياسة والجيش وبعد ذلك أدخل فى المعلومات .

ما هو المقصود بالسـياسة ؟ ، اذا كان المقصود الصراع السـياسى الحزبى أو الدعم السياسى للقوات المسلحة . الصراع السياسى بداية خوف فى البلد هذه هى الخطورة بمكانة الجيش يستخدم فى الصراع السياسى يعنى مثلا نحن كنا معترضـين على أن يصبح أبو غزالـة عضوا فى مجلس سياسى . القوات المسلحة ميزتها الكبرى طول عمرها أنها مؤسسة وطنية ولا تبقى مؤسسة وطنية تدافع عن الأهداف الوطنية للبلد ومن هنا فكرة أنه تستخدم أو أنه يدعمه رئيس الجمهورية ليدعم به سياسته ، سياسة البلد وليس صراعه السياسى مع زملاؤه هذه القضية الأولى .

انما لا يمـكن أن نفصـل الجيش عن السياسة بمعنى أن الجيش سيحارب ويموت ويضحى عن سياسة ، عن مصالح فلازم أن يتقف سياسيا ولكن الدرجة أين الحسبة ؟ أنا متذكر أن عبد المنعم رياض قال : حلوا المشكلة على وجه السرعة لأن الجيش به ناس متعلمين ويفهموا أن اخوانهم بيعملوا مظاهرات لحاجة لازم تستجاب على وجه السرعة لأن الحرب الجديدة حرب اقناع لأننا نحارب عن قضية فالموضوع هنا ليس أن عبدالمنعم رياض تدخل فى سياسة البلد ، لا بل تدخـل بأن الوضـع السياسى يجب أن يستقر لكى ترتاح القوات المسلحة ، وهذا هو ما أرغب فى قوله ،

انما استخدام القوات المسلحة فى الصراع السياسى يعنى لما رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يستخـدم الجيش فى صراع الجمهوريـين مع الديمقراطيين هذه كارثة أو صراع يمينى مع صراع يسارى ، أيضا كارثة انه يجوز استخدام أى أداة أخرى فى السياسة غير العقل والناس .

وكل واحد يقول رأيه فمن هذه الناحية يصبح المقصود السياسى ، الصراع السياسى الحزبى أو الشللى .

أما الموضوع الثانى : أنا رأيى أنه بالنسبة للقوات المسلحة أنه فى حرب ١٩٥٦ الجيش المصرى قاتل فى بور سعيد ولكن قتال محدود لأنه طبعا التفوق كان كبيرا ، وقاتل أيضا فى سيناء ، أصل أبعاد العملية تجعل أى واحد قاعد هنا فى مصر يقول الطيران يضرب مطارات جيشك كله أرسلته عايز تسيبه ولا ترجعه ، اذا أنت تصبح مضطر الى اتخاذ اجراءات معينة ، اذا الكلام يمكن أن يقال هل بالامكانيات والظروف المحيطة كان ممكن أن يفعل أفضل من ذلك ؟ كان يمكن أن يفعل أحسن من هذا فى سنة ١٩٦٧ . مع انتهاء الطيران انت ما ابتدأتنس ، ادا مضربتش ، أى أنك يجب أن تضرب بعد ضرب المطارات لا أن تبحث عن طريقة لانسحابك بسرعة انك بسرعة ترد الجيش للوراء

ان الجيش المصرى فى ١٩٥٦ ما يستطيع أن يفعل أما فى سنة ١٩٦٧ أنا رأيى أن القيادة العسكرية مسئولة عن حجم الهزيمة وليس الهزيمة ، بلاد كبيرة تهزم وليس هذا عيب فى الحروب وانه يتحمل قرار دخول الحرب هو القيادة السياسية وليست محتاجة مناقشة ولكن بعد ما السياسة تدخلت وحتى قالت للقوات المسلحة لا تضربى الضربة الأولى أيضا كان يمكن للقيادة العسكرية التى تقول أنها قيادة سياسية ولذلك أول اصلاح عمل بعد ١٩٦٧ أنهم احضروا قائد محترف وهو محمد فوزى ، ولازم نذكر لمحمد فوزى أنه لعب دورا رئيسيا فى اعادة بناء القوات المسلحة التى حاربت بجدارة فى سنة ١٩٧٣ وانكار هذا الدور انكار للحقيقة . ماذا فعل هذا الضابط المحترف : تعامل مع الجيش كعملية عسكرية وفيها سياسة لأنه كان يأخذ الناس يعلمهم السياسة وفهموهم أننا سنحارب والغرض من القتال وتحليل الوضع وأرجع المشايخ الوعاظ الى الجيش ، والذى طلب ارجاعهم هم الخبراء السوفيت وليس هذا لأنهم يحبون المشايخ بل لأن تكنيكيا العسكرى أو أى بنى آدم يمكن أن يعيش تحت نظام لا يحبه ولكن لا يمكن أن يموت تحت راية لا يحبها ، ومن هنا قالوا لهم سيحاربون عن الاشتراكية وليس الكل اشتراكيين وعن القومية العربية أيضا ليس الجميع يؤيدون القومية العربية ولكن جميعهم يرغبون فى أن يحاربون تحت راية الله سبحانه وتعالى ، فلابد أن نعطى كل واحد حقه فى أن يموت تحت الراية التى يموت من أجلها .

ومن هنا أصبح فيه عقلانية وفهم أن هذا الجيش سيحارب دفاعا عن أرض الوطن .

فى سنة ١٩٦٧ الكارثة كانت ايه لو أن القيادة العسكرية لم تكن منهارة ؟ كان الموقف غير ذلك، ولكن استنتج حاجة واحدة وهى أنه كان هناك فترة بعد ما أخذ القرار عبد الحكيم عامر قال لعبد الناصر أنا عايز أنسحب

وأنا متأكد بسماع الكلام لأن كمال حسين والبغدادى كانوا موجودين ، أحضر له تقرير بالواقع العسكرى وقال له : اننا قال مش هانقدر لازم ننسحب ، وبعد ما أعطى له قرار الانسحاب بعشر دقائق دخل الفريق محمد فوزى والقاضى وممدوح التهامى قالوا لعبد الحكيم عامر : أجل القرار ٢٤ ساعة سنضع لك خطة انسحاب منظمة ليستطيع الجيش المصرى أن يقف ٠

وكانت نتيجة الحرب هزيمة وبانهيار٠ أصدر القرار فى الحال للقوات المسلحة ، وهذا يعطينا درس انه فعلا قيادة القوات المسلحة عسكريا تخضع للقيادة السياسية أو هذا ضرورى ولذلك نحن كنا نعترض لما رئيس الجمهورية كان بعض ساعات يقول : أنا على ضغوط ماكناش بنحبها أبدا ، عايه ضغوط ايه ؟! ضغوط عسكريين ٠ هذه قضية مرفوضة لكن رئيس الجمهورية يأمر وعاسان يأمر لابد أن تكون فيه سياسة ، وان العسكريين ماشيين ، وهذا شائك ، والخلاصة أن المؤسسة العسكرية لا تحكم ٠

ـ وعقب **الدكتور عبد العظيم رمضان** بقوله :

ان الأستاذ خالد محيى الدين تكلم عن الجيس والسياسة فى الحقيقة أن الناس عندما نتكلم عن تدخل الجيش فى السياسة تقصد أن الجيش لا يحكم أما من ناحية أن الجيش يفهم فى السياسة هذه قضية أخرى ٠

وهذا يوضح أن الجيش ليس شغلته أن يحكم وانما شغلته أن يحارب ويخضع ويخضع عن اقتناع للسلطة السياسية ٠

وهناك استفسار آخر هو أن الأستاذ محمد فيصل عبد المنعم قد تكلم عن ثورة الجزائر وما يثبت أنك كنت عضو فيها وبالنسبة للجيش الجزائرى ولكن مع الطفرة فى اليمن اجتماعيا وسياسيا لم نذكر اليمن ، وانما مررت مر الكرام أو بطريقة معينة أنا غير عارف الرد أو ردك بالنسبة لقضية اليمن عسكريا » ٠

ـ رد الأستاذ محمد فيصل عبد المنعم بقوله :

« أنا لم أرد رد الكرام ولا حاجة أنا قلت لو أنا شرحت أو تكلمت عن مساعدات مصر لكل الدول العربية لاحتجنا الى أيام وأنت تعلم هذا جيدا لأن مصر هى الأم الكبيرة ، ثم اننى قلت أيضا أن الجزائر كنموذج وقلت انه فى البحث المطبوع وسعادتك معك نسخة طبعا ستجد أننى أشرت الى كل الدول حتى الجنوب العربى حتى ذكرت أمريكا اللاتينية

وذكرت كل شيء ولكن ركزت فى هذا المقام المحدود على الجزائر ، أنا لا أعد كتابا أنا أعد بحثا أو ورقة ، بحث وأنا أتحدث فى ندوة ، واليمن كقطر له دور كبير جدا لدرجة أن أنا لست مقتنعا به ولكن هذه قناعة شخصية ، أنا شخصيا عارضت هذا وأنا ضابط فى القوات المسلحة وعارضت التدخل فى اليمن ولكن هذا ليس موضوع الندوة ٠

لا شك أن التدخل فى اليمن بقدر ما كان سيئا جدا وكان سبب هزيمتنا سنة ١٩٦٧ ، أنا بعتقد أن هذا أيضا أحد الأسباب الرئيسية الا أنه أخرج اليمن من القرون الوسطى الى القرون الحديثة وهم أى اليمنيين أنفسهم يقولون ذلك ، وكل حقبة لها عدة أوجه ولكنى لم أتعرض لكل شيء بالتفصيل ، أنا تعرضت فقط للجزائر وحتى لم أتعرض لها بالتفصيل فى كلامى أنا تعرضت لها فى الورق بشيء من التفصيل على سبيل المثال » ٠

ـ **استفسار آخر :**

أشكر السادة المتحدثين وأتفق مع بعض ما قيل حيث تتميز هذه الندوة بوجود الرأى والرأى الآخر ، وقد لاحظت أن الأستاذ صلاح منتصر وهو يتحدث ، فيذكر بعض الايجابيات ومعروف رأيه وموقفه من الثورة ، فقلت له : انك رجل لك رؤيا سياسية وعسكرية المهم أننى لاحظت فى هذه التعليقات التى جرت الآن الجانب النظرى والجانب التطبيقى فى مصر وليقصد بين دور الجيش أو دور المؤسسة العسكرية فى الحكم ٠

فدور الجيش دور أساسى على مر التاريخ ليس فى مصر ولا فى منطقة معينة ، دور الجيش والقوات المسلحة على مر القرون بدءا من الاغريق والرومان يعتمدوا على الجيش فى أحداث التحركات والثورات التى قد تكون فى صالح البشرية وفى صالح المجتمع ، الجيش هنا بيقوم بعمل سياسى ثورى وهو عمل الحرب ٠

ونحن أكاديميين أو غير أكاديميين نقول ان الجيش لا يفهم فى السياسة أو لا يتدخل ، يلعب الجيش هنا دور قوى ودور هام ومطلوب ، أما عندما تنتهى الثورة والثورة لا تنتهى عادة عندما تكون ثورة ولكن فى مراحل ما بين الثورات عندما تتبقط أو تتدعم المؤسسات يصبح من الضرورى ابعاد الجيش أو الضباط العسكريين أو القوات المشتركين ، يجب ابعادهم عن السياسة أو عن الحكم وهذا الكلام كان واضح فى كلام الدكتور عبد العظيم رمضان والأستاذ خالد محيى الدين ، انه عادة الجيش يقوم بحماية الطبقة التى تملك وسائل الانتاج وهذا صحيح فاذا كانت الطبقة التى تمتلك وسائل الانتاج فى صالح الأغلبية الساحقة فى صالح الشعب ، ولكن الذى

يحدث فى بعض الحالات خصوصا فى العالم الثالث فى أمريكا اللاتينية وفى سوريا قبل ثورتنا معروف الانقلابات التى كانت فى أيام الشيشكلى أو حاليا فى اسرائيل أو تركيا تقوم مؤسسة عسكرية تحكم وهذا هو المطلوب أن نتجنب حكم المؤسسة العسكرية التى تستند الى القوة ، أو فى هذه الحالة نتطلب أن يكون الجيش له ضباطه وقيادته المتفرغة فتأتى لنطبق هذا باختصار شديد جدا على ثورة ٢٣ يوليو نجد ان الجيش فى بداية هذه الثورة كان مفروضا أو كان مرغوبا أن يتدخل لحماية الثورة فأكبر مثل هو تأميم القناه ١٩٥٦ فلم يكن يتم لولا أنه كان مستندا الى قوى عسكرية ٠

أما عن التفاصيل التى أعلنها بعض الحاضرين أكثر منى ومن الحاضرين هى ان الجيش كان يدخل فى كثير من الشئون التفصيلية بما فيها وسائل المواصلات ومؤسسات المطاحن وكما سمعت أن مدير مكتب عبد الحكيم عامر (شمس الدين بدران) كان يرسل ادارة شركة المحلة التى يجب أن يكون لها كيان فنى ، ونبدأ أن نطبق على حرب ١٩٥٦ هذا الكلام و ١٩٦٧ طبعا وسائل العسكريين أقدر على أنهم يميلوها حتى تتدخل القيادة السياسية ومتى لا تتدخل القيادة السياسية ٠

ـ استفسار آخر : فى الواقع أن هذه الندوة كانت ندوة جيدة للغاية والعرض الذى عرضه الأخ الأستاذ محمد فيصل عبد المنعم كان عرضا شائقا وألم بالموضوعات من أطرفها ولكن لى ملاحظات أرجو أن يتسع الصدر لقبولها ، التاريخ كما نعلم أسباب ومدارس أو مذاهب ومن هذه الأسباب ما هو ايجابى ومنها ما هو سلبى ونحن ندرس هذه الظاهرة ظاهرة الجيش المصرى وأثر ثورة يوليو عليه قوة وضعفا ، كان ينبغى فعلا أن نشير الى النواحى السلبية بشكل واضح كما أشرنا الى النواحى الايجابية حتى يتخذ منها درس واسع للمستقبل الذى نعيشه ٠

والحمد لله أن بعض الزملاء كالأخ جلال كشك والأستاذ صلاح منصر والأستاذ خالد محيى الدين وضعوا أيديهم على بعض السلبيات فهناك سلبيات كثيرة يتجه اليها الجيش أيضا فى الآونة الحاضرة التى نعيشها ، فلو أننا فعلا وجهنا النظر باعتبارنا وطنيين ومخلصين ونحب بلادنا حبا شديدا فلا نريد للجيش أن يتدخل فى الأمور الاقتصادية أو الأمور المعيشية أو ما الى ذلك من هذه الأمور التى تشغله والتى توحى الى فئة أخرى ايضا تحكم البلاد بما تصارع به فى الحصول على امتيازات

اخرى وما الى ذلك لو أننا أشرنا الى هذه السلبيات نكون بالفعل نحن وضعنا النقط على الحروف ·

وننجه ببلادنا وببحوثنا وبكلامنا اتجاها يقبله الناس ·· الكثير من الناس يعرضون عن الاستماع الى مثل هذه الندوات الثقافية الجيدة لماذا ؟! لانه يعلم مقدما سنأتى لنقول كلاما معينا يعلى من شأن كذا وكذا ، لكن لو أننا بحثنا فعلا بحثا حرا وأوسعنا صدورنا كما حدث فى مثل هذا اليوم تحدثنا عن النــواحى السلبية نكون جيـــدة لا شك أن الناس سيصبحون أنصار للثقافة ، الثقافة انصرف عنها الناس لماذا ؟! لابد أن نتسائل هذا السؤال ونجيب عنه بصراحة ·

مقدمات الوحدة المصرية السوريه

١٩٥٨ - ١٩٦١

أ . د . صلاح العقاد

ان تجربة الوحدة المصرية السورية من ١٩٥٨ ـ ١٩٦١ هى تجربة فريدة من نوعها ولم يحدث فى تاريخ العرب المعاصر أن قررتا دولتان الاتحاد فى نظام اندماجى كامل ، كما أن هذه الوحدة بنيت بالدرجة الأولى على زعامة شخصية هى زعامة جمال عبد الناصر فى ذلك الوقت .

وفى تقديرى أن هذا الدور الشخصى لم يكن ليكفل استمرارها زمنا طويلا ، على أن هذا لا يعنى أنه لم تكن هناك ظروف موضوعية تؤدى الى مثل هذه الوحدات بين قطرين أو أكثر من العالم العربى ، ذلك لوجود النظرية من جهة نظرية القومية العربية وظروف طارئة أحاطت بسوريا خلال السنتين اللتين سبقتا الوحدة .

فبالنسبة للظروف الموضوعية النظرية وفكرة القومية العربية فقد كان التساؤل يدور حول كيف تترجم هذه الفكرة ؟ والمفترض أن القومية تعنى أن تكون حدود الدولة مطابقة لحدود الأمة ، غير أن هذا المفهوم لم يكن مطروحا فى الاربعينات وترجم فى صيغة واهية العرى وهى الجامعة العربيـة .

ومنذ الاربعينات ظهر تطابق فى السياسة بين مصر وسوريا فتلك الدولتين اعترضتا على وحدة جزئية كانت مطروحة وهى مشروع الهلال الخصيب المنبثق من العراق أو مشروع سوريا الكبرى الذى اقترحه الأمير عبد الله أمير شرق الأردن حينذاك ، واتفقا الوفد والقصر رغم خلافاتهما فى الأمور الداخلية ، اتفقا فى هذه النقطة ، فالقصر ـ الملك فاروق ـ لا يرغب فى أن تتوسع أسرة حاكمة عربية أخرى تنتزع من القصر الملكى المصرى زعامة المشرق العربى ، والوفد لم يكن مقتنعا بوجود اتحادات خارج مصر أو اتحادات تنبنى على فكرة الاندماج .

وحول هذه النقطة بالذات اختلف الوفد مع المندوب السورى حول صيغة ميثاق جامعة الدول العربية ذلك لأن مفهوم القومية اختلف فى سوريا عنه فى مصر ويرجع ذلك فى تقديرى الى أن سوريا لا تفصلها عن

جيرانها حدود طبيعية ولم توجد كدولة قبل ١٩٢٠ وكان فيصل ملكا لسوريا وقد صار بعد ذلك ملكا للعراق ٠

ومن هنا فان فكرة الاتحاد مع العراق كانت تبدو للسوريين أمر يخرج بهم عن نطاق التبعية فى اطار الانتداب الفرنسى ٠

أما مصر فلها حدود جغرافية واضحة وفكرة الوطنية المصرية قديمة . يعنى لها جذورها التى ترجع الى القرن التاسع عشر ونتج عن ذلك أن الوفد السورى انفرد وحده بالموافقة على أن تكون هناك سلطة الزامية فوق سلطة الحكومات فى الجامعة العربية ، ولم يكن هذا هو رأى النحاس الذى تفاوض حول الميثاق خلال عامى ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ لكنه لم يصرح بهذا الرأى وانما اقترح : أنه فى حالة وجود سلطة الزامية لابد من أن تمثل الدول حسب المساحة والسكان والثروة واذا لم نكن السلطة الزامية وفى هذه الحالة يمكن التمثيل بالتساوى ٠

على كل حال لم تكن صيغة الجامعة العربية تحظى بشعبية كبيرة وازداد نقد الجامعة بعد حرب فلسطين التى كانت من وراء الانقلابات العسكرية التى توالت فى المشرق العربى ، وكانت سوريا أول من تعرض لمثل هذه الانقلابات التى بررت بالفشل فى حرب فلسطين ٠

ومن المعروف أن الانقلاب الأول أتى بالزعيم « حسنى الزعيم » الى السلطة وكان يبرر انقلابه بأنه يريد توسيع الاتحاد العربى ، ولكن الى أين ؟ وهل الى العراق ؟ ، هذا ما ادعاه فى بداية الأمر لأنه كان يستند الى أكبر حزب متجانس فى مجلس النواب السورى وهو حزب الشعب الذى يمثل غالبا كبار الملاك فى حلب وهم أصحاب مصلحة اقتصادية مع العراق الذى كان أكبر سوق لتصدير القمح الذى يزرع بكميات وفيرة فى شمال سوريا حينذاك ، غير أن اغراء السلطة جعل فكرة الاتحاد تبدو غير ملائمة لمطامح حسنى الزعيم وقد لقى فى هذا التحول مؤازرة من مصر والسعودية ومن المفارقات أن محور القاهرة الرياض دمشق سوف يتجدد ازاء معارضة حلف بغداد على يد حكومة الثورة المصرية ١٩٥٥ وان اختلفت المسببات ٠

توالت الانقلابات على سوريا ، وفى كل مرة تقترب فيها من فكرة الاتحاد مع العراق كانت الحكومة تقف ضدها ، ولذلك ضعفت الفكرة خصوصا أن سوريا قد ظفرت بالاستقلال سنة ١٩٤٦ وبالجلاء دون التقيد بمعاهدة تحالف مثل تلك التى كان العراق مقيدا بها ٠

وقد شهدت سوريا بعد قيام الثورة فى مصر فترة من العهد الليبرالى وذلك بعد سقوط نظام الشيشكللى سنة ١٩٥٤ ٠

ودلت الانتخابات النيابية التى جرت على أن المحافظين ما يزالون هم أصحاب الأغلبية فى مجلس النواب ، فهناك المستقلون الذين يشكلون أكبر عدد وهناك حزب الشعب الذى يمثل أكبر مجموعة سياسية متجانسة ولكن اذا كان المحافظون أصحاب أغلبية فى مجلس النواب فان سيطرتهم على الشـــارع ضعفت وظهرت على العكس تيارات جديدة أبرزها تيار حزب البعث وهو ينادى تقريبا بنفس المبادىء التى اقترحهـا جمـال عبد الناصر ابتداء من سنة ١٩٥٥ ٠

فمن المعروف أن عبد الناصر أصدر كتاب فلسفة الثورة فى نفس هذا العام الذى نشط فيه حزب البعث فى سوريا وكتب عن الدوائر الثلاث التى تدور فيها السياسة الخارجية المصرية ، وجعل الدائرة العربية هى أولى الدوائر وهى مقدمة على الدائرة الاسلامية وعلى الدائرة الافريقية ٠

وشيئا فشيئا أخذ يتبنى فكرة القومية العربية ولابد من تعليل هذا التحول فى سنة ١٩٥٥ لأن الرأى السائد فى مصر كان هو اعطاء الأولوية لوحدة وادى النيل ، وفى تقديرى أن هناك عدة أسباب تضافرت لتحول جمال عبد الناصر تحول فوقى أو سلطوى الى تبنى الفكرة العربية بمفهوم جـديد ٠

الأسباب تنحصر أولا فى فقدان الأمل فى الوحدة مع السودان بعد أن تغير موقف الحزب الاتحادى صاحب الأغلبية فى أول برلمان سودانى منتخب بزعامة اسماعيل الازهرى واختياره لمبدأ استقلال السودان كدولة مستقلة ٠

السـبب الثانى :

هو الغارة الاسرائيلية على غزة فى فبراير سنة ١٩٥٥ وهى الغارة التى قتل فيها عددا كبيرا من الجنود المصريين وأشعرت جمال عبد الناصر بضرورة التقارب مع دول المواجهة الأخرى حتى يستطيع التصدى للعدوان الاسرائيلى ٠

السـبب الثالث :

وهو سبب هام جدا وهو الصراع حول موضوع الأحلاف وقد كانت سوريا فى البداية أضعف النقاط وقد ذكرنا ذلك منذ قليل من أن المحافظين

كونوا الاغلبية فى مجلس النواب المنتخب فى ذلك العام وكان رئيس الوزراء فارس الخورى مترددا بين قبول دعوة نورى السعيد الى الانضمام لحلف بغداد وبين الخضوع للتيار الحيادى القوى والذى تبناه حزب البعث وبعض الأحزاب الاشتراكية الصغيرة الأخرى التى كانت ممثلة ببضع مقاعد فى مجلس النواب السورى ورغم أنها كانت صاحبة مقاعد قليلة الا أنها كانت أقدر على التأثير فى الجماهير وذلك لأنها كانت تعرف أساليب الاعلام الجديدة التى لم يتعودها حزب الشعب أو المستقلون المحافظون مثل الكتابة بالصحف وتنظيم المظاهرات والعمل بين صفوف الطلبة والعمال . وهذه الأمور كانت جديدة على الحياة السياسية فى المشرق العربى على العموم .

وهكذا التقت سوريا مع مصر عندما تغلب الرأى العام فى انتخاب موقف الحياد الايجابى بين الكتلتين ، تقاربت سوريا مع مصر فى هذه المسألة وفى مسائل أخرى نذكر منها التوجس للتسليح نحو الاتحاد السوفيتى دون الخروج عن مبدأ الحياد ، وكذلك اعتناق مبدأ التقارب العربى اما على أساس بقاء الدول ككيانات منفصلة أو حتى على أساس اتحاد فيدرالى ، وقد برز هذا التوجه فى سوريا منذ دستور ١٩٥٠ الذى نص على أن سوريا جزء من الأمة العربية وتلاه الدستور المصرى الصادر فى يناير ١٩٥٦ ولو أن البلاد العربية الأخرى صدرت دساتيرها بهذه المادة ، المادة القائلة بأن الدولة .. جزء من الأمة العربية .

عموما أستطيع تشبيهها بالبسملة فى مقدمة كتاب فى الكيمياء تبنى الدستور المصرى هذه النظرية التى تقتضى البحث عن صيغة جديدة خارج اطار الجامعة العربية للاتحاد .

والحقيقة أن سياسة جمال عبد الناصر طوال فترة حكمه لم تكن تعمل فى اطار الجامعة العربية وكانت تفضل العمل بأسلوب الاتفاقات الثنائية أو الاتفاقات التى تقوم على أساس موقف معين كما ذكرت حينما تجاوز عن الخلافات الأيديولوجية وعقد اتفاقات عسكرية مع سوريا والسعودية بل حتى مع اليمن ، وكان لكل طرف فى هذا التحالف العسكرى أهدافه المختلفة عن الأخرى .

لا أريد أن أطيل وانما أنتقل فورا الى الأسباب المباشرة التى أقامت هذا النوع الفريد من الاتحاد العربي وأستطيع أن أحصر هذه الأسباب فى أمرين :

الأمر الأول :

يتعلق بوضع سوريا خلال ١٩٥٧ ٠

الأمر الثانى :

هو موقف الجيش السـورى ٠

فبالنسبة لوضع سوريا سنة ١٩٥٧ فان الوثائق التى ظهرت فى محاكمات العراق للعهد الملكى تحدثت كثيرا عن أن حلف بغداد لم يفقد الأمل فى اجتذاب سوريا ـ ولو عن طريق انقلاب عسكرى ـ الى الحلف ، ومن بين هذه الوثائق ما يشير الى أنه كان هناك تدبير لغزو سوريا يوم ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ، وهو أمر لا يمكن أن يكون راجعا الى المصادفة ، وسواء صحت هذه الوثائق أو أيا كان الأمر ، فان سنة ١٩٥٧ شهدت بالفعـل محاولات كثيرة لقلب النظام الذى ترأسه خالد العظم المتعاطف مع مجموعة الأحزاب اليسارية بما فى ذلك الحزب الشيوعى السورى ٠

وقد وثق العظم العلاقات الاقتصادية مع الاتحاد السوفيتى مما جعل الأمريكين يحلون محل البريطانيين فى تدبير المؤامرات وهناك جولة شهيرة لوكيل وزارة الخارجية الأمريكية « لوى هندرسون » طاف خلالها بتركيا والعراق والاردن وصارت سوريا محاطة من جميع الجهات بدول معادية ، دول عربية أو غير عربية كلها معادية ، بالاضافة الى اسرائيل واستهدفت جميعا اسقاط النظام الحاكم فى سوريا حيث أصبح للبعث دورا كبيرا ٠

أما الأمر الثانى : الذى حكم مسألة الوحدة فهو أن الجيش السورى أصبح جيشا متسيسا اختل فيه الانضباط واختلف الضباط بعضهم مع بعض وكانوا يشهرون السلاح بعضهم فى وجه البعض الآخر بسـبب الخلافات السياسية وكان الجيش فى انقساماته صار صـورة تعكس الخلافات الحزبية فى الحياة المدنية ، وازاء هذه الفوضى ، وبالطبع لا خلاف على أن العهد الليبرالى فى سوريا كان يسمح بتعدد الآراء وهذا شىء مقبول ، ولكن ازاء الفوضى والاختلاف حتى فى المظاهرات المتلاحمة بعضها مع بعض ، فقد اختل انضباط الجيش وكان ذلك يشكل خطورة ٠

فعلا أصبح أمن سوريا مهددا وهذا ما دعا الى طلب كتيبتين من الجيش المصرى لترابطا فى اللاذقية ، كان المطروح حتى سنة ١٩٥٧ هو أن ينشأ اتحاد فيدرالى بين مصر وسوريا ولم يدر بذهن أقوى الأحزاب تأييدا لفكرة الوحدة العربية وهو حزب البعث ، لم يدر بذهنه وحـدة

اندماجية ، فقد كان البعث يفضل لو أن الاتحاد تم مع أقطار له فيها وجود مثل الأردن أو لبنان ـ كان البعث موجودا فى العراق أيضا ولكن بصورة سرية ـ أما فى مصر فقد عجز عن اختراق الحزب الواحد والنظام المصرى شديد القبضة على الحياة السياسية ٠

ولميشيل عفلق مؤسس حزب البعث رأى غريب حول مصر والوحدة العربية فقد أعلن فى ذلك الوقت انه لا يؤيد الوحدة مع مصر لأنها أفضل الأطراف فى مثل هذه الحالة ، ولكن لأن مصر قادرة على احباط أى وحدة تتم خارجها ، وهكذا كان البعث مستعدا لاتحاد فيدرالى وعلى هذا النحو بدأت المباحثات مع مصر ٠

وكان رئيس الوزراء فى ذلك الوقت هو أحد البعثيين وهو صلاح البيطار وأوفد مندوبين لمصر لهذا الغرض ولكن عبد الناصر اشترط حل الأحزاب ولم يكن البعث أو الحزب الشيوعى بالذات يقبل مثل هذا الشرط، ولذلك يمكن القول أن الجيش هو الذى حسم الأمر ووضع نهاية سريعة لمباحثات الاتحاد الفيدالى وفرض على سوريا مبدأ الوحدة أو خطة الوحدة الاندماجية ٠

مهما يكن من أمر فاننا نستطيع أن نخلص من التفاصيل الكثيرة المتعلقة بهذا الموضوع الى نتيجتين هامتين ٠

الأولى : أن المبادرة كانت تأتى غالبا من الجانب السورى وهذا يرجع فى رأينا الى أن وجود حياة ليبرالية لفترة ما بين ١٩٥٤ ـ ١٩٥٨ أتاح المناقشة والجدل واتخاذ المواقف حول شكل الوحدة ، أما فى مصر فان الأمر كان يتم بطريق السلطة وصحيح أن أمر الاتحاد الفيدرالى عرض على مجلس الأمة المصرى ولكن فى ظل نظام الحزب الواحد لم يكن للمجلس أهمية فى ابداء هذا الرأى أو ذاك ، بل ان مذكرات عبد اللطيف البغدادى تشير الى أنه لم يكن مقتنعا بسرعة تطبيق الوحدة الاندماجية وأنه نصح عبد الناصر بعدم التورط فى مثل هذه الوحدة لما تستتبعه من أعباء ولكن شأن عبد اللطيف البغدادى شأن الكثيرين ممن كتبوا مذكرات بعد انتهاء عهد عبد الناصر وقالوا : أنهم كانوا ينصحونه بكذا وكذا وانهم نصحوه بعدم التدخل فى اليمن ـ هذه الأمور تحتاج الى تحقيق ولا أميل الى تصديقها ٠

هذه هى الخلاصة الأولى التى نستنبطها من حديث الوحدة المصرية السورية ومقدماتها وهو : أن المبادرات كانت تأتى من سوريا وذلك لوجود جذور بعيدة لفكرة القومية العربية وامكانية الاندماج فى دولة أخرى ٠

الخلاصة الثانية : هى أن شكل الوحدة الاندماجية خرج عن القاعدة العامة التى شهدناها تسيطر على آسيا وأفريقيا جميعا فى فترة ما بعد الاستعمار ، فعندما سقطت الأنظمة الاستعمارية نشأت الدول الحديثة فى اطار الحدود التى رسمها الاستعمار ، وما أن تمتلك الدولة الحديثة مظاهر الدولة من علم وتشييد وطنى وتمثيل دبلوماسى مستقل حتى تتشبث بها سواء أكانت دولة صغيرة جدا ، أو دويلة لا تستطيع القيام بنفسها ، ولكن تتكون المصالح حول الفئة الحاكمة ومن هنا أصبحت القاعدة هى أنه اذا تكونت دولة على أنقاض الاستعمار السابق فانها لا يمكن أن تقبل الاندماج فى دولة أخرى لأن قضية الرئاسة وقضية تنظيم السلطات تصطدم بمصالح الفئات الحاكمة ، وحتى أيدلوجية القومية العربية لم تفلح فى أن تسقط هذه القاعدة من العالم العربى .



المناقشة والتعقيبات :

ـ أ د • محمد عبد الرحمن برج :

« بالنسبة لتطابق الدولة والقومية كانت أولا مع فرنسا قالت : ان الدولة يجب أن تكون مطابقة للقومية ، والقومية فى مصر وما يشتمل على القومية فى سوريا أعتقد أن هذه بالنسبة للقومية المصرية وبالنسبة للقومية العربية فهناك اختلاف فى الوضع ، هناك اختلاف بين كل قومية وأخرى •

ولا أعرف لماذا سيادتك استخدمت لفظ المحافظين بدلا من لفظ اليمين ؟ ثم انك لم تتكلم عن الوضع فى مصر على أساس أنه معروف لنا أن ما حدث فى مصر من اتفاقية الجلاء وما تبع ذلك من العدوان الثلاثى ثم التأميم وما أحدثه ذلك من أثر عظم مكانة مصر فى العالم العربى ؟ » •

ـ د • صلاح العقاد : « بخصوص أثر العدوان الثلاثى فهذا صحيح فأنا لا أستطيع أن أذكر كل التفاصيل ولكن مما لا شك فيه أن الاعلام الذى أكسب عبد الناصر هيبة كبيرة جدا وأظهره بمظهر المنتصر على طول الخط كان له تأثيره فى التعجيل أو فى تسهيل تقبل الرأى العام السورى وغيره فى التعامل مع عبد الناصر ومن ثم بالوحدة •

أما موضوع مفهوم القومية بالمعنى الذى طرحته فهو لم يظهر فى فرنسا بل ظهر فى المانيا ـ لتصحيح هذه المعلومة ـ المفكرون الألمان هم الذين قالوا : بأن القومية الألمانية تعنى أن تكون الحدود السياسية مطابقة لحدود قوميتهم ، وعلى العكس •

المفكرون الفرنسيون كان لهم رأيا مختلفا فى معنى القومية وهم يعتبرون بالارادة ، وكان غرضهم من ذلك أن أهل الألزاس واللورين ـ وان كانوا من الناحية القصرية أقرب الى الجرمان فهم ـ يفضلون المعيشة فى ظل الديمقراطية الفرنسية ، ولذلك أخذوا بمبدأ الارادة فالنظرية ألمانية وليست فرنسية •

أما بالنسبة لتعبير المحافظين فهو طبعا لأن هذه تعبيرات نسبية واليمين وصف نسبى ، وفى داخل حتى الأحزاب الاشتراكيه أو حتى الشيوعية فى عنوانها ، كان الذى ينحرف عنها ويختلف فقط فى النظرية

أو فى بعض التفاصيل يسمونه باليمين وأنا أفضل رغم هذا تعبير المحافظين » .

ـ د. **عبد العظيم رمضان** : « تعبير المحافظين واليمين والشمال والوسط ، هذا تعبير انجليزى من البرلمان الانجليزى ، حينما بدأ المؤيدون للحكومة فى البرلمان أو نواب الحكومة يجلسون على يمين المتحدث واليسار المعارضون للحكومة يجلسون على يساره فنشأ تعبير اليمين المؤيد للحكومة واليسار المعارض لها ، ولما ظهر الفكر الاشتراكى جاء معارضا للفكر الرأسمالى فمن فكرة المعارضة أصبح الفكر الاشتراكى أو على الاشتراكيين يطلق اسم اليساريين على اعتبار أنهم معارضين ، وطبعا كل التعبيرات بدت تأخذ شكلا مختلفا ولذلك أنا يمكن أن أقول إن تعبير المحافظين يمكن ان يكون اليمين شيئا والمحافظين شيئا آخر ، يعنى تعبير المحافظين والتقدمين هذا شيء مرتبط بالأيدلوجية أكثر باعتبار أن الفكر الماركسى يرى أن العالم أو أن المجتمع البشرى مر عبر تطورات ومراحل مثل مرحلة الشيوعية الابتدائية ثم مرحلة الرق ثم مرحلة الاقطاع ثم مرحلة الاشتراكية ، فالمجتمع الرأسمالى الذى يتمسك برأس المال يعتبره محافظا فهذا يريد العودة الى المجتمع الاقطاعى الذى يعتبره رجعيا ، والذى يريد التقدم الى المرحلة الاشتراكية يعتبر تقدميا ، ان كلمة محافظ ورجعى وتقدمى ترتبط بالأيدلوجية انما مسألة يمين ويسار ترتبط بمفهوم سياسى أكثر منه مفهوم أيدلوجى .

أما بالنسبة لليسار بالذات فقد أخذ الشكل الأيدلوجى بالدرجة الأولى باعتباره نشأ فى القرن التاسع عشر معارضا للفكر الرأسمالى ، ولا أعرف اذا كان الأستاذ الدكتور/صلاح العقاد يوافق على ذلك أم لا ؟ » .

ـ د. **صلاح العقاد** : « أنا أتفق مع الدكتور/ عبد العظيم رمضان على أن استخدام عبارة يمين بدأت مع المؤتمر الوطنى منذ أيام الثورة الفرنسية حينما جلس المؤيدون للدستور على اليمين وجلس المعارضون على اليسار ثم شاع بعد ذلك ، وهو تعبير غير محبوب قوى يعنى يستخدم حاليا فى كتابات حسب ـ الأيدلوجية كما ذكر دكتور عبد العظيم ، يعنى نحن فى مصر مثلا بعض الناس تصنف الوفد يمين وبعض الناس تصنف الوفد وسط وهكذا الأمر بالنسبة للحزب الوطنى الديمقراطى اليسار يمكن أوضح دائما حين نستخدم وصف يسارى فى العالم الثالث منظرا لأن المعتنقين للأفكار التقدمية قلة فلذلك يكون من السهل التعرف على اليسار من التعرف على اليمين الذى يذوب فى هذه الجموع غير المنظمة » .

ـ **محمد جلال كشك** : « أنا فى الحقيقة أريد وضع خط فقط تحت نقطة قالها الدكتور / صلاح العقاد وهى أن القومية العربية أو الوحدة العربية اقتحمت الاعلام العربى بعد فشلهم فى توحيد السودان فكانت محاولة للتغطية ، وهذه نتيجة سيئة أهم من حكاية التضليل ، انه قد طلع شعار رفض الوحدة المحورية ، ان وحدة مصر والسودان خطأ ، وحدة المغرب العربى خطأ ، وحدة سوريا والعراق خطأ ، لازم تكون وحدة شاملة أو وحدة تنط على بلد بعيد عنها ومازلنا نتأثر بهذا المفهوم وهذا أعتقد مفهوم خطـأ » .

د . صلاح العقاد :

« القول بأن هذا المفهوم مازال متبع يخالف وضع العالم العربى فى هذه الأيام ، الشائع والقائم الآن هو الوحدات الجزئية ومصر سارت فى هذا الطريق ، هذا الرأى ـ صحيح كان موجودا أيام عبد الناصر انما الآن الشائع هى وحـدة المغرب العربى ، المجلس الرباعى ومجلس التعـاون الخليجى فهى أقرب للتطبيق العملى كخطوة » .





ثورة ٢٣ يوليو والسودان

د . يونان لبيب رزق



General Organization of the



« لن نضيف جديدا بالتذكير أن العلاقة مع السودان كانت تمثل واحدا من الشاغلين اللذين انشغلت بهما الحركة الوطنية المصرية على امتداد النصف الأول من القرن العشرين ، وكانا « الجلاء ووحدة وادى النيل » ، كما أننا لن نضيف جديدا بالتذكير أن هذه العلاقة ظلت العقبة التى تمنع من التوصل الى اتفاق مصرى بريطانى بامتداد العقود الثلاثة بين عامى ١٩٢٠ و ١٩٥١ ، والمرة الوحيدة التى وقع فيها الطرفان على اتفاق بينهما فيما حدث فى معاهدة ١٩٣٦ ، فانه لم يتم التوصل الى هذا الاتفاق الا بعد التفاهم على لون من تجميد القضية •

وخلال الفترة الممتدة بين عامى ١٩٣٦ و ١٩٥١ ، عام الغاء المعاهدة من الجانب المصرى ، يمكن رصد ثلاثة مدارس فى السياسة المصرية ؛ كان لكل مدرسة رؤيتها الخاصة لمستقبل علاقات مصر مع السودان ••

المدرسة الأولى : مدرسة الأحزاب التقليدية ، ونعنى بها مدرسة الأحزاب السياسية التى كانت تتداول الحكم فيما بينها ، وهى الأحزاب التى كانت تتولى مهمة التفاوض مع الجانب البريطانى ، سواء تمثلت فى الوفد حزب الأغلبية أو فى أحزاب الأقلية ، سعديين أو أحرار أو كتلة ، أو الأحزاب الملكية التى اتحدت فى تلك الفترة تحت اسم « الشعب الاتحادى » •

ولأسباب عديدة انطلقت تلك الأحزاب فى تعاملها مع المسألة السودانية من قاعدة أن العلاقة بين البلدين تقوم على أساس السيادة المصرية على السودان • وقد تبارى أبناء هذه المدرسة فى تقديم مختلف الأدلة التاريخية والقانونية التى تثبت هذه السيادة ، الأمر الذى يمكن رصده

بوفرة فى محاضر المفاوضات التى جرت بين الجانبين (١) ، كذا فى الكتابات التاريخية والقانونية التى صدرت عن مصريين خلال تلك الحقبة (٢) ٠

أول هذه الأسباب تاريخية فقد استمر هؤلاء يتمثلون العلاقات المصرية ـ السودانية خلال القرن التاسع عشر ، خاصة فى الفترة بين عامى ١٨٢٠ و ١٨٨٥ حين كان السودان يعامل كاحدى المديريات المصرية ، وكان يرسل بنوابه الى المجالس النيابية التى عرفتها مصر فى عهدى اسماعيل وتوفيق ٠

وكان هذا التمثل أشد ما يكون من جانب الحركة الوطنية المصرية مع نشأتها خلال العقد الأول من القرن العشرين ، وكان الحزب الوطنى الممثل الرئيسى لهذه الحركة يرفض باصرار أية تغييرات ترتبت على الثورة المهدية أو اتفاقيتى عام ١٨٩٩ ، ومعلوم أن السبب الرئيسى لاغتيال رئيس النظار المصرى بطرس باشا غالى من واحد من رجال هذا الحزب أنه كان المصرى الذى وضع توقيعه على اتفاقيتى السودان بوصفه ناظرا للخارجية ٠

وقد ورثت أحزاب ما بعد ١٩١٩ نفس التوجهات واستمرت على تمسكها بهذا الارث بالرغم من المتغيرات التى كانت تدعو الى اعادة النظر فيه ٠

السبب الثانى : متصل بالحركة الوطنية ، فان ما جرى عام ١٨٩٩ من اشتراك بريطانيا فى السيادة على السودان أمر رفضه الوطنيون ورأوه اغتصابا من جانب المحتلين لحقوق مصر فى تلك البلاد ، ولم يكن هؤلاء ليقبلون الفصل بين ما جرى عام١٨٨٢من احتلال بريطانيا لبلادهم وما جرى بعد ذلك من مشاركة المحتلين لهم فى السيادة على السودان ٠

ولما كانت أحزاب تلك الفترة بطبيعتها أحزاب قضية وطنية فقد كان من المستحيل عليها أن تنظر للقضية الا من هذه النافذة ٠٠ نافذة العلاقات المصرية ـ البريطانية ٠

---

(١) وان كنا نلاحظ فرقا فى موقف المفاوض المصرى خلال الاربعينات ، فبينما كان قبل ذلك يتحدث بشكل صريح عن « السيادة المصرية على السودان » ، أصبح يتحدث بعد ذلك عن أن « مصر والسودان بلد واحد له تاج واحد هو التاج المصرى » ٠

(٢) من الكتابات التاريخية المؤلف الذى وضعه الدكتور محمد فؤاد شكرى تحت عنوان « مصر والسيادة على السودان » ، ومن المؤلفات القانونية الكتاب الذى وضعه الدكتور عبد الله العريان بالانجليزية عن :

Condimiuium & Reoated Situation in International Law.

السبب الثالث : ويرتبط بطبيعة الصراعات الحزبية فى مصر خلال تلك الفترة (١٩٢٠ ـ ١٩٥١) فقد كان أى تفريط ، أو حتى ما قد يبدو تفريطا ، فى المسألة السودانية كفيل باضعاف أى حزب ، أو القضاء على مستقبل أى سياسى مصرى •

ولعل ما جرى فى مفاوضات محمد محمود ـ هندرسون عام ١٩٢٩ ، ثم ما تبعها فى مفاوضات النحاس ـ هندرسون خلال العام التالى ، وفشل المفاوضات الأخيرة بسبب مسألة السودان يقدم نموذجا على ذلك •

السبب الرابع : ذو صلة وثيقة بتركيب تلك الأحزاب ، فان هذه الأحزاب بتكوين زعاماتها من الحقوقين وكبار الملاك كانت تتمسك بالجانب القانونى من القضية ، ومن ثم فقد تفننت فى البحث عن كل الأسانيد القانونية التى تثبت السيادة المصرية على السودان ، كما أنها رأت فى السودان المتنفس الطبيعى لتزيد نشاط الرأسمالية المصرية المتنامية ، خاصة خلال فترة الحرب العالمية الثانية وما تلاها حين دخل كبار ملاك الأراضى مجال الاستثمارات المالية ، وحين تسلل الى قيادات الأحزاب أعداد من رجال الأعمال الجدد •

السبب الخامس : يجىء متصلا بطبيعة الأحزاب التقليدية المصرية ، فقد نشأت هذه الأحزاب لأسباب مصرية ، وظلت بطبيعتها أحزابا مصرية تاريخا وتركيبا وشخوصا ، ولم يكن فى امكانها مع هذه الطبيعة أن يكون لها أية امتدادات خارج مصر ، بمعنى آخر لم يكن منتظرا لأى من هذه الأحزاب أن يتواجد فى السودان •

وتأسيسا على هذه الطبيعة كان من المنطقى أن تصطبغ نظرة هذه الأحزاب بمنطق المصلحة المصرية دون أن تضع فى الاعتبار رؤى أو طموحات الآخرين ، الأمر الذى كان يؤدى الى انسياق زعمائها وراء التمسك بنظرية السيادة المصرية •

يبقى آخر هذه الاسباب متمثلا فى اطار الشرعية الذى كانت تعمل داخله تلك الأحزاب بصفتها أحزاب حكم ، وكان القصر أهم ضلع من أضلاع هذا الاطار •

وكان معنى القبول بما هو أقل من السيادة ، أو وحدة التاج ، تفريطا فى الحقوق الملكية وهو ما لم يكن أى حزب من الأحزاب التقليدية بما فيها الوفد قادرا على القبول بمثل هذه المخاطرة التى ستورثه على وجه التأكيد عداء مبررا من جانب قصر عابدين •

المدرسة الثانية : هى مدرسةالأحزاب اليمينية ، وهى المدرسة التى كان ينظر أبناؤها الى السودان من خلال رؤى حكمتها أيديولوجيات تلك الأحزب او الجماعات ..

نضع داخل هذه المدرسة جماعة الوطنية المصرية المتطرفة ، ونعنى بها جماعة مصر الفتاة ، وجماعة التوجه الدينى ، أو جماعة الاسلام السياسى بتعبير معاصر ، وهى جماعة الاخوان المسلمين .

بالنسبة لمصر الفتاة فقد نظرت للقضية من منطلق التعصب المصرى فكان رأيهـا أن « السودان جـزء من مصر والشعب السودانى هو الشعب المصرى » (١) .

أضف الى ذلك تأثر الجماعة بفكرة المجال الحيوى فى نظرتها لقضية وادى النيل كلها ، الأمر الذى تشى به محاضرة لواحد منها جاء فيها تعريفه لوادى النيل بأنه : « يمتد من البحيرات الاستوائية جنوبا الى البحر المتوسط شمالا ـ ومن أعـالى الحبشة والبحر الأحمر وحـدود سيناء شرقا . ومن الحدود الحاليـة الغربيـة لمصر والسودان غربـا . واذن فان مديرية خط الاستواء التى تكون البحيرات الاستوائية والتى وضعت مصر يدها عليها فى أيام اسماعيل جزء من المجال الحيوى لمصر » (٢) .

أما بالنسبة « للاخوان المسلمين » فلم يختلف الأمـر كثيرا ، فقـد اختلطت رؤيتهم بالرابطة الدينية جنبا الى جنب مع النزعة الوطنية ..

يعبر عن ذلك زعيم الجماعـة ، الشيخ حسن البنا فى كلمة لـه فى سبتمبر عام ١٩٤٥ جاء فيها بصدد الحديث عن وادى النيل ما نصـه : « نريد بعد ذلك أن نؤمن حدودنا الجنوبية بأن نحفظ حقوقنا فى الأريتريا ثم زيلع ومصوع وهرر وأعالى النيل ، تلك المناطق التى اختلط بتربتها دم الفاتح المصرى وعمرتها اليد المصرية ورفرف فى سمائها العلم المصرى الخفاق . ثم اغتصبت من جسم الوطن ظلما وعدوانا وليس هناك اتفاق دولى أو وضع قانونى يجعل الحق فيها لغير مصر » (٣) .

وبالرغم مما يبدو من اتفاق بين الجماعتين فى مفهوميهما لعلاقة مصر مع السودان فان هناك اختلافا جوهريا وهو أن الاخوان المسلمين كان يمكن

---

(١) من مقال لأحمد حسين ـ مصر الفتاة فى ١٩٣٨/٨/١٢ .

(٢) من محاضرات لحمد صبيح بعنوان الامبراطورية المصرية التى ندعو اليها ـ مصر الفتاة ١٥ ، ١٩٤٠/١/١٨ .

(٣) الاخوان المسلمون فى ١٩٤٥/٩/٢٠ .

أن يصبح لهم وجود فى السودان بحكم طابع الجماعة الدينى وهو ما حدث بالفعل ، وهو الأمر الذى لم يكن ليتوفر للجماعة اليمينية الأخرى بحكم مصريتها بل ومغالاتها فى هذه المصرية .

المدرسة الثالثة : هى مدرسة اليسار المصرية،وهى المدرسة التى رأى أبناؤها أن الطريق الصحيح لتحقيق الوحدة هو حق تقرير المصير للشعبين ، ثم ما يتبع ذلك أو يؤدى اليه وهو الكفاح المشترك .

حق تقرير المصير عبرت عنه احدى الصحف اليسارية بدعوتها الى « أن يحكم السودان بارادة أهله وعلى أساس ديمقراطى سليم » (١) .

أما نظرية الكفاح المشترك فقد عبر عنها كاتبان ماركسيان فى كتاب ظهر لهما فى أواخر عام ١٩٤٥ (٢) وكان مما جاء فيه :

« يجب أن يكون شعار المجاهدين من مصريين أو سودانيين الكفاح المشترك ضد الاستعمار والفوز بالاستقلال التام ، فاذا ما تم هذا كان للشعب السودانى المستقل الحرية فى الاتحاد الاختيارى مع مصر أو الاستقلال التام » .

ولقد تمتع أبناء هذه المدرسة بحكم طبيعتها الأممية بنفس ما تمتعت به جماعة الاخوان المسلمين من امكانية الوجود فى السودان ، بل انهم قد سبقوا غيرهم من القوى السياسية فى هذا الصدد فيما حدث من انضمام أعداد من السودانيين المقيمين فى مصر للجماعات الماركسية بها .

القضاء على الاستعمار وأعوانه من الخونة المصريين كان المبدأ رقم (١) من المبادىء الستة التى أعلن ثوار يوليو التزامهم بتنفيذها غداة استيلائهم على السلطة ، بمعنى آخر فقد أعطى هؤلاء الأولوية للقضية الوطنية بعد أن شهدت الشهور الستة السابقة على يوليو محاولة لتنحية هذه القضية عن أولويتها من خلال الشعار الذى كان قد رفعه نجيب الهلالى فى وزارته الأولى والقائل بالتطهير قبل التحرير .

وليس من شك أن الشهور الأولى التى أعقبت قيام الثورة كانت شهور الاختيارات الصعبة ، على الأقل فيما يتصل بالقضية الوطنية .

---

(١) الفجر الجديد فى ١٢/١٢/٦ ١٩٤٥ .

(٢) المؤلفان محمد عبد المعبود الجبيلى وشهدى عطية الشافعى والكتاب « أهدافنا الوطنية » .

كان الاختيار رقم (١) هل يسير الحكام الجدد على ما درج عليه الساسة القدامى من تسبيق قضية الجلاء على قضية السودان ، حتى لو دعا الأمر الى درجة من تجميد أو على الأقل تبريد القضية الأخيرة ؟

وكان الاختيار رقم (٢) أنه اذا ما استقر الأمر على طرح القضية السودانية على مائدة البحث مع الجانب البريطانى فالى أية مدرسة من المدارس الثلاث يمكن أن ينحاز النظام الجديد ؟ هذا على افتراض أن أيا منها صالح للتناول ٠

بالنسبة للاختيار رقم (١) وادراكا من جانب ثورة يوليو أن قضية السودان ظلت الصخرة التى تتحطم عليها محاولات التفاهم السابقة مع الجانب البريطانى فقد استقر اختيارهم على أمرين :

١ ـ الفصل بين قضية السودان وقضية الجلاء بأن تدور المفاوضات حول كل من الجانبين بشكل منفصل ٠

٢ ـ البدء بالقضية الأكثر صعوبة ، وكانت قضية السودان بحكم أن موقف الطرفين من هذه القضية كان متباعدا ، وكانت كما سبقت الاشارة سببا من أسباب ، بل السبب الرئيسى ، لفشل الاتفاق بينهما خلال المراحل السابقة ٠

أما بالنسبة للاختيار رقم (٢) فانه من الصعب القول أن القائمين على الحكم بعد عام ١٩٥٢ قد انحازوا الى مدرسة بعينها من مدارس حل القضية السودانية ، وان كان يمكن القول أنهم قد أخذوا بشكل عام بالمنظومة اليسارية فى حل القضية ، وهى المنظومة القائمة على « حق تقرير المصير والكفاح المشترك » ٠ وان اختلفت الدوافع ، فأصحاب المبادىء عندما يبشرون بمبادئهم يختلفون عن أصحاب السلطة عندما يتصرفون من مواقع المسئولية ٠

أهم هذه الدوافع فى تقديرنا أنه كان من الصعب على أصحاب القرار بعد يوليو ١٩٥٢ السير فى طريق ثبت فشله ، اذا ما اتبعوا مسار المدرسة الأولى ، المدرسة القائمة على التمسك بالسيادة المصرية على السودان ٠

على الجانب الآخر كان من المستحيل عليهم الأخذ بمنهج ذى طبيعة خيالية فيما طالبت به المدرسة الثانية بأن يكون حل القضية السودانية من خلال بناء امبراطورية مصرية واسعة يكون السودان أحد أقسامها ، سواء تم هذا البناء من منطلق الاستعلاء المصرى ، فيما طالبت به مصر الفتاة ، أو كان هذا البناء تأسيسا على الأخوة في الدين ، فيما طالب به الاخوان المسلمون ٠

وكان الأقرب الى التصور فى البداية أن الحكومة الجديـدة سوف تحذو فى جانب من سياستها الخاصة بالسودان حذو الحكومات السابقة ، خاصة وأن المصالح المصرية فى السودان لم تكن قابلة للتغيير بنفس درجة تغير الحكومات •

غير أن هذا التصور لم يتحقق لما نتج عن حلول العهد الجديد محل العهد القديم أو العهد البائد حسب التسمية التى أطلقت وقتذاك على الفترة السابقة على ٢٣ يوليو •

ولم يكن حل الأسباب التى قادت حكومات (العهد البائد) الى اتباع سياساتها السودانية قد استمر قائما ، فالتاريخ قد تحلل منه الحكام الجدد، والأحزاب القديمـة بكل صراعـاتها وتركيبها وطبيعتهـا قد خرجت من على مسرح السياسة المصرية ، والملك قد تم ترحيله بعد أن نزل عن العرش ، باختصار فقد تحلل النظام الجديد من كل ما كان يملى على حكومات ما قبل الثورة سياساتها •

وللحقيقة فان طرح السلطة المصرية قبل الثورة لحل القضية السودانية كانت قد تجاوزته معطيات العصر ، فسودان عام ١٩٢٤ لم يكن هو سودان عام ١٨٩٩ ، ثم أن سودان عام ١٩٥٢ لم يكن يقينا سودان عام ١٩٣٦ •

ولم تتمكن قوى السلطة فى مصر قبل ١٩٥٢ أن تستوعب بقدر كاف المتغيرات السودانية،وهى وان استوعبتها فلم تكن قادرة على تغيير توجهاتها، أقصى ما استطاعته تلك القوى أنها غيرت من مسمى سياستها فى السودان من سيادة مصرية الى وحدة التاج المصرى •

ولعل أخطر ما فى هذا العجـز عن التغيير أنه قد أغفـل أن القوى السياسـية الجديدة فى السودان لن تسمح باستمراره ــ أى السودان ــ عنصرا سالبا فى العلاقات المصرية ــ البريطانية ، ثم أنه من جانب آخر قد سمح للقوى المناهضـة للارتباط بمصر ، بنفس القـدر الذى سـمح به البريطانيين أن يبثوا دعايتهم السـاعية الى اظهار مصر بمظهر القوة الراغبة فى استعمار السودان طالما أنها تسعى الى حرمان السودانيين من حقهم فى تقرير المصير •

وقد وقعت الحكومات المصرية قبل الثورة فى أخطاء بالغـة فى هذا الشأن كان أظهرها ذلك التصريح الذى أدلى به اسماعيل صدقى باشا رئيس الوزراء المصرى حال وصوله الى مصر بعد جولة من المفاوضـات مع وزير الخارجية البريطانى ، المستر بيفن •• جاء فى هذا التصريح الذى أدلى به

مساء يوم السبت ٢٦ أكتوبر عام ١٩٤٦ ما نصه : « جئت لكم بالسيادة على السودان » • وترتب على هذا التصريح قيام مظاهرات عنيفة معادية لمصر بين السودانيين •

وعلى ضوء كل تلك الاعتبارات لم يكن هناك مناصا أمام السلطة الجديدة من الوقوع على اختبار آخر ، وكان كما سبقت الاشارة نهج المدرسة الثالثة •• مدرسة اليسار المصرى ، وان اختلفت المنطلقات •

جاء الاختلاف الأول متصلا برؤية كل من الجانبين لأسلوب الكفاح المشترك ، فبينما كان اليسار المصرى والسودانى يرى أن هذا الكفاح ينبغى أن يتم من خلال تعبئة شعبية يستحيل معها استمرار الوجود البريطانى فى وادى النيل ، فان رجال يوليو لجأوا الى نهج مختلف ، وهو نهج يقوم على مبادرات السلطة فى مصر ، هذا من جانب وتنظيم الصفوف المصرية السودانية ، من جانب آخر •

ولا شك أن رجال يوليو عندما نهجوا هذا السبيل كانوا متأثرين باعتبارات عديدة يمكن أن نرتبها على النحو التالى :

— فهم لم يروا بصفتهم قوة ثورية أن هناك ثمة فرق بين أن يتولى الشعب المصرى مهمة الكفاح مع الشعب السودانى ، وأن يتولوا هم هذه المهمة باعتبارهم القوة التى تنوب عن بقية المصريين فى هذا الكفاح •

— وهم قد رأوا مع وجودهم فى السلطة أنهم يملكون أدوات أكثر حسما ، الأمر الذى يستطيعون معه اختزال كثير من الوقت الذى يمكن أن يضيع فى انتهاج الاسلوب الذى طرحته المدرسة اليسارية •

وعنصر الوقت بالنسبة للقائمين على السلطة له اعتباره ، فعلى ضوء استثمار هذا العنصر فى احراز الانتصارات السياسية يتقرر مصيرالنظام السياسى بأكمله •• الى بقاء أو الى زوال •

— ثم أنهم قد تأثروا يقينا بطبيعتهم العسكرية التى تقوم على المبادرة والتنظيم ، وهى الطبيعة التى كانت تقوم بالفعل قبل أن تنتظر رد الفعل •

— أيضا فقد كان فى امكانهم أن يدخلوا عناصر أخرى لم يكن يتاح لأبناء المدرسة الثالثة من فصائل اليسار المصرى ادخالها ، ممثلة فى استخدام الضغوط الدولية المتاحة لزحزحة الجانب البريطانى عن سياساته •

وتكشف الوثائق الأمريكية عن أن الولايات المتحدة قد لعبت خلال الشهور القليلة التي أعقبت قيام الثورة ، وفي ضوء العلاقات الودية التى

ربطت الحكومة الجديدة بحكومة واشنطون ·· قد لعبت دورا ملحوظا فى تقريب وجهات النظر والتوصل الى اتفاقية السودان ، وذلك بعد فترة قصيرة من قيام الثورة ·

ــ أخيرا فلا نظن أن ثوار يوليو كانوا مخلصين فى منح حق تقرير المصير للسودانيين ، فهم لم يروا فى هذا العمل أكثر من مناورة تضع البريطانيين ، كما تضع دعاة الانفصال من السودانيين فى موقع الدفاع ، وأنهم من خلال الاستخدام الجيد لعنصرى المبادرة والتنظيم سوف يقودون السودان الى الوحدة مع مصر ، الأمر الذى تشى به كل تحركاتهم خلال الفترة السابقة على الاتفاقية أو فى أعقابها ·

أقل من سبعة شهور نجح خلالها رجال العهد الجديد فى التوصل الى اتفاقية السودان ، الأمر الذى عجز عنه رجال العهد البائد بامتداد ما ينوف عن الثلاثين عاما ، أو على الأقل هذا ما بدا صبيحة يوم ١٢ فبراير عام١٩٥٣ عندما وقع كل من محمد نجيب والمستر رالف ستيفنسون على « اتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة لبريطانيا العظمى وشمال ايرلندا بشأن الحكم الذاتى وتقرير المصير للسودان » ·

لم يضيع رجال يوليو وقتا ، فقد بادرت الحكومة الجديدة فى أعقاب اخراج الملك فاروق بتوجيه الدعوة لزعماء السودان لزيارة مصر للتشاور فى مستقبل المسألة السودانية · ووصل تلبية لهذه الدعوة الزعماء الاتحاديون أولا ··

وفى الاجتماع الأول الذى عقده الوفد المصرى برئاسة نجيب مع الزعماء السودانيين كشفت الحكومة الجديدة عن حجم التغيير الذى دخل على السياسات الرسمية المصرية تجاه السودان فيما نقلته احدى المجلات المصرية · قال نجيب : « اذا كان لمصر فى الماضى مطامع فى السودان ·· فقد ذهب هذا العهد وذهبت معه مطامعه · ان مصر الحديثة لن تفكر فى يوم من الأيام أن تكون لها مطامع فى السودان · ولكنها تؤمن بأن لها فى الجنوب مصالح وثمة فارق كبير ضخم بين المصالح والمطامع · وبقدر ما تؤمن مصر بأن لها مصالحا فى الجنوب تؤمن بأن للجنوب مصالحا فى مصر » (١) ·

---

(١) آخر ساعة فى ١٩٥٢/١٠/٨ ·

تبع ذلك الاتصال بوفد حزب الأمة الذى كان قد توجه أولا الى لندن للتشاور مع الحكومة البريطانية وتوصل الطرفان الى اتفاق جاء فيه الاقرار المصرى بأن الهدف المشترك « تقرير السودانيين مصيرهم فى حرية تامة اما باعلان السودان بحدوده الجغرافية الحالية الاستقلال عن كل من مصر وبريطانيا أو أى دولة أخرى أو الارتباط مع مصر على أن يسبق ذلك قيام الحكم الذاتى الكامل فى السودان فورا » (١) ٠

والحقيقة أنه كان من الصعب ، ان لم يكن من المستحيل ، أن يرفض أيا من الأطراف الأخرى هذه المبادرة ، سواء كانوا من الانفصاليين ،أو دعاة استقلال السودان ، كما أسموا أنفسهم ، أو من الجانب البريطانى ، الشريك الثانى فى حكم السودان ٠

واذا كنا بصدد الحديث عن موقف حكومة يوليو من السودان ، أو بالأحرى موقف الجانب المصرى من القضية السودانية بعد الثورة فان هذا لا ينبغى أن يدفعنا الى تجاهل التطورات التى دخلت على الموقف البريطانى من القضية خلال تلك الفترة ٠

ليس من شك أن السياسات البريطانية تجاه السودان قد تغيرت تبعا لتآكل الامبراطورية البريطانية خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية ، خاصة بعد حصول الهند على استقلالها عام ١٩٤٧ ، ومن ثم فلم يعد للسودان كما لم يعد لغيره من البلاد الواقعة على طريق الهند نفس الأهمية التى كانت له من قبل الأمر الذى دعا المسئولين فى لندن الى أن يكونوا أكثر مرونة فى التعامل مع القضية السودانية برمتها ٠

ولعل ذلك يفسر النصيحة التى أسدتها حكومة لندن الى السيد عبد الرحمن المهدى الذى حرص على زيارة العاصمة البريطانية قبل تلبية دعوة الحكومة الثورية فى القاهرة بالقدوم الى مصر ، فقد نصحته الخارجية البريطانية بتلبية الدعوة وبحث ما يعرضه عليه المصريون ٠

ولما كانت سياسة حكومة الثورة تقوم على المبادرة والتنظيم ، كما سبقت الاشارة ، فقد كان عليها بعد أن أتت المبادرة بثمارها أن تتجه الى التنظيم ٠ وقد تمثل هذا التنظيم فى السعى الى القوى الاتحادية لتحصل منها على توكيل للتحدث باسمها ، وهو ما نجحت فيه فى أول نوفمبر١٩٥٢، وقد جاء فيه :

---

(٢) أحمد دياب : تطور الحركة الوطنية في السودان ، ص ٢٢١ ٠

« مع احتفاظنا بمبادئنا التى نقوم أساسا على الجلاء والاتحاد مع مصر عن طريق تقرير المصير للسودانيين فاننا بغرض تنظيم الجلاء وايجاد الجو الحر الملائم لممارسة تقرير المصير قد ارتضينا أن تكون هناك فترة انتقال لا تزيد عن الثلاث سنوات لتصفية الادارة الحالية على أن يشترك أبنائها فى انتخابات البرلمان بعد وضع الضمانات التى رأيناها كافية لحرية وسلامة تلك الانتخابات ٠٠ وفى نفس الوقت فاننا نترك للحكومة المصرية حرية العمل على تحقيق هذه الاغراض بالوسائل التى تراها » ٠

فى نفس الوقت ، بل وفى نفس اليوم نجحت حكومة يوليو فى دمج الأحزاب الاتحادية الست فى حزب واحد هو الحزب الوطنى الاتحادى ٠

بيد أن هذه الهرولة الظاهرة فى تشكيل الحزب الجديد نتيجة للمناشدة العاطفية التى لجأ اليها قائد الثورة اللواء محمد نجيب قد خلفت آثـارا سلبية سواء على درجة تماسكه ، أو على الدور الذى كان مفترضا أن يقوم به فى خدمة قضية الوحدة التى نشأ من أجلها ٠

فالتنظيمات التى تنشأ نتيجة للفورات العاطفية لا تلبث بعد قليل ، أن تهدأ العواطف وتطفو المصالح أن تغيم رؤية الأسباب الحقيقية لنشأتها ، أضف الى ذلك أن حالـة العجلة التى تصحب انشاء مثل هذه التنظيمـات لا توفر لها الاطار المحكم الذى أقيمت من أجله ٠ ومع تهاوى هذا الاطـار تسنح الفرص للراغبين فى الافلات منه لتحقيق رغباتهم ، ولعل ما جاء فى جانب من مذكرات اسماعيل الأزهرى رئيس الحزب يؤكد هذه الحقيقة ٠٠ قال الأزهرى :

« أود أن أسجل هنا أن الحزب الوطنى الاتحادى لم يكن حتى ذلك الوقت (١٩٥٤) قد بحث تفاصيل مبدئه السياسى وكان لابد لنا من أن نحدد تفاصيل المبدأ ٠ وكان بعض مؤيدينا من أعضاء البرلمان يستحثونا التحديد وكانت تجرى مناقشات هنا وهناك بصفة غير رسمية ولا تعبر عن رأى الحزب الوطنى الاتحادى ولا تفصح عن سياسته وذلك بسبب بسيط هو أن الحزب لم يحدد سياسته بعد ولم يناقشها وكانت بعض الصحف المحلية تطالبنا بتحديد موقفنا ٠٠ » (١) ٠

على أى الأحوال ، بعد المبادرة وان بدت متعجلة ، وبعد التنظيم وان بدا هشا دخل نظام يوليو فيما قدر له أن يكون جولة المفاوضات المصرية

---

(١) أحمد دياب ، مرجع سابق ، ص ٣٣٢ ٠

ـ البريطانية الأخيرة حول السودان ، وهى الجولة التى عرفت بمفاوضات نجيب ـ ستيفنسون .

أهم ما يلاحظ على سلوك الجانب المصرى فى هذه المفاوضات أنه لم يترك الجانب البريطانى يمارس لعبته المفضلة التى استمر يلعبها خلال جولات المفاوضات السابقة ، والتى تقوم على استعداء السودانيين على المواقف المصرية تجاههم ، فالذى حدث هذه المرة كان العكس .

فبعد خمسة اجتماعات من هذه الجولة جرت فى القاهرة بين يومى ٢٠ نوفمبر و ٢٢ ديسمبر عام ١٩٥٢ اتضح أن الجانبين يختلفان حول خمسة نقاط هى موضوع الجنوب ، لجنة الحاكم العام ، السودنة ، الانتخابات ، جلاء القوات الأجنبية .

وبينما كان المفاوض البريطانى فى القاهرة فى انتظار تعليمات حكومته بشأن النقاط المختلف عليها كانت حكومة الثورة تبعث برجاليها ، صلاح سالم وحسين ذو الفقار صبرى ، الى الخرطوم بحثا عن المساندة السودانية ، وقد حصلت عليها فى الاتفاق الذى وقع عليه ممثلو جميع الأحزاب السودانية فى ١٠ يناير عام ١٩٥٣ .

ولسنا هنا بصدد البحث عن تفاصيل هذا الاتفاق ، وانما بصدد تقرير حقيقة يقر بها جميع الفرقاء وهى أن نجاح مبعوثى الثوار فى مهمتهما فى الخرطوم هو الذى قاد الى التعجيل بتوقيع اتفاق١٢فبراير للحكم الذاتى وتقرير المصير .

لسنا هنا أيضا بصدد استعراض تفاصيل اتفاق ١٢ فبراير انما الذى يعنينا ما ترتب على هذا الاتفاق فى مجال العلاقات المصرية ـ السودانية ..

باختصار فقد نص الاتفاق على فترة انتقال فى السودان مدتها ثلاث سنوات أصبح الحاكم العام خلالها ممثلا للسلطة الدستورية العليا بمعاونة لجنة خماسية تشكل من سودانيين وانجليزى ومصرى وباكستانى، وتشكيل لجنة للانتخابات ولجنة للسودنة ووضع مشروع لانتخاب جمعية تأسيسية تقوم بتقرير مصير السودان .

بين توقيع الاتفاقية واجراء الانتخابات وهى فترة امتدت لتسعة شهور نشط الجانبان . كل فى اتجاه مختلف ..

حكومة يوليو سعت الى حصول الحزب الوطنى الاتحادى على الأغلبية فى الجمعية التأسيسية مما سوف يمهد ، فيما تصوره رجالها على رأسهم

صلاح سالم ، الى أن يقرر السودانيون مصيرهم على نحو يحقق الاتحاد مع مصر ٠

سار البريطانيون فى الاتجاه الآخر،سواء بمحاولة اضعاف الاتحاديين أو بالسعى الى دعم أنصار الاتجاه الاستقلالى ٠

وقد تبادل الطرفان الاتهامات خلال تلك الشهور ، فبينما اتهم صلاح سالم الادارة البريطانية بالتدخل فى حيدة الانتخابات ومحاولة التأثير على الناخبين السودانيين ، اتهم السير روبرتسون الحاكم العام المصريين بأنهم يستخدمون كل الامكانات المتاحة لهم ، من دعايات أو أموال ، فى دعم الاتحاديين ٠

على أى حال أسفرت الانتخابات التى أعلنت نتائجها عن فوز كبير للاتحاديين الذين حصلوا على ٥٤ مقعدا مقابل ٢٠ مقعدا لحزب الأمة و ٤ للحزب الجمهورى و١٢ مقعدا للمستقلين ٠

وفى صبيحة يوم ٢٩ نوفمبر ٠٠ يوم اعلان نتائج الانتخابات ، كانت هناك رنة فرح كبيرة فى القاهرة ، فقد بدا أن الحكومة الثورية من خلال سياساتها القائمة على المبادرة والتنظيم قد نجحت فى تحقيق ما لم يستطع العهد الأسبق أن يحققه بأى شكل ٠ بيد أن الأعوام الثلاثة التالية كانت تحمل من المفاجآت ما أدى الى تبدد الفرحة !

فأولا : لم ير البريطانيون أو رجال حزب الأمة أن المعركة قد انتهت ، بالعكس فقد ساروا قدما فى طريقهم سعيا الى افساد النجاح الذى تمكنت حكومة يوليو من احرازه ٠

جاء السعى البريطانى من خلال خطة تقوم على اجتذاب الاتحاديين ليتخلوا عن هويتهم ، تكشف الوثائق البريطانية عن نجاح تم احرازه فى هذا المسعى فى أقل من عامين ، الأمر الذى سجلته مذكرة للخارجية البريطانية مؤرخة فى أغسطس عام ١٩٥٤ جاء فيها : « أصبح الحزب الوطنى الاتحادى أميل الى مساندة فكرة الاستقلال » !

فى نفس الوقت كان حزب الأمة ينشط لاستخدام العنف ، الأمر الذى بدأ على أشده فى أول مارس عام ١٩٥٤ ، وكان يوما حزينا من أيام الوحدة المصرية ــ السودانية ٠

ففى هذا اليوم توجه اللواء محمد نجيب وصلاح سالم الى الخرطوم للمشاركة فى احتفالات السودان بافتتاح البرلمان ، الا أنه بمجرد هبوطهم من الطائرة داهمتهم مظاهرات حاشدة تهتف « لا مصرى ولا بريطانى ٠٠

السودان للسودانى » أعقبهـا اشتباكات أسفرت عن سقوط ٣٣ قتيــلا و١٠٧ مصابا وألغيت الاحتفالات ولم يجد مندوبو الحكومة السورية بدا من العودة الى القاهرة قلقين من مجريات الأمور فى الجنوب ، وكان واضحا أن ما جرى كان من تدبير حزب الأمة ٠

ثانيا : أدى استمرار أسلوب صلاح سالم فى التعامل مع السودانيين بعد ظهور نتائج الانتخابات على نفس النحو الذى كان يتعامل به معهم قبلها الى اهتزاز الثقة ، بل وبث النفور فى قلوب حتى المتعاونين مع مصر من هؤلاء ٠

فبالاضافة الى التعالى الذى اتسم به هذا الأسلوب ، وهو أمر ينفر منه السودانيين ، فقد كان الاسراف فى توزيـع الأموال على المتعاونين يحمـل شبهة العمالة ، وهو الأمر الذى حاول عديدون منهم أن يتجنبوه ، بالاضافة الى أن بعضهم شعر أن بامـكان سالم أو مساعـده أبو نار استخدام هذا السلاح ضدهم اذا لم تتوافق مواقفهم مع آراء الرجلين ٠

ثالثا : تطور الأمور فى مصر على نحو أزعج بلا شك السودانيين ، كما فت فى عضد الاتحاديين منهم الذين بدأوا فى اعادة النظر فى مواقفهم ٠٠

جانب من هذا التطور تمثل فيما تمخض عن صراع السلطة بين نجيب وناصر خلال عام ١٩٥٤ من استبعاد الأول بكل ما كان يكنه له السودانيون من عواطف ودية ، سواء بحكم علاقته الخاصة السابقة بهم أو بحكم أنه كان صانع اتفاق فبراير عام ١٩٥٣ ٠

الجانب الثانى نتج عما أصاب الجماعات العقيدية من عنت من رجال يوليو ٠٠ الشيوعيين بعد أزمة مارس والاخوان المسلمين بعد حادثة المنشية ، ولما كانت هذه الجماعات هى الجماعات السياسية المصرية الوحيدة التى لها امتداد فى السودان فقد كان من الطبيعى أن تؤثر تلك الأحداث بشكل سلبى على الاخوان والشيوعيين السودانيين الذين بدأوا يسحبون تأييدهم للاتجاه الوحدوى مع مصر ٠

أخيرا ينبغى التسليم بأن الرئيس اسماعيل الأزهرى وعدد غير قليل من الاتحاديين قد استهوتهم خلال تلك الفترة أبهة الحكم ، ولم يجدوا ثمة سبب يدعوهم الى التمسك بالوحـدة التى سوف يتحـكم فيها (العسكر المصريون) بكل ما هو معروف عنهم من تعالى وغطرسة ، أو هذا هو ما صوره هؤلاء لاقناع أنفسهم والآخرين بمبررات تحولهم عن الوحدة ٠

بدأ هذا الاتجاه يتأكد مع مرور الوقت ، ففى أعقاب حادثة أول مارس بدأت تعبر تحركات اسماعيل الأزهرى عن تخليه عن فكرة الوحدة ، فقد

رفض هدية من الأسلحة الحديثة عرضتها عليه مصر ، كما رفض ارسال ضباط سودانيين للتدريب فى مصر كما رفض اعتماد مصر لمبلغ كبير لتنفيذ مشروعات ثقافية واجتماعية وصحية فى السودان ، أكثر من كل ذلك فقد لبى دعوة للسفر الى لنـدن فى نوفمبر عام ١٩٥٤ حيث استقبلتـه الملكة اليزابيث وونستون تشرشل (١) ٠

بدا واضحا خلال النصف الثانى من عام ١٩٥٥ أن مبدأ الوحدة قد تآكل تماما من وجهة نظر حكومة الأزهرى ، وشكل الحزب الوطنى الاتحادى لجنة من أعضائه لوضع تقرير حول شكل الحكم المنتظر بعد فترة الانتقال ، وقد أكد هذا التقرير على ضرورة التخلى عن مسألة اتحاد مع مصر ، ووافقت الهيئة العليا للحزب على التقرير ، ولم تلبث حكومة السودان أن أعلنت قيام الجمهورية السودانية فى ١٩ نوفمبر عام ١٩٥٥ ، ففى يوم أول يناير عام ١٩٥٦ تم انزال العلمين المصرى والبريطانى من على دار الحكومة ورفع العلم السودانى ، ومع طى العلم المصرى طويت الآمال التى ظلت تراود الحركة الوطنية المصرية لأكثر من نصف قرن « بتحقيق وحدة وادى النيل » ٠

بالرغم من تبدد الأمل القديم ، وبالرغم من انصراف مصر الى مساريعها الوحدوية مع المشرق العربى خلال السنوات التالية (١٩٥٨ ــ ١٩٦٣) ، فقد استمر السودان يحتل مكانته الخاصة فى سياسات ثورة يوليو ، ولم يكن عبد الناصر يستطيع أن يفعل سوى ذلك ، بحكم ما للسودان من أهمية حيوية للمصالح المصرية ٠

يمكن أن نرصد المحاور الأساسية التى قامت عليها سياسات العهد الناصرى تجاه السودان على النحو التالى :

المحور الأول : يقوم على الحفاظ على المصـالح المائيـة المصريـة فى السودان وقد تجسد هذا المحور فى عقد اتفاق الانتفاع الكامل لمياه النيل بين الحكومتين المصرية والسودانية فى نوفمبر ١٩٥٩ ٠

بغض النظر عن بعض الاعتراضـات السودانيـه التى رأت أن هذه الاتفاقية التى وقعتها حكومة عبود العسكرية تنقصها الشرعية لأنه لم توقع عليها حكومة دستورية منتخبة ٠٠ بغض النظر عن ذلك فنلاحظ أن الاتفاقية المذكورة كانت أول اتفاقية تعقـد بعد ثلاثين عاما من اتفاقيـة مياه النيل السابقة عليها الموقعة فى عهد حكومة محمد محمود الأولى عام ١٩٢٩ ٠ كما

---

(١) أحمد حمروش مصر والسودان ـ كفاح مشترك ص ٨٣ ـ ٨٤ ٠

يلاحظ أنها قد عقدت لمواجهة الاوضاع المائية الجديدة بعد الشروع فى بناء السد العالى •

المحور الثانى : يقوم على سياسة التهدئة فى العلاقات مع الحكومات القائمة فى الخرطوم وضبط النفس خاصة فى الظروف التى تتبع فيها تلك الحكومات سياسات نابعة من الاعتبارات الحزبية •

وتقدم قضية أزمة الحدود التى فجرتها حكومة عبد الله خليل فى فبراير عام ١٩٥٨ ، والمعروفة بأزمة حلايب نموذجا على ذلك •

فبالرغم مما عرفت به السياسات الناصرية من صلابة فى القضايا الوطنية ، وبالرغم من أن سياسات حكومة عبد الله خليل كان يمكن أن ينظر اليها باعتبارها تمثل مساسا بالسيادة على جانب من التراب الوطنى المصرى ، بالرغم من كل ذلك فقد جمدت حكومة الثوره الأزمة ، وبذلت كل ما وسعها من الجهد لاحتوائها •

المحور الثالث : أن يظل لمصر ، وتحت أى ظروف وجود فعال فى السودان ، وقد رؤى أن أفضل ميدان من ميادين هذا الوجود هو الميدان الثقافى ، سواء بسبب تلبيته لحاجات شعبية لا تقدر الحكومة السودانية على الوفاء بها ، أو بسبب أنه يثير قدرا أقل من الحساسية •

من هنا جاءت اقامة فرع لجامعة القاهرة فى الخرطوم عام ١٩٥٥ ، بالاضافة الى التوسع فى انشاء المدارس التابعة للبعثة التعليمية المصرية فى فى السودان ، والتى بلغت عام ١٩٦٧ ٢٧ مدرسة يقرب عدد تلاميذها من ١٢ ألف تلميذا وتلميذة •

المحور الاخير : أن يبقى السودان عمقا استراتيجيا لمصر ، وهو الأمر الذى بدأ بشكل لا لبس فيه بعد حرب يونية عام ١٩٦٧ •

فاختيار الخرطوم لعقد مؤتمر القمة العربى فى أعقاب هذه الحرب كان مقصودا،والاستقبال الهائل الذى بادرت به الجماهير السودانية لعبد الناصر كان تعبيرا عن حقيقة تاريخية أن السودان فى أى الظروف يمثل العمق الاستراتيجى لمصر • وقد تأكدت هذه الحقيقة أكثر بنقل بعضا من قوات الجيش المصرى ، خاصة من الطيران الى السودان لتكون بعيدا عن متناول القصف الاسرائيلى •

أخيرا نستطيع أن نزعم أن السياسات المصرية ، حتى بعد غياب عبد الناصر ظلت تدور حول هذه المحاور ، ولا نظن أننا نكشف سرا عندما نقول أنها ملتزمة بتلك المحاور حتى يومنا هذا !

المناقشة والتعقيبات :

ـ**استفسار للدكتور عبد العظيم رمضان** : « يعنى أنا يتهيألى ان مسألة حق تقرير المصير هذا فيها خطأ شائع بأن اليسار فقط هو الذى نادى به ثم كانت ثورة يوليو أول من طبقه انما أنا أثبت أن حكومة الوفد الأخيرة كانت أخذت بالفعل بحق تقرير المصير وأعلن ذلك محمد صلاح الدين ، فعندما أتت ثورة يوليو وجدت بالفعل الطريق ممهد أمام حق تقرير المصير فأخذت به لكنها لم تبتدع ذلك من الناحية التاريخية ٠

أما من الناحية الأخرى أنه حتى حق تقرير المصير مثل الديمقراطية فهل حق تقرير المصير نعطيه لشعب مستعمر وواقع تحت ضغوط قبلية أو تحت ضغوط استعمارية وفى عصر لم يكن هناك مثل هذه المسائل موجودة كان الحق القانونى ومصر لم تكن تنظر للسودان نظرة استعمارية لأنها لم تستعمره لانها تنفق عليه لدرجة أن مصر كانت تدفع ميزانية الجيش حتى بعد استقلال القوات السودانية بعد حادث السير لى ستاك جاء زيور وقال. نحن نظل نصرف على القوات السودانية رغم أنها انتهت ولن نعد بالوضع الأول ومع ذلك ظل يصرف عليها نصف ميزانية القوات المسلحة كل سنة يرسلها للسودان على طول ٠

أما بالنسبة لكلمة استعمار فأنا جلست مع بعض الاخوة السودانين فى حوار معهم فى ندوة حوض النيل قلت الاستعمار هذا مصطلح عربى ٠ الاستعمار بالمعنى الذى نفهمه لم ينشأ الا بعد ظهور الطبقة الرأسمالية ، انما فى العالم الاسلامى لا لم يكن فيه استعمار هذا كان عبارة عن تحركات داخلية لحاكم اسلامى يوسع حدود بلده أو حدوده ليس هناك أكثر من ذلك انما لايستعمر ، يعنى أتت الحملة الفرنسية ـ بالنسبة لكلمة الأستاذ الدكتور يونان أن السودان عمق لمصر ـ كان المماليك يحاربوا ونزلوا على الصعيد وعندما تتبعهم الفرنسيون دخلوا السودان وهذا شىء طبيعى ، اذا هم لم يشعروا أنهم دخلوا دولة أخرى انما هل السودان فى هذه الأيام وهذا مثل ما يقول ان حق تقرير المصير مثل الديمقراطية أى أنك تعطى ديمقراطية لشعب الجهل يسوده ولم يستطع أو يقدر أن يحسن استخدامها فتتغلب عليه المصالح مثل هذه الأيام المتغلب الجماعات الاسلامية وجماعات التكفير وغيرها وزعموا أنه لو كان يمكن أنه كان فى الانتخابات الماضية هذه الانتخابات حرة يمكن الذى سينتصر فيها كانت جماعات التكفير وكنا رحنا

"كلنا فى داهية فيمكن أنا لأول مرة أشكر الظروف بأن هذه الانتخابات كانت انتخابات مزيفة ، نحن أحيانا هناك شعارات مجردة نطلقها بشكل من التجريد فى حين أنها لا تستطيع أن تنفصل عن ظروفها وبيئتها الطبيعية التى تنشأ فيها ، فى هذه الأيام السودان فى تصورى الحاضر أو يمكن فى تصور كثير من المنصفين أنه خسر بالاستقلال خسائر فادحة يعنى هو بالتأكيد كان قبل ذلك أحسن حالا انما هى هذه الأوضاع فى أوضاع صعبة جدا وحتى البلاد العربية غير قادرة على المساعدة ، وفى نهاية الأمر كل ما كان هناك أزمة من الازمات لايجد أمامه غير مصر هى التى تستطيع الوقوف بجانبه فحتى الاستقلال بالنسبة للسودان لم يفده بأى شكل من الأشكال وبالتالى فنحن علينا أن نعيد النظر سوية فى هذه المصطلحات ثم فى مواقفنا نفسها ، يعنى أنا مثلا كنت بقول حق تقرير المصير لأنه أقل شىء حق تقرير المصير فمثلا بلد مثل مصر طول عمرها مصر منذ سبع آلاف سنة وهى مصر لم تتغير ومنذ أيام الثورة العرابية والمصريين يقولون : أن مصر للمصريين انما هذا المفهوم حتى بالنسبة للبلاد العربية كان مفهوما غامضا وأن فكرة القومية العربية نفسها فكرة جديدة والعرب هم لم يطالبوا بالاستقلال حتى عقد مؤتمر باريس ١٩١٣ لم يكونوا يطالبون بالاستقلال عن الدولة العثمانية ، فكرة القومية العربية فكرة كانت مائعة ولم تكن واضحة بالنسبة للعرب فالعرب أنفسهم لم يعرفون أنهم عرب ، يعنى يعرفون أنهم عراقيون • سوريون • وانما عرب بالمعنى الذى نحن نفهمه الآن فى هذه الأيام والذى يفهمه التلميذ الصغير هذا انجاز ثوره يوليو كما ذكرت وانه فكرة القومية العربية من المحيط للخليج هذا مفهوم حديث جدا حتى عندما عملت جامعة الدول العربية لم تكن الفكرة واضحة بالمعنى هذا أو بهذه الطريقة » •

ــ رد الدكتور يونان :

« هناك ملاحظتين حول كلام الدكتور عبد العظيم وهما ، الملاحظة الأولى وهى متصلة بقضية محمد صلاح الدين والوفد فالحقيقة أننى أعرف أن محمد صلاح الدين فى المرحلة الاخيرة من المفاوضات اقترح طرح الفكرة ولكن فوجىء برفض واستهجان شديد وأظن أنك قد ذكرتها فى الرسالة ومن الزملاء ولسبب بسيط تماما وهو أن طرح فكرة ما حتى لو بدت فكرة متقدمة فى ذلك الوقت انما غريبة عن مجموع الظروف المحيطة ، فكرة فيها تحدى للقصر وفيها تنكر للتاريخ وفيها رفض لمصالح القوى الموجودة حتى من ناحية السياق التاريخى شىء طبيعى جدا أنها ترفض أو تصبح مرفوضة وغير مقبولة وبالمناسبة وأنا كنت حريص جدا وعندى وساوس كبيرة فى مسألة هذه الندوة فى مجملها من شىء وهو أن تتحول هذه الندوة أو هذه المنافسة من مكان الادلاء بالحقيقة العلمية الى مكان للتناحر الحزبى وأنه يوجد ناس ناصريين وهناك وفديين ومن هنا اذا حدث هذا فى الحقيقة أخشى

أن نفقد هذه الندوة مصداقيتها العلميه ، أنا لا أنكر على محمد صلاح الدين أنه فكر بهذا الشكل ولا أنكر على الوفد دوره الوطني ، ولكنى أتصور أن الظروف كانت لا تسمح فى هذا الوقت من خلال ما طرحته من أفكار للوفد أو غيره من الأحزاب التقليدية القائمة وأن تنادى بحق تقرير المصير بديلا عن فكرة الوحدة المصرية السودانية تحت التاج المصرى ٠

أما الملاحظة الثانية أو الجانب الآخر مسألة الـ ٨٠٠ ألف جنيه والتى قبلت مصر أن تدفعها بعد ١٩٢٤ بعد حادثة سير لى ستاك ليست مصر قبلت أن تدفعها وانما حكومة زيور هى التى ألحت فى دفعها لأنها رأت أن ما بقى لمصر فى السودان أمران ، علم مصرى يرفع ومعونة سنوية تدفع ٠

وكان معنى الغاء جانب من الجانبين أن الجانب الآخر سينتهى وأن السودان سيقع تماما فى أيدى الشريك الآخر ، الشريك الأرجح أو الشريك البريطانى الأقوى ، فعلى الرغم أنه كان يوجد فى هذا الوقت من ينظر لزيور على أنه فعل هذه الفعلة بشكل مستهجن من أى حد يقرأ التاريخ ، تاريخ العلاقات المصرية السودانية لكن فى ضوءالظروف العامة (حكومة انقاذ ما يمكن انقاذه) الوفد مضروب ، سياسة البوارج التى استخدمتها بريطانيا بعد حادث السيرلى ستاك فى اطار انقاذ ما يمكن انقاذه نحن مستعدون أن نلقى هذه المعونـة فى سبيل الابقـاء على السيادة المصريـة على السودان أو مشاركة مصر فى السيادة على السودان ، هذا كان رمز وهذا يؤكد على الفكرة التى كنا نقولهـا طول الوقت وهى أن الأحزاب التقليديـة كانت أحزاب تنادى بالسيادة المصرية على السودان » ٠

استفسار من **الدكتور / رفعت السعيد** :

« المعترضون المصريون عندما تحولوا الى رجال أعمال ورجال صناعه طمعوا أو اتجهت أنظارهم جنوبـا نحو اتساع الأفق ، أنا أعتقـد أولا من الناحية التاريخية قبل أن يصبح الملاك أو رجال أعمال صناعيين ومنذ أن كانوا كبار ملاك لأراضى زراعية كان طموحهم جنوبا والسبب هو تحديدا أنهم كانوا كبار ملاك أراضى زراعية يطمعون الى توسع فى الأراضى الزراعية، الأراضى الزراعيـة البكر التى ينظرون اليها شرها وكأنهـا بلا صـاحب ويطمئنون أو يريـدون أن يطمئنوا الى تحكمهم فى القسم الأكبر من مياه النيل ، هذه القضية كانت هى القضية المحورية فى التفكير الحاكم أوالطبقات الحاكمة المصرية أو حتى تفكير هذه الطبقات قبل أن تصبح حاكمة من أيام ما عمر طوسون قال : اننا اذا تركنا السودان فان السودان لن يتركنا ومن قبل كان التمسك أو هذا الولع بالسودان مصـدره الحقيقى هو الرقعـة

الزراعية الخصبة التى يسيل لها لعاب كل من يعرف الزراعه فى مصر ومياه النيل وهذا ما يفسر واقع غريب جدا هو أن مصر كانت بلد محتلة تفاوض لتحرير نفسها ولاحتلال بلد آخر فعندما يقولون لها خذى أرضك أنت نقول لا والسودان وتفسد كل المحاولات من أجل ايجاد أى تسوية للقضية المصريه دون السودان ، وكان طبيعيا عندما تأتى ثورة يوليو وهى التى رأت أن نوجه ضربها الأولى لكبار الملاك الزراعيين وتصدر قانون الاصلاح الزراعى كان من الطبيعى أن تقصد باهتمامها هذا مع رغبتها فى أن يظل السودان بعدا استراتيجيا ومع حرصها على أن تظل ممسكة بمفاتيح تكفى للتحكم فى قدر كاف من مياه النيل وعندما وافقت مصر فى صورة ثورة يوليو أو فى ظل ثورة يوليو على حق تقرير المصير كانت تطمح الى أن يكون تقرير المصير فى صالح الوحدة كما تفضل الأستاذ الدكتور يونان وقال ذلك ٠

والأسباب التى أوردها لتفضيل الحزب الوطنى الاتحاد على الانفصال أسباب صحيحة وان كانت قضية الديمقراطية العامة ٠٠٠وضرب الشيوعيين لا ٠ انما هو رأى رأس الذئب الطائر هو اسماعيل الأزهرى رأى رأس الذئب الطائر بمعنى وجد نجيب يطير ووجد خالد محيى الدين يطير ووجد يوسف صديق يطير قال أنا سأربح أجلس يومين وأطير أنا أيضا أو ثلاثة وأطير ٠

ومن ثمهو طبعا بالاضافة الى لذة الحكم وبالاضافة الى أشياء أخرى كثيرة كان من الطبيعى أن يفضل الاستقلال ٠

نقطة اضافيـــة هى اذا كانت مصر الفتـاة طالبت بكل هذه الأراضى فهذه الروح الامبراطورية التى سيطرت على أحمد حسين عندما كان يرفع شعار مصر فوق الجميع وهكذا ٠

أما عندما يطالب حسن البنا بذلك فهو مجرد تملق زائد للملك لأن جماعة الاخوان المسلمين شعارهــا الأساسى لاوطنيــة فى الاسلام والوطن الاسلامى بالنسبة لها هو كل مكان توجد فيه غالبية مسلمة ومن ثم فان طموحهم يمتد الى أندونيسيا وباكستان كما يمتد الى السودان مثلما يمتد الى القيروان أو الى أى منطقة أخرى ٠

ولكن قصة زيلع ومصوع وهذه الأماكن ، هذا كان مجرد شعار يأتى يستهدف أنه لمولانا أن الوفـد يقولو لك ملك مصر والسودان خـذ زيلع والحبشة كمان ٠

أما عن السؤال الذى طرحه الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان عن الخسارة والمكسب والسودان والاستقلال ٠ الاجابة٠٠٠لا طبعا ٠ أعتقد أنه

أيا كان الوضع فلقد كسب السودان نفسه أما كيف يدبر نفسه ؟ فهذه مسألة أخرى ولو أن السودان كان قد « ولو أن التاريخ لا يوجد به كلمة لو أبدا أو يستحيل أن يكون فيه لو » وافق على الوحدة مع مصر لست أتصور أن هذه الوحدة كانت ستصمد أكثر من الوحدة المصرية السورية » .

ـ رد الدكتور يونان لبيب :

« ان الأخ العزيز الدكتور رفعت السعيد استفاض فى مسائل خاصة رفى مسائل أنا عرضت لها ، ولكن هناك مسألة واحدة يبدو وكأن هناك خلاف بيننا وهى كبار الملاك ورجال الأعمال . أنا الحقيقة لم أنف أن كبار الملاك كانت لهم طموحاتهم فى السودان وانما أكدت على أنهم عندما أصبحوا رجال أعمال زاد حجم هذه الطموحات وأنا حتى هذا الكلام ليس من عندياتى وانما كانت مجلة الفجر الجديد والدكتور رفعت قد قرأها قراءة جيدة أحسن منى عشر مرات كانت كثيرا ما تلح على هذه الحقبة » .

ـ استفسار وتعقيب من الدكتور/ سيد عشماوى :

« التعقيب بشأن ما ذكره الدكتور عبد العظيم رمضان عن محمد صلاح الدين ، وهو أن محمد صلاح الدين أجبر فى هذه الفترة ـ فترة ١٩٥١ ـ أن يدلى بهذا التصريح تحت تأثير الحركة الوطنية الديمقراطية المصرية التى خرجت فى مظاهرات عارمة ترفع شعارات ، فمثلا مجموعة أنصار السلام فى الحركة الوطنية للتحرر الوطنى كانت ترفع شعارات فى المظاهرات حول حق تقرير المصير للشعب السودانى ، وأنا رأيت ذلك بالصور أثناء دراستى للدكتوراه ، فأنا أقول : انه شخصيا أجبر على أن يدلى بهذا التصريح ولم يكن فى سياسة الوفد ولا البرامج انه يتبنى التبنى الواضح لقضية حق تقرير المصير للشعب السودانى .

أما السؤال فهو للدكتور يونان فهو اذا تصورنا أن هناك شرعية فى استمرار ثورة يوليو حتى فى عصر السادات فهل كان فى ذلك الوقت استراتيجية مصرية كما حدث فى عهد السادات ؟

بخصوص الفترة من ١٩٥٢ أى الفترة الناصرية فهل كان هناك استراتيجية مصرية بالفعل تنفذ الى السودان على أساس أنه من الممكن أن تحدث هناك حركة كما حدث فيما بعد مثلا يسارية أو شيوعية أو أكثر تقدمية ، من الممكن أن تصيب النظام المصرى بأذى وبالتالى هل وضع هذا التفاوض فى أذهان ضباط ثورة ٢٣ يوليو ، هذا التطور فى أذهان ضباط ثورة ٢٣ يوليو فى الفترة من ١٩٥٢ حتى وفاة عبد الناصر » .

ـ رد الدكتور يونان لبيب :

الحقيقه أنه لعل سؤال الدكتور سيد عشماوى يثير قضية على هذه الندوة ، وهى لماذا لم يطرح أحد هذه القضية فى ورقة ، وهى ما هو المقصود بثورة يوليو ، هل هى ثورة يوليو الحقبة الناصرية أم هى حتى وقتنا هذا فتشمل الحقبه الناصرية والساداتية والمباركية ؟

« الحقيقة أنه يمكن لو طرح هذا السؤال وتوصل المحاور الى الاجابة لتضمنت رد على سؤال الدكتور باستفسار : هـل كانت فكرة الثورة أن تفرغ من السودان لتعالج قضية مصر ؟

وكان رد الدكتور يونان كالتالى :

الحقيقة أن هذه القضية عالجتها فى الورقة ولكن لم أتعرض لها فى العرض السريع الذى عرضته ، وهى قضية ان كانوا قد نهجوا نهج حكومات ما قبل الثورة أى التوصل الى حل قضية الجلاء المصرية وتجميد قضية السودان أو تبريدها أو وضعها فى فريزر ان جاز التعبير ، يعنى فى ١٩٣٦ نرجع الى اتفاقيتى ١٨٩٩ وتظل هذه الى أن ألغى النحاس معاهـدة ١٩٣٦ واتفاقيتى ١٨٩٩ ، هنا الصورة كانت عكسية بالنسبة للرجال الجدد فهم رأوا أن يبادروا بالتعامل مع الأصعب ، مع قضية السودان أو بمعنى آخر تسخين قضية السودان وحلها على اعتبار أن قضية الجلاء فى أغلب جوانبها متفق عليها ومن هنا جاءت المبادرة وهذا عكس ما كان معتادا من قبل ، المبادرة والتحرك اتجاه حل قضية السودان ومن هنا كانت اتفاقية فبراير ١٩٥٣ سابقة على اتفاقية الجلاء أكتوبر ١٩٥٤ بسنة وبضعة شهور أو بالتحديد ثمانية شهور » .

ـ تعقيب للأستاذ جمال شقرة :

« التقرير أو التقارير التى رأيتها أثناء رسالة الماجستير تأكد على نفس الجزئية التى كنت سيادتك تتكلم عنها ، التقارير لعبت دورا خطيرا جدا فى قضية استقلال السودان أو رفعت شعار حق تقرير المصير لشعب السودان ، تقارير كثيرة جدا سأعود وأقول : أنه كانت هناك لجنة أو جماعة شكلت أنيط بها العمل العربى ، هذه الجماعة هى التى كانت تحت ادارة المخابرات العامة أو يرأسها واحد من المخابرات العامة وله اسم حـركى ، فبالنسبة للسودان كان هناك أحد التقارير الهامة جدا ومن هذه التقارير التى وصلت لعبد الناصر تقول له : « انجلترا لا تهتم لا بخططك ولا بخطط نجيب ويجب الانتهاء بسرعة من حل قضية السودان والذى تحتاجه فقط من

السودان هو مياه النيل · وأن مصر نستطيع أن نحصل على هذا بـدون الوحدة » ·· وحتى استمرار اهتمام عبد الناصر حتى بعد حدوث الاشتراك أو الافتراق بالسودان حتى١٩٦٩ وهذا آخر تقرير كان يعرض على عبدالناصر وهذه التقارير كانت على درجة كبيرة جدا من الأهمية وتحت عنوان السودان يوما بيوم تصف له أو تشرح له الحركة السياسية والاجتماعية والقومية فى السودان يوم بيوم ، هذا التقرير أنا رأيته تقريبا وكان فى سبتمبر ١٩٦٩ ·

ـ استفسار من الأستاذ جلال كشك :

« فى الحقيقة لم أرغب فى حرق ورقتى انما فى الحقيقة قضايا أثيرت لا أستطيع الصبر عليها فبالنسبة لحق تقرير المصير ، أنا لا أرى فيه نزاع لأن الدكتور اعترف بأن مجلس الثورة لم يكن صادقا فى اعطاء حق تقرير المصير للسودانيين فلا مجال لتنازع الشرف ، على الأقل الأحزاب التى كانت سابقة للثورة كانت صادقة فى شعورها بأنها تتحدث عن وطن واحد كما قال فؤاد سراج الدين : «لايجوز اعطاء أسيوط حق تقرير المصير» ، الأحزاب قبل الثورة كان عندها مفهوم انه وطن واحـد يعيش عليـه شعب واحـد يتعرض لمحاولة انفصال والمشكلة لقضية السودان أنها قضية غامضة جدا لأنه كما قال الدكتور صلاح العقاد استخـدمت محاولات ضخمة لجعـل الشعب المصرى يتساهل لأنه عندما فشلوا فى المقامرة التى صنعوها كما قال الدكتور يونان قالوا نحن نعطى حـق تقريـر المصير ولكن نكذب فى الآخر ، وخسروا وحاولوا تغطيتها بهـذه الحملة الضخمة فى أشياء كثيرة منها التضليل حول حقيقة علاقة مصر والسودان ، والجيل الجديد أو الطالع لا يعرف هذا ، كان شعبا واحد فى مفهومنا يمكن خطأ ولكن مفهوم الشعب كما قـال الدكتور يونان ان أى تفـريط من أى سياسى مصرى فى قضيـة السودان كان يعنى نهاية مستقبله ، هذا مكتوب بالحرف فى الورقة وهذا لا يمكن أن يحدث الا اذا كانت قضية شعبية قوية جدا ·

أول استفتاء انتخاب حر حدث فى السودان اختار الوحدة ، اذا الشعب فى الجنوب وفى الشمال يريد الوحدة لماذا نقف ضده نحن ونفرض عليه الأنفصال ؟ · هذا طبعا مفهوم خطأ فالنظرة أننا كنا نعتبره وطن واحد عندما نتكلم عن السيادة والدكتور يونان عمل رسالة عن السيادة المصرية فى طابا ·

كلمة السيادة لما تكون تتحدث عن وطنك هذا تعبير خاص بحماية استقلالك فى هذه الأيام يقولون لك : « سيناء عادت منقوصة السيادة » · هل نحن نريد استعمار سيناء ؟! وعندما نتحدث عن تعمير سيناء والمشاريع

التى يمكن أن تقام فى سيناء فى هذه الأيام ، هل الرأسمالية المصرية متعطشة للاستعمار ؟! ··· لا انما هذه نقطة وتلك أخرى ولذلك أنا أشكر الدكتور رفعت السعيد جدا لأنه كان واضحا تماما عندما قال : مصر تستعمر السودان وأى استقلال خيرا من الاستعمار ولذلك يجب أن تخرج مصر من السودان كان واضح وصريح فى هذا مفيش نقاش ·

هناك تعليق ثالث حول مسألة موقف اليسار من مسألة حق تقرير المصير فيه مغالطة شديدة جدا ، أنا عندى هنا اعترافات محجوب (*) أمام المحكمة التى كانت تحقق معه ومحجوب هذا من الحزب الشيوعى السودانى قال : انه كان يفكر فى قضية مصر والسودان وكانت شاغلة باله حتى وجد كتاب ستالين فى القوميات فعثر فيه على حق تقرير المصير ، قال ستالين فى قضية القوميات : القومية الكبرى تعترف بحق تقرير المصير بما فيه الانفصال للقومية الصغرى ، والقومية الصغرى تطالب بالوحدة مع القومية الكبرى فتتم الوحدة الاختيارية ·

الشيوعيين فى مصر والسودان قبلوا النصف وهو حق الاستقلال فوقف رجاله مع حزب الأمة ومع الانجليز ، حق تقرير المصير اذا طبق تطبيقا سليما كان يجب أن يكافح الشيوعيين السودانيين من أجل الوحدة مع مصر ثم نحن قاعدين نتكلم عن الوحدة مع سوريا والوحدة مع العراق ولماذا الوحدة مع السودان خطأ ؟! » ·

ـ رد الدكتور يونان لبيب :

« الحقيقة ان قضية النقد والاتهامات لمجلس الثورة أنا أرى أنها شكل من أشكال المناورة السياسية كون المناورة لم تصب··· أما عن موقف اليسار أنا كنت أتحدث عن اليسار المصرى ولم أكن أتحدث عن المحجوب ولا عن اليسار السودانى ·

أما عن مسألة السيادة المصرية على السودان وهى كانت معروفة لما صدقى سافر الى مفاوضاته مع بيفن ورجع وقال تصريح مشهور ·

قال : أحضرت لكم السيادة المصرية على السودان فقامت مظاهرات فى السودان والدنيا انقلبت كيف رئيس وزراء مصرى فى سنة ١٩٤٧ يقول مثل ذلك خاصة أن الوضع اختلف من ١٩٣٦ ، وهذا لا ينطبق على طابا لأن طابا لا يوجد بها ناس ، واذا كان بها ناس فهم مصريين ، ولكن السودان

(★) يقصد عبد الخالق محجوب زعيم الحزب الشيوعي السوداني ·

المسكلة أنها بلد فيه ناس شاعرين بأن لهم قومية مختلفة من حقهم أن يقولوا للمصريين فى اتحاد : نعم أو لا ٠

الأستاذ جلال كشك تحدث عن الأربعينات وعن أحد أقطاب أو أساطين الأحزاب الكبرى ٠ وأنا مثله عجوز وعشت هذه الفترة وكنا ننفعل كثيرا ، انما لا أعرف يا ترى بعد كل هذا التاريخ الذى حدث أنا لا أظن القضية كانت قضيـة تفريـق من جانب النظام المصرى بقـدر ما كانت هى رغبة السودانيين والدور الذى لعبه الانجليز فى تفريق الأمة وطبعا هناك أخطاء أنا مقر بهذا وذكرت فى الورقة أن هناك أخطاء ارتكبت فى سبيل عدم انمام الوحدة ولكن فى نهاية الأمر قامت جمهوريتـان ٠ جمهوريـة فى الشمال وجمهورية فى الجنوب ٠

ثم علق الدكتور عبد العظيم رمضان قائلا :

ان اليهود لو كانوا يستطيعون ايجاد شعب فى سيناء كانوا سيحصلون على حق تقرير المصير ؟! وقال : ان وجودنا فى السودان كان أكثر من وجودنا فى سيناء الى اليوم ٠

(فرد عليه الدكتور يونان بدعابة هذه وجهة نظر) ٠



عبد الناصر والعروبة

إفتراضات نظرية - ملاحظات حول التطبيق

د. رفعت السعيد

لا يجدى أن تتخيل ، ولا يجدى أن نتمنى
أن نـــكبر البطـــه لنصـــبح نعامـــة
حكمة أفريقيـــة

« لأريح الجميع ، ولأخرج بالنقاش من محتواه العاطفى الى منحى علمى، ولكى لا يساء فهم الكلمات أقرر ابتداء أننى لست ممن يتنكرون للقومية العربية ، ولا ممن يناؤونها ، بل وأعترف أنها كانت ــ ولم يزل بامكانها أن تكون ــ قوة دفع هامة فى نهوض الشعوب العربية ، ورافعة هامة بل وأساسية فى المعركة العربية ضد الاستعمار والصهيونية • ولعل بامكانها أيضا أن تكون أداة تطوير اقتصادى واجتماعى ونهضة ثقافية وحضارية ان أحسن الجميع النظر اليها ، وان أحسنوا التواصل معها •

لكن الاقتراب من فكرة ما ، أو حتى التعلق بها لا يعنى التغاضى عن ممكنات اساءة استخدامها ، أو اساءة فهمها ، أو القفز بها نحو المستحيل ، أو تخيل أنها كفكرة قادرة بذاتها على تخطى واقع موضوعى محلى أو قومى ، أو الوقوف بوجه حقائق التاريخ أو الجغرافيا والتكوين الاجتماعى ••

لهذا ألح بالافتراضات التاليـة لاعتقـادى بأن تجاوزهـا قد دفـع بالمتجاوزين ــ ومنهم عبد الناصر ــ الى المأزق تلو المأزق ، وجعل التطبيق نقيضا للفـكرة ، يضعفها ولا يكسبها دفء الواقـع ، بل ويعصف بها فى أحيان كثيرة •

ولست أزعم أننى أحيط هنا بكل الافتراضات التى تحيط بالقومية العربية كفكرة أو حتى كواقع تاريخى ، لكننى سأكتفى بافتراضات ثلاث لعلها تسهم فى تنشيط عقولنا ازاء « القومية العربية » ، وفى دفعنا الى اعادة النظر فى بعض المسلمات التى قادتنا الى المأزق تلو المأزق ، والتى عصفت بكل محاولات وضع « القومية العربية » موضع التنفيذ المؤسسى ، بمعنى تحويلها الى واقع فعلى ينتهى بتوحـد بلدين عربيين معا على أسس صحيحة ومستديمة ، وهو ما لم تنجح فى تحقيقه حتى الآن •

ولعله من السهل القاء اللوم حول هذا الفشل المتوالى لعمليات التوحيد على هذا الطرف أوذاك ناسين أن الجميع قد أخطأوا فهم الواقع ، وتجاوزوا ممكنات التطبيق الصحيح ·

ودون اطالة اتجه مباشرة الى افتراضات ثلاث :ـ

★ **الافتراض الأول :**

لا يكفى أن تتواجد فكرة لتكون صالحه للتطبيق دون مراعاة لخصوص الواقع ، بمعنى خصوصية الزمان وخصوصية المكان ، كما لا يكفى أن تكون الفكرة مقبولة بل وصحيحة لكى ننجح نحن فى تطبيقها تطبيقا صحيحا خاصة وإذا كنا نقفز بالفكرة فوق الواقع وفوق الممكن ·

ولكى أوضح فكرتى سنأخذ مثالا : فكرة الاشتراكية ، قائمة وموجودة فى قلب وأذهان الملايين بل ومئات الملايين من البشر ، البعض منهم يناضل من أجلها ويهب كل الحياة ، والبعض يتكلم ويكتفى ، والبعض يحلم ·· ولكن هل يكفى ذلك لتحقيق ما نسميه علميا « بالثورة الاشتراكية » أو بالتحول الاشتراكى ؟ ·· أقول لا · لماذا ؟ · لان شروطا موضوعية متعلقة بكمال البنية الاجتماعية ، وتحقق عناصر وشروط عده سواء فى الطبقة البائدة أو تلك الصاعدة أو فى بقية الطبقات والفئات الاجتماعية ، أو فى حجم وفعالية أدوات القهر الطبقى ، أو فى المحيط الاقليمى والعالمى أو ·· أو الخ من شروط عديدة يتعين توافرها كى تنتزع السلطة من براثن البرجوازية الحاكمة ، ولا يجدى أن نضاعف من صراخنا ولا من حماسنا ولا من أمنياتنا أو أحلامنا أو تشددنا فى التمسك بالاشتراكية ، ولا يجدى فى الوصول الى مرحلة الثورة الاشتراكية اذا ما افتقدت الظروف أو الشروط الموضوعية لتحققها ·

كذلك وحتى فانه بعد تحقق « الثورة الاشتراكية » وانتزاع السلطة من يد البرجوازية ، واستلام البروليتاريا لها ·· فإن الجهاد الأصغر يكون قد تحقق · أما الجهاد الأكبر هو تحويل السلطة فعليا وواقعيا الى سلطة اشتراكية فانه يكون بعيد المنال وبحاجة الى المزيد من الجهد ومن انضاج الظروف الموضوعية ومن تطابق الممارسة مع جوهر الفكر ·· لكى لاتنتهى الممارسة نهاية مأساوية كتلك التى حدثت فى بولندا أو المجر ··

وأعتقد بانطباق هذا الافتراض على « القومية العربية » ·

فلا يكفى أن نؤمن بها ، ولا أن نتحمس لها ، ولا أن ننادى بأعلى صوتنا بأننا نمتلك احساسا قوميا عربيا جارفا ، دون أن نسعى كى نوفر

الشروط الموضوعية التى تفترض أو حتى تفرض ممكنات وضع الفكرة موضع التنفيذ المؤسسى .

ولابد من أن نضع فى الاعتبار الفارق الكبير بين القول بالقومية ، وبين ممارسة التطبيق القومي ، والفارق بين احساس الجماهير ازاء الشعارات ومواقفها من التطبيق ..

فالحلم بالجنة مختلف تماما عن ممارسة العيش فيها حتى وان كانت جنة فعلا ..

كمثال : هذا الحماس السورى المنقطع النظير للوحدة مع مصر .. الحماس الدافق الذى أغرى عبد الناصر بأن يملى شروطه كى يتفضل ويحكم سوريا باسم (العروبة) ، والذى دفع بالسوريين الى قبول هذه الشروط طائعين رغم تحفظهم عليها . هذا الحماس سرعان ما انعكس سخطا ورفضا عندما تجسد حلم العروبة أمام أعينهم واقعا بغيضا من القهر والتسلط والممارسات الفجة الأمر الذى دفعهم الى الانقلاب على الوحدة وانهائها ، مع سكب بعض الدموع الفاترة على فكرة الوحدة وعلى دولة الوحدة .

ولم تكن تجربة واحدة للوحدة بل العديد منها :

سوريا مع مصر – سوريا والعراق مع مصر ، مصر مع اليمن ، العراق والأردن – والعراق وسوريا ، ليبيا مع مصر .. الى آخر الجدول المثير للاهتمام بل وللغيظ ..

فهل هذا كله بعيد عن الافتراض السابق ، وهل يفسر الأمر كله على أنه تعجل من بعض الحكام أو تسلط من البعض الآخر ، أم أن الأمر كان كله قفزا عبر الأمنيات التى تفتقد التلامس مع الواقع الموضوعى ..

بمعنى أننا نتحدث عن المشاعر العربية ، والحلم العربى ، والتوحد العربى بينما لانسعى فى كل قطر من أقطارنا الى انضاج شروط التوحيد حتى مع قطر واحد آخر .

والتوحد له جوانبه الاقتصادية والاجتماعية والحضارية والثقافية والسياسية وله تبعاته المؤسسية .. التى تعنى بالضرورة اقتسام السلطة أو اعادة توزيعها بين أجهزة الحكم فى القطرين المتحدين بما يتيح للجميع تأثيرا وتمثيلا متوازنا ..

لكن شيئا من ذلك لم يحسب حسابه قبل أو حتى بعد أية تجربة توحيدية ..

وأزعم أن التوحــد بين قطرين أمر بالغ الصعوبــة ، وســيظل بالغ الصعوبة ما لم يتوفر عنصرين أساسيين :

أولهما : التمهيد الضروري والدؤوب لايجاد قنوات توحد اقتصادية وسياسيه واجتماعية وثقافية ومؤسسية وهو ما لم يحدث حتى الآن بين بلدين عربيين .. (هل نقارن ذلك بالجهود التي تبذل اقتصاديا وسياسيا وثقافيا واجتماعيا لانجاز عملية الوحدة الأوربية مع فــارق هام هو افتقاد القومية الأوربية) .

ثانيهما : أن يكون ثمة استعداد بين حكام القطرين على اعادة توزيع واقتسام السلطة بشكل عادى ومتوازن مهما اختلف حجم القطر أو اختلف

فهل نسعى جديا لخلق قنوات للتوحد .. تقرب بنا رويدا رويدا من ممكنات الوحدة بدلا من القفز المتعسف الذي ينتهي دوما الى الفشل ..

أو بتعبير آخر هل نسعى الى انضــاج فعلي لشروط تحقق الوحــدة بشكل مسبق على القفز اليها .. وهل نخلق عنصرا قادرا على ردع الحكام الذين يتصورون أن بامكانهم التلاعب بشعارات الوحدة ، والسعي نحوها بهدف انتزاع حقوق الآخرين أو بمطامح توسعية أو ذاتية ، هذا العنصر هو الرأى العام المحلي ، أي قوى الجماهير الشعبية في كل قطر على حده التي تخوض معركتها في قطرها بهدف تأكيد فعاليتها بل وسطوتها وقدرتها على شل محاولات البعض من الحكام ـ الذين يتخذون من العروبة ذريعة للقفز فوق مشكلاتهم المحلية أو لتأكيد طموحات توسعية وذاتية .

وهل نمزج بين الشرطين ..

أي هل تنشط الحركة الجماهيرية لنعمق من نفوذها رأسيا على أرض القطر ، وأفقيا في علاقات متشابكة على النطاق القومي بحيث يتكون النسيج المطلوب والذي يتيح عملية التوحد بشكل صحي وصحيح .

أو بمعنى أدق هل نسلم الأمر لأصحابــه فنخرج به من منــاورات القصور الحاكمة الى رحاب الجماهير العربية .. لنحقق عملية انضاج ذات ثلاث شعب ..

ـــ تقوية النفوذ العام للجماهير ، واتاحة الفرصــة أمامها لفرض ارادتها .

ـــ بناء شبكة من التوصل بين مؤسسات هذه الجماهير ..

— تطوير البنية الاجتماعية فى العديد من البلدان العربية بحيث يمكن الحديث عن توحد بينها ..

فهل يمكن الحديث جديا عن وحدة بين نظام جمهورى وآخر ملكى ، بين نظام يسارى وآخر يمينى..الخ (كمثال : هل يمكن الحديث جديا عن الوحدة بين اليمنين بينما الجنوبى اشتركى أو يقول بالاشتراكية والشمالى لم تزل فيه السلطة القبلية ذات الصبغة الرأسمالية هى السائدة) .

والشروط الموضوعيه المفترض توافرها عديـدة لكما نورد ما سبق كمثال للواجبات « المحلية » التى يتعين علينا تحقيقها حتى يمكننا الاقتراب من القول « العلمى » و « الممكن التطبيق » للوحده العربية .

أقصد من ذلك كله أن معركه الوحده العربيه هى معركه « محليه » بالأساس ، منوطه بكل حركة شعبية قطرية كى تنضج وعلى أرض بلادها الشروط اللازمه لانجاح عمليه التوحد العربى العام والثنائى..ومن ثم تصبح عملية التوحـد — بعد ذلك وليس قبله — عملية ممكنة وقابلة للتطبيق . وأزعم أن الكثير من القوى السياسية العربية تقع فى فخ القفز فوق الواقع المحلى أو تهرب من مواجهته بالاكتفاء بطرح « الحلم » العربى ، الذى سيظل حلما طالما لم نمهد له سبيل التحقيق العملى ..

وهل أعود فأذكر بالأفريقى .. والبطـــة ؟

ولكن .. ما لعبد الناصر وهذا كله ؟ .

أعتقد أن عبد الناصر قد وقع فى خطأ مثلث ازاء هذا الافتراض ..

— القفز على الشروط الموضوعية للوحدة .

— محاولة استخدام ثقل مصر ونفوذه الشخصى فى فـرض شروط أجهضت عملية التوحيد وفتحت الباب أمام النظر للوحدة كعملية توسع أو كتأكيد للذات وللزعامة الشخصية .

— تجميد حركة الجماهير الشعبية واجهاضها وشل حركتها ، تلك الحركة التى كانت ولم تزل ضرورية لتحقيق وحدة عربية حقيقية وصحيحة .

وهكذا انتفى تحقـق الافتراض الأول .. ومن ثم فشلت كل جهـود عبد الناصر التوحيدية ..

★ الافتراض الثانى :

وهو يتعلق بتكافؤ عملية التوجه الوحـدوى فى الأقطار العربيـة المختلفة ..

كمثال : عندما تحدث ماركس عن أوربا (العالم الرأسمالى آنذاك) ككل متماثل يستعد للوثوب نحو الثورة الاشتراكيـة لم تكن قد اتضحت بعد الفروق الموضوعية فى عمليـة نمو التراكم الرأسمالى بين بلد أوربى آخر ، ومن ثم فقد تخيل امكانية ثورة أوربية ورفع شعار « ياعمال العالم (يقصد أوربا) اتحدوا فى مواجهة رأسمالى أوربا المتحدين ، وتخيل امكانية وقوع الثورة أولا فى انجلترا باعتبارها أكثر البلدان الصناعية تقدما .

وعندما جاء لينين اكتشف أن خريطة عملية النمو الرأسمالى فى أوربا قد اختلت تماما..البعض امتلك مستعمرات شاسعة فحقق تراكما رأسماليا ضخما والبعض كان بلا مستعمرات أو بمستعمرات قليلة .. واكتشف لينين قانونا جديدا هو « قانون النمو غير المتكافىء للبلدان الرأسـمالية » فاستقام فهمه..وقال : بامكانية تحقق الثورة فى أضعف حلقات السلسلة الرأسمالية ..

والمثال لمجرد التقريب ، فالفكرة التى نفترضها تقول بـأن البلدان العربية تنمو نموا اقتصاديا ومن ثم اجتماعيا غير متكافىء ، كذلك فان مكوناتها السكانية والجغرافية وحجم ثرواتها وكيفية توزيع هذه الثروات هو أيضا غير متكافىء ، ومن ثم فان انعكاس ذلك يكون بالضرورة توجها غير متكافىء نحو الوحدة ، سواء من الناحية الفعلية أو النفسية أو السياسية أو النضالية .

فنحن نقول بسيادة الشعور القومى العـربى بين الشعوب العربيـة ولكن ثمة أكثر من سؤال يلح علينا :

— هل يشعر الوطن الشديد الثراء بذات الاحسـاس الوحـدوى المتواجد لدى الوطن الصغير سكانيا ؟

— هل يشعر الوطن الملاصق للعدو (أيا كان صهيونيا أم غيره) بذات الاحساس الوحدوى لدى الوطن البعيد عنه ؟

— هل يشعر الوطن الشديد الثراء بـذات الاحساس الوحـدوى المتواجد لدى الوطن الفقير أو الشديد الفقر ؟

ـــ هل يشعر الوطن الذى يخوض معركة تحرير وطنى بذات الاحساس الوحدوى المتواجد لدى الوطن المستقل ؟

هل ·· وهل ·· عشرات من الأسئلة نفرض نفسها علينا لكننا نغلق عنها الأعين ونصم الآذان كى لانتهم بأننا لسنا قوميين ، مع أن ذلك أمر موضوعى يتعين فهمه ودراسته وتلافى نتائجه السلبية ، ولعله يصعب بل ويستحيل الحديث عن أية عملية وحدة شاملة أو جزئية دون وضع هذه العوامل فى الاعتبار ·

ان هذه التساؤلات تفرض علينا مرة أخرى واجبات « محلية » ، ولعلها واجبات تختلف من بلد لآخر وان صبت فى نهاية الأمر فى ذات المجرى ·

فالخطاب السياسى للقوى الوحدوية فى بلد كبير سكانيا يجب أن يختلف عن ذلك الصغير سكانيا ، والتكوين الفكرى للعملية التوحيدية يجب أن يختلف فى الحالين ، كذلك الحال فى البلد الثرى أو الفقير القريب أو البعيد من خط التماس مع عدو وهكذا ··

لكننا نملى خطابا موحدا واحدا خال من التمايز ومن ثم يفتقد الخطاب السياسى تأثيره الفاعل ··

وأزعم أن عبد الناصر قد تجاهل كل هذه التساؤلات عند تحديد شكل خطابه التوحيدى ··

فقد أدرك أنه يمتلك الورق الرابح كله ·· مصر بثقلها التاريخى والحضارى والسياسى والسكانى ، وهو « بكاريزما » مهيبة لم يسبق لها مثيلا عربيا ، ومعركة دائمة ضد العدو الصهيونى والاستعمارى معا ·· وأوراق أخرى عديدة ، ومن ثم استخدام الأوراق الرابحة استخداما تكتيكيا تبدى وكأنه استخدام بارع ، لكنه ولأنه يقفز فوق فوارق موضوعية ما لبث أن أخفق وأخفقت تجاربه الوحدوية الواحدة تلو الأخرى ··

★ الافتراض الثالث :

ويتعلق بالخلط المعتمد بين متطلبات محلية أو جغرافية أو سياسية محلية وبين القومية العربية كحركة تاريخية ·

كمثال : أن يستشعر بلد عربى بحاجة استراتيجية ملحة لتأمين حدوده باتجاه معين ، أو بالحاجة الى استخدام ورقة قضية عربية معينة فى معركته هو ، وبدلا من بحث هذه الضرورات بصورة موضوعية ومحاولة

توفير الضمانات الكفيلة بحقق أهدافه المشروعة بدلا من ذلك يجرى الالتواء بالأمر واستخدام مشجب القوميه العربية لفرض حالة من الاحاح القومى العربى التى تخفى نزعة محلية صرفة (كمثال : الوضع السورى فى لبنان ، وعلاقة سوريا بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالقضية الفلسطينية) .

والشىء الغريب أن هؤلاء الذين يتداخلون فى شئون الغير باسم العروبة يعتقدون أن العروبة أنبوبة وحيدة المسار بمعنى أنها تسمح لهم بالتداخل فى شئون الغير دون أن يتجاسر الغير بالتحدث عنهم أو حتى معهم ..

ولا مجال للاطالة فى حديث هو مدرك من قبل الجميع ..

لكن المهم والخطر فى هذا الأمر هو أن ارتداء ثياب القومية لتبرير مصالح أو أهداف أو مواقف لست منها ما يضفى نوعا من اللبس على فكرة القومية ، ويجعلها ممكنة الاستخدام لتحقيق مصالح ذاتية أو آنية أو محلية أو حتى شخصية لبعض الحكام وبعض الأنظمة .

ولقد لعب عبد الناصر فى بعض الأحيان بأوراق القومية العربية محاولاً أن يحقق بها ما هو ذاتى أو محلى من مصالح . ولعله قد فتح بذلك مدرسة جديدة تتلمذ عليها العديد من الحكام العرب الذين لم يزالوا يواصلون ذات اللعبة غير مدركين لأخطارها على القومية العربية ذاتها بل وعليهم أنفسهم .

وتكتفى بهذه الافتراضات ، مع افتراض وجود غيرها ..
ونأتى الى الممارسة العملية .

وابتداء نقرر لعبد الناصر أنه قد مارس دورا عربيا ناجحا فى مواجهة الاستعمار والصهيونية ، ونجح فى استخدام الثقل المصرى و « الكاريزما » التى أحاطت بشخصه وبنظامه فى شحن وتعبئة المشاعر العربية فى معارك ملتهبة ضد الاستعمار والصهيونية .

ولعل عبد الناصر هو الذى امتلك الفضل الأكبر فى وضع « القومية العربية » كفكرة وكحركة فى مواجهة الاستعمار والصهيونية ، ومن ثم أضفى عليها طابعا تقدميا وشعبيا .

كذلك نجح عبد الناصر فى أن يجعل من الثقل العربى وزنا هاما فى المعادلة السياسية الاقليمية والعالمية وأن يضفى طابعا مهيبا على حركة القومية العربية ، الأمر الذى أكسبها – الى حين – قدره وفعالية فى ميزان القوى العالمية ..

لكن توجه عبد الناصر العربى اتخذ شعبا ثلاث :

ه الجماهيرى :

ناجحا وملهما وشجاعا فى حشد الجماهير والطاقات العربية فى
ستعمار والصهيونية وفى دعمها ضد الاستعمار (الجزائر) وضد
لقبلية (السدن) وضد التدخل الأجنبى (لبنان) وضد الصهيونية
) • لكن التوجه الجماهيرى كان يتخذ مسارا وحيدا هو حشد
ستخدامها ، أما تفعيلها والاستجابة لمتطلبات حركتها أو حتى
الحركة بما يكفل لها قدرة التأثير الفاعل فذلك كله لم يكن واردا •

ه التنظيمى :

يخطو عبد الناصر بمنحاه العربى خطوة بالغة الأهمية فقد
يمة العمل الجماهيرى المنظم ومن ثم بدأ دعمه لحركة القوميين
ا دفع قفزات واسعة للأمام •• لكن نشوء حركة سياسية واسعة
ية فى الحركة ، وقدرة على التصرف المحلى ، ويتطلب استقلالية
كثر وهو ما لم يحتمله عبد الناصر طويلا ، وسرعان ما أسقط من
حركة الجماهيرية المنظمة واكتفى بالعمل المخابراتى » أى أنه
ظيم الشعبى والجماهيرى وأحل محله تنظيم من نوع آخر يتميز
حاكم بأنه مطيع وينفذ مايؤمر به ، وبأنه أداة قهر •

، اسراع عبد الناصر أو تسرعه فى طى صفحة التنظيم القومى
واعتماده على جهاز المخابرات النشط والشديد الكفاءة كان بداية
بدة فى تناول المسألة العربية عامة وفى تناولها فى أكثر من بلد •
، انتكاس علاقاته العربية فى بلد تلو الآخر •

جه المؤسسى :

ست بحاجة الى اضافة ، ذلك أن افتقاد الثقة فى الجماهير ــ بالرغم
الفائقة على استخدامها واستخدام حركتها ــ قد دفع التجارب
الى الاعتماد على أجهزة الأمن وليس على الجماهير المنظمة •
عند عبد الناصر جماهير صاخبة لكنها مطيعة وليس مسموحا لها
غير الموجه من أعلى ولا بالتنظيم غير المنضبط من أعلى •• ومن ثم
سسات علوية وقاهرة •

ـا أعود فاقرر اعترافى بالقومية العربية ، وبأن عبد الناصر برغم
فادحة كان علما من أعلامها البارزة ، ولعله أبرز أعلامها ، وأقرر

أنه قاد المعركة العربية باقتدار وحشد الطاقات العربية فى مواجهة شجاعة ضد الاستعمار والصهيونية ..

لكن نحاهل الافتراضات الثلاث ومعها وقبلها نجاهل طاقات الجماهير الفاعلة والايجابية وليست تلك الجماهير « المعلبة » أو « المغيبة » .. هو ما أثمر فى اعتقادى تلك الثمرات التى نتجاسر فنسميها مريرة .

ولعل الالحاح على السلبيات في هذه الورقة لم يكن يستهدف لا شخص ولا تجربة عبد الناصر بقدر ما يستهدف استخلاص الدروس تطلعا للمستقبل .. وأملا فى المستقبل » .

المناقشة والتعقيبات :

ــ دكتور محمد عبد الرحمن برج :

« المسألة ليست انفعالات عاطفية ونذكر فى هذه المناسبة طبعا مارس ١٩٢٠ أثناء المؤتمر السورى الثانى حينما طالب باستقلال سوريا قال وما بينها وبين العراق ونودى بعبد الله على العراق وبفيصل على سوريا ٠

انما أنا أرغب فى أن أقول للدكتور رفعت أن القومية العربية ليست الوحدة العربية ٠ انلخبطت الأمور ، يعنى أنا فهمت من الورقة ان القومية العربية مرادفة للوحدة وهى آخر مراحل الوحدة العربية هذا شىء ، الشىء الآخر ان عبد الناصر وضع موضع البداية الكاملة بالنسبة لتجربة الوحدة السورية المصرية والوحدة السورية المصرية لم يسع اليها عبد الناصر بقدر ما كما قال الدكتور صلاح العقاد « السوريون هم الذين سعوا » يعنى هناك مبادرات من سوريا أكثر مما كانت من مصر ولماذا ندين عبد الناصر فقط عندنا الوحدة مع ليبيا وغيرها اذا الوحدة آخر متطلبات القومية ٠ القومية أنا معك انها ليست انفعالا عاطفيا وانما يجب أن يكون هناك شىء لتنمية هذه القومية هو أن يكون هناك أنظمة ديمقراطية فى هذا العالم العربى » ٠

ــ رد الدكتور رفعت السعيد :

« أنا أتفق طبعا مع الدكتور برج فى أنه لم تكن هناك وحدة بلا ديمقراطية أنا عندما تكلمت عن القومية كنت أقصد بالضبط ما يقوله : القومية هى وعاء فكرى ومشاعر ورباط مساره النهائى هو الوحدة ٠ لكن من حقنا أن نسأل لماذا لا تتحقق ؟ ولماذا تفشل كل الوحدات رغم كل الصراخ حول شعارات القومية ؟ لماذا فشلت عندنا وعند الآخرين ؟ اذا ليس خطأنا نحن فقط ٠

لأننا نقفز فوق الافتراضات ، هذه الورقة تحاول أن تحدد نوعية من الافتراضات التى يتعين وضعها فى الاعتبار كى يمكن أن تتحول الفكرة ، الطموح ، الحلم ، الى واقع ، فالفكرة هى القومية ، الطموح هو القومية والحلم هو القومية ، أما الواقع فهو الوحدة ، ونحن لا نزال فى مرحلة الحلم والفكرة ونعجز عن مرحلة الوصول الى الواقع ٠

أما عن عبد الناصر قد أرغم على الوحدة مع سوريا ، نعم ، لكن عبد الناصر لم يرغم على ممارسته للسلطة ٠

هبطت عليك من السماء منحة هي أن تتحد مع بلد راغب فى أن يتحد معك وأن يسلمك القيادة والذى ذهب الى سوريا ورأى الميدان الذى كان يحتشد فيه الفلاحون القادمون من القامشلى كل واحد يأخذنى الى هناك ويقول لى : كانوا بيباتو هنا بالثلاثة أيام لكن كل واحد يجد مكان يسمع فيه لعبد الناصر » ٠ هؤلاء البشر أنفسهم لماذا وبسرعة شديدة ؟ ٠٠ وأى نجاح هذا الجهاد البيروقراطى الذى أوصله عبد الناصر الى سوريا ؟ أية عبقرية تجعله ناجح فى أن يفقد محبة هؤلاء الناس بمثل هذه السرعة ؟! » ٠

ـ تعقيب من **الدكتور صلاح العقاد :**

« نحن جميعا كما يبدو لى متفقون على أن الديمقراطية شرط مسبق لأية وحدة والمثل المطروح أمامنا هو أوروبا وأحب أن أضيف من كلام الدكتور رفعت السعيد ما ذكره عن اقتسام السلطة ، فالحاكم المطلق أو النظام البيروقراطى لا يمكن أن يتنازل عن شيء من سلطته حتى لو كان المطروح نظام فيه رأى فلا يمكن أن يتنازل عن شيء من سلطته لصالح سلطة اتحادية تكون فوق سلطة الحكومات الاقليمية ٠ ولكن أحب أن أضيف أيضا أن أوروبا حينما توجهت نحو الوحدة توجهت فى حضن الديمقراطية والرأسمالية معا بحيث أنه كانت هناك مصالح مشتركة لطبقة معينة تستطيع أن تستفيد من الاتحاد الأوروبى ٠

ولذلك فان الأحزاب الوطنية غالبا ـ لا أرغب فى ذكر اليمينية ـ هى التى تحمست لفكرة الوحدة ، فالعالم العربى لم يصل بمجتمعه الى هذه المرحلة من التفتح الاجتماعى والرأسمالى وانما هو نظام اقطاعى فى شبه الجزيرة العربية أو اشتراكية مبتسرةأو رأسمالية طفيلية ولهذا لم تنشأ المصلحة المشتركة ٠

وفى تقديرى أن حركة التاريخ تسير فى العالم العربى ضد الوحدة وتسير فى صالح الاقليمية ولا أحب أن أكرر ما قلته من ما أن تظهر دولة من عباءة الاستعمار حتى تنشأ مصالح للفئة الحاكمة تجعلها غير قابلة لأن تتنازل عن شيء من مصالحها ٠ وأستدل على ذلك من واقع التاريخ وهو أنه أيام الكفاح من أجل الاستقلال كان هناك توجه وحدوى أقوى مما هو حاصل الآن ، أضرب مثلا على ذلك المغرب العربى سنة ١٩٥٨ قبل استقلال الجزائر وضع مشروعا للاتحاد وفصل خطوطه ليطبق عندما تستقل الجزائر وما أن استقلت الجزائر حتي وقعت أزمة الحدود وتفكك المغرب العربي بل وتقاعس٠

مثل آخر : اليمنان ، كان المنتظر قبل ١٩٦٧ قبل اعلان جمهورية اليمن الشعبية والعوامل الموضعية تؤيد أن نفس القبيلة تجد نصفها فى اليمن الشمالى ونصفها الآخـر فى اليمن الجنوبى ، فكانت هناك عوامل موضعية وحركات مشتركة أتبعها تحرير الجنوب المحتل كانت تعمل باسم اليمنين حتى اذا ظهرت دولـة جديـدة فى الجنوب العربى وكانت هناك جمهوريتان صار من المتعذر توحيدهما بل وتصارعا أيضا حول السلطة ٠

سبب أخير يؤكد النزوع نحو الاقليمية ما نسميه باقليمية النفط ، فالدول الصغيرة قليلة السكان لا يمكن أن تضحى بمصالحها مهما قالت عن القوميـة ومهما كان للقوميين العرب وجود فى الكويت فأنا لا أصدق أنهم لو وصلوا الى السلطة ــ جدلا ــ فى الكويت أنهم سوف يقبلون بأية وحدة مع الدول الأخرى حتى لا تضيع مصالحهم ٠

وأنت اذا توجهت الى الشخص العادى ــ هذا هو المعيار ــ فى الشارع المصرى أو فى قرية وقلت له أنت عربى أم مصرى ؟ أنا خصوصا يعنى أن هناك عوامل تاريخية تؤدى الى أن يقول أنا مصرى فأنا لا أعتقد أن القومية العربية تزيد على فلسفة نظرية ولذلك لم ينجح عبد الناصر فى استخدامها » ٠

ــ رد الدكتور رفعت السعيد :

« أنا أختلف مع الدكتور صلاح العقاد ولا أعتقد أن الوطن العربى يتجه نحو التفكك أعتقد أنه بالعكس حتى سياسة المحاور التى تبدو عبثا من عبث القصور الحاكمة فى هذا المكان أو ذاك كالوحدة المغربية والوحدة الخليجية والتحالف الرباعى وهذه الأشكال أعتقد أنها أيضا نوع من الخطوة الأكثر معقولية الى الأمام خطوة لا تقفز على الجغرافيا ولا تقفز على التاريخ ولا تقفز على الواقع الفعلى ولكن مجمل الخليج ليست صراعا على الجغرافيا والمغربى ليست قافزة على الجغرافيا اليمنين قافزة على الجغرافيـا أيضا أعتقـد أن الجماهير المصرية بتتغير نظرتها للعروبة رويدا رويدا فاذا سألت فلاح : أنت مصرى أم عربى ؟ سيجيبك : أنا مصرى ، ولكن لو سألنه : أنت نفسك فى ايه ؟ سيقول لك : عقد عمل فى العراق أو السعودية أو الكويت ، وهذه مصلحة والقومية آتية عبر مصلحة ٠

على أى حال يمكن المثقفين يذهبوا الى ايطاليا وألمانيا وفعلا الطموح الأساسى حتى للمثقفين هو أولا التوجه عربيا ، وهنا حتى البترودولار له بعض الفوائد لتعطى مساحة للتحرك عربيا ، وأنا أعتقد مرة أخرى أنه بنهوض عربى يبدأ محلى فى كل قطر حيث تتوجد القوى الشعبية القادرة على أن تمارس ضغطها على حكامها ، بمثل هذا التوحد محليا ثم التداخل اقليميا وعربيا بين كل قنواتها الشعبية يمكن أن نحقق خطوة عربية الى الأمام ؟ ٠

ـ تعقيب من الأستاذ جلال كشك :

« بالنسبة لأنه أي « الدكتور رفعت السعيد » قد اعترف بأن عبد الناصر وقع في أخطاء ثلاثة سأقول له هذا كان واجب علينا نحن وأنا سأحاول أن أجعلهم أربعة .

الحقيقة أنه كلام الدكتور العقاد صح كله ما عدا النظرة التشاؤمية الأخيرة وهو أنه مهما وصل سوء الأمر يجب ألا تفقد الأمل ، القومية العربية حقيقة والوحدة ستتحقق ولكن كيف ؟! .

الوحدة في العالم كله تحتاج الى ثلاثة أشياء هم :

وجود طبقة صاحبة المصلحة في وحدة الجماهير وهتافاتها لا تحقق شيئا ، لابد من وجود طبقة صاحبة مصلحة في الوحدة ، وتجربة التاريخ تؤكد أن الطبقة الرأسمالية وحدها هي التي تحقق الوحدة .

الرأسمالية توحد أوروبا الاشتراكية لم توجد حتى رومانيا ولم توحد حتى بلغاريا داخليا ، الاتحاد السوفييتي بعد ٧٠ سنة من الاشتراكية وبمجرد ما رفعت يدها السلطة يتمزق الى قوميات ، اذا أين الوحدة وأين تحققت ؟! الوحدة الألمانية ، الوحدة الفرنسية ، تحققت على يد الرأسمالية وجهود الرأسماليين .

الوطن يعني السوق ولكي توحد السوق توحد الوطن الجديد .

عبد الناصر ضرب الوحدة العربية ضربة قاتلة عندما قضى على الرأسمالية المصرية وقضى على الرأسمالية السورية . رأسمالية مصر وسوريا توحدوا وعندما أعلنت القرارات الاشتراكية أخذ في القضاء على الرأسمالية في العالم العربي واحتقارها ومهاجمتها والتشهير بها هو من أهم عوامل هذا التمزق الذي نراه الآن . ويجب أن تكون هناك طبقة رأسمالية عربية نسعى الى تكوينها ونمهد لها ونعطيها الامتيازات والتسهيلات لكي تتكون وهي التي ستحمل قضية الوحدة ان شاء الله .

النقطة الثانية لابد من وجود عدو خارجي تتحد ضده القوميات لا تتحد في فراغ ، عبد الناصر جعل القومية العربية تتحد ضد بعضها البعض ، الاتحاد المصري السوري ضد العراق والعرش الهاشمي الاتحاد مع الجزائر ضد المغرب .

القومية العربية تحتاج الى عدو خارجي وهو موجود والحمد لله في عقر دارنا اذا اتحدنا ضد اسرائيل ووجهنا نشاطنا ضد اسرائيل ستتكون الوحدة العربية .

النقطة الرابعة والاتفاق عليها عام • الديمقراطية ، الديمقراطية وحدها ولابد من الديمقراطية وحدها لا لازم تتكون معها الطبقة الرأسمالية صاحبة المصلحة فى الديمقراطية ، لابد من وجود الثلاثة أشياء هذه لأنه فى ظل الديمقراطية وفى ظل الخطر أو العدو الخارجى يمكن القضاء على المصالح الجزئية فى الذات الأنانية •

يوم ما شيخ مصرى يقف ضد المصلحة وهناك خطر وجود اسرائيل ونحن كلانا متعبئين ضد اسرائيل وفيه وطنية مصرية من السهل الاطاحة به ومعروف أنه أثناء الوحدة الألمانية لما ظهر الخطر الفرنسى سارع خبراء ألمانيا الانضمام رغم أنفهم أو غصب عنهم للنوبة الوطنية الموجودة » •

ـ رد الدكتور رفعت السعيد :

« أنا أرغب أن أبدأ بمخالفتى للأستاذ جلال كشك بالرغم من أنه أيدنى • أنا مختلف معه لأنه يقول لنا اذا أردتم أن نكونوا قوميين فيجب أن تمجدوا الرأسمالية ، وهذا ما لا أعتقده وأعتقد أن القومية العربية كما صيغت فى العصر الحديث أى كما صاغها عبد الناصر نظريا لم تزل صحيحة وهى أن حركة القومية العربية هى حركة تقدمية ، بمعنى أنها معادية للصهيونية والاستعمار وللرجعية العربية ، وحركة شعبية بمعنى أنها تتجه الى توحيد الجماهير العربية •

خطأ عبد الناصر أنه وضع الفكرة وعمل نقيضها ، علينا أن نمسك بتلابيب هذه الفكرة وأن نحاول نحدثها • ثمة تناقض آخر فى كلام الأستاذ جلال كشك وهو أنه لكى نكون قوميين يجب أن نكون رأسماليين ولكن أيضا يجب أن يكون عندنا عدو خارجى هو الصهيونية ، لكن الصهيونية تساندها أمريكا ولكى نكون رأسماليين نخضع لأمريكا » •

ـ تعقيب آخر من **الدكتور عبد العظيم رمضان :**

« الحقيقة أنا أقول أننى سعيد جدا بالحوار الذى دار وأعتقد أن هذا الحوار يعد من أخطر ما قيل فى السنوات الأخيرة ومن حسن الحظ أنه مسجل •

ان الثلاثة افتراضات التى طرحها الدكتور رفعت السعيد يعتبروا من أهم ما قيل أما الذى قاله الأستاذ جلال كشك فهذه قضية ثانية وهذا يجعلنا نعمل عملية اعادة نظر لكل ما كنا نشتغل به فى السنوات الماضية ، وعندما بدأ يتحدث عن الرأسمالية يقصد « جلال كشك » بدأت أنا كمؤرخ فى عملية القومية والرأسمالية بالفعل •

هذه القومية عبارة عن ماذا ؟! هى عبارة فى أساسها عن ثوب وجد فى أوروبا فى العصور الوسطى التى كانت عبارة عن أنها قطعة موزايكو مقسمة بحدود اقطاعية وظهرت فيها الطبقة الرأسمالية وبدأت تحطم حواجز الاقطاع فبدأت تظهر الوحدات القومية ، اذا هى تحطم حواجز الاقطاع لتوحد السوق بمجرد ما ينوحد السوق توجد الدولة القومية ، اذا الدولة القومية هى سوق موحد · وعندما نتابع هذا الى اليوم نجد أن هذا السوق الموحد الصغير بدأ يتحول الى سوق موحد كبير ثم السوق الاوروبية المشتركة ·

من الذى يلعب هذه اللعبة ، من يعمل ذلك ؟ هى الطبقة الرأسمالية، فبدأت أقول ما هو نحن فى السنوات الماضية ونحن نتحدث عن الاشتراكية وننادى أو نبشر بالاشتراكية وهذه الأشياء ولا فيها اشتراكية ولا يحزنون ، فى أى قطر من الأقطار العربية ونحن الى الآن لا نعرف اذا كانت اسمها اشتراكية دولة أو رأسمالية دولة وهناك أناس ريحوا أنفسهم وأطلقوا عليها (النون ـ كابيتاليزم) أى أنه نظام لا رأسمالى · طيب ما أنا لا أستطيع أن أسمى واحد بأنه ليس اسمه محمد ! أو فلان بأنه ليس اسمه على ! ـ طيب ما هو اسمه الحقيقى ؟

فى هذه الأيام ما الذى حدث ؟ هذه الحكاية لما نضيفها للنقاط التى قالها الدكتور رفعت نجد أنه يتكشف أمامنا شىء غريب هو أنه بالفعل الطبقة القادرة على أن تضع وحدة قومية هى الطبقة الرأسمالية لسبب بسيط أن القومية هى وحدة السوق فاذا لم يكن هناك طبقة رأسمالية اذا سنبحث عن وحدة سوق على أى أساس ؟!

فى هذه الأيام عندما نمسك العالم العربى ونحن فشلنا فى ايجاد نظام اشتراكى فى أى بلد من البلاد التى هى من المحيط الأطلنطى الى الخليج الفارسى فشلنا فى أننا نعمل نظام اشتراكى ، اذا مالذى فعلناه ؟ أنا أميل الى أننا خسرنا الطبقة الرأسمالية ولم نكسب الطبقة البروليتارية يعنى لا يوجد طبقة بروليتارية حتى الطبقة البروليتارية الموجودة فى هذه الأيام أيضا لم يعد فيها طبقة نضالية لأنها تميعت · كان الأول ـ أى قبل ثورة يوليو أمامها الرأسمالية وهذا عدو موجود توجه له كل جهودها ونضالها ؛ فى هذه الأيام سوف توجه جهودها ضد من ؟ أمامها طبقة بيروقراطية شنيعة تحرمها من حق الاضراب وتحرمها من كل شىء وفى نفس الوقت تفرض عليها ما تشاء ليس باسم الاشتراكية بل باسم أننا بلد اشتراكى اذا لسى عندنا طبقة بروليتارية مثل الطبقة البروليتارية التى توجد فى الغرب ليس عندنا طبقة رأسمالية كالطبقة الموجودة فى الغرب ليس عندنا

اشتراكية ليس عندنا رأسمالية ! اذا ما الذى يوجد عندنا ؟ اذا كيف سنبدأ الى جانب النقاط الثلاثة الهامة التى ذكرها الدكتور رفعت ؟

انما نحن علينـا كيف نمضى بفـكرة القوميـة العربية الى نهايتها الطبيعية وهى الوحدة هل سنرجع مرة ثانية؟هل سنصنع أو نعمل رأسمالية أولا ؟ ثبت أن عقارب الساعة لا تعود الى الوراء والطبقة الموجودة فى هذه الأيام ليست رأسمالية بأى حال من الأحوال وانما طبقة طفيلية طبقة حرامية منهم أصحاب شركات توظيف الأموال ونحن فقدنـا الطبقة الرأسماليـة الحقيقية طبقة بنك مصر وأصبح الموجود الآن طبقة الريان وغيره ٠

وفى ضوء هذا هل نقدر أن نستشرف آفاق وحدة آتية أو نظل فى التشاؤم كما ذكر الدكتور العقاد ، وأن هذه الأشياء انتهت وكل عام وأنت طيب والكلام على الوحدة نحن ضيعناها وتميعت أى أننا أفقدناها عناصرها الذاتية ؟ لهذا أنا أعتبر كل مفكر فى هذه القاعة له أن يفكر فى ذلك اذا كان مخلصا للقومية العربية ويرغب فى أن يرى نحن نذهب الى أين ؟

هل سنصل الى القومية المصرية ؟ كل قطر يكرس هذه العملية كما تكرسه الأسر الحاكمة يعنى ليست حاكمة ملكية فقط بل انما أسر حاكمة جمهوريـة أيضا يعنى أن كل رئيس جمهوريـة كذلك أصبح يكون أسرة حاكمة ، فما هو المصير فما هو مستقبل الوحدة العربية ؟ هذا هو السؤال الذى طرحته هذه الندوة » ٠

ـ تعقيب **الدكتور رفعت السعيد :**

أنا سأبدأ بأن أختلف مع الدكتور عبد العظيم رمضان حول موقفه من البروليتاريا وكونها مدفن ليس نضاليا متميعا ، القهر لا يمكن أن يسلب طبقة نضالية ولا يمكن أن يسلب شعبا نضاليا ، يمكن أن تظل النضالية هذه كامنة يوم ٠ يومين ٠ سنة ٠ سنتين ٠ ثم تتكشف عن نضالية واسعة٠

وواضح أن الطبقة العاملة المصرية اضراب الحديد والصلب واضراب المحلة يعنى أو أعتقد أنها ارهاصات لتحرك أوسع ٠ أيضا قضية الحرية المرتبطة بالموضوع ككل فاذا كانت الحرية تعرقل تحرك الطبقات الوسطى والطبقات ما فوق الوسطى فلماذا نلوم البروليتاريا ؟ انها هى أيضـا لا تنصاع أو لا تشعر بمثل هذا الضغط » ٠

ـ استفسار من أحد الحضور ويدعى **مهران :**

« فى الحقيقة أننى قد تصورت أن هذه الندوة ستناقش الدور الذى قامت به ثورة يوليو فى محاولة تقريب العالم العربى أو محاولة تقريب

مصر من العالم العربى الا أننى وجدت العكس ، وجدت أن هذه الندوة تعمل جاهدة على أن تصل بثورة يوليو بأنها نفصل بين مصر والعالم العربى وسعت الى ذلك سواء كانت فى السودان أو فى سوريا أو بقية البلاد العربية ٠

سؤال أوجهه الى السادة الأساتذة وخاصة الدكتور رفعت السعيد لمن تلجأ التجربة الناصرية لكى تقيم تقييما موضوعيا بعيدا عن أحقاد أو غضب وظام اليمين الذى تصور أنه ضرب ضربة قاسية فى عهد عبد الناصر ؟

وأيضا ظلم اليسار أو أقصى اليسار الذى تصور هو الآخر أنه ضرب على يد عبد الناصر ؟ لمن تلجأ التجربة الناصرية لكى تقيم تقييما فعليا ، تقييما موضوعيا يضع النقط الحقيقية فوق الحروف ؟ » ٠

ـ رد الدكتور رفعت السعيد :

« لمن تلجأ التجربة الناصرية كى تقيم تقييما صحيحا ؟ تلجأ لبس لمن يناصرونها بالحق أو بالباطل ومن يتصورون أنها كانت تجربة بلا أخطاء وتلجأ لمن لا يعتقدون بأنه « أنصر أخاك ظالما أو مظلوما » وانما تلجأ الى التقييم الموضوعى لتتلقن الدرس ، ما لم تتلقن التجربة الناصرية الدرس مما وقع من أخطاء فلا أمل ليس لا أمل للمصريين لا أمل لمصر لأن مصر اذا لم تتعلم من هذا الدرس المرير انها قد استطاعت أن تمتلك حاكما وطنيا معاديا للاستعمار معاديا للصهيونية تمتلك زعيما مهيبا يمتلك كاريزما هائله استطاعت أن تؤثر فى كل الشعوب العربية وأن تقود كل الشعوب العربية وأن تخلق قومية معادية للاستعمار فى أفريقيا وأمريكا اللاتينية ودول عدم الانحياز ثم يبسط بذلك كله بنزعة التسلط أو التحكم أو عدم اتاحة الرأى الآخر أو الاعتقاد بأننى وحدى أمتلك الحقيقة ، الحقيقة التى لا يجوز لأحد أن يشاركنى فيها ، أعتقد أنه ما لم يتم تلقين هذا الدرس وأنا أعتقد أن بعض الأخوة المصريين لا يزالوا لم يتلقنوا هذا الدرس ، وأنا كنت مع أحد القادة الناصريين يوم أن خرج من سجن السادات وكنا جالسين نتناقش معه فللأسف نسأله عن قضية الديمقراطية ؟ قال : ديمرراطية ايه ؟! كلكم سجنتم ما أنتم كنتم ضدنا ، طيب ما انت كنت ضد السادات وسجنك أيضا ٠

هذه هى القضية اننا لا نضع ضوابط لأنفسنا بصفتنا حكاما بل اننا نضيع ضوابط للوطن عندما نصير حكاما أو عندما نصبح محكومين ، هذه هى المشكلة الحقيقية ولو عادت الناصرية من جديد ولو مارست ضدنا ما مارسه ضدنا من قبل سنظل نعتبرها حركة وطنية معادية للاستعمار

تستحق التأييد وتستحق الانتقاد الشديد ما لم تتخلص من الأخطاء التى شابت تجربتها وللأسف هذه الأخطاء لم تؤثر على التجربة وحدها بل أثرت على مستقبل مصر ووصلت بنا الى ما وصلنا اليه الآن » ٠

ـ تعليق آخر من الأستاذ الدكتور **أبو القاسم سعد الله :**

(من الجزائر) « الحقيقة تأثرت كثيرا بالبحث الذى قدمه الدكتور رفعت السعيد ولى ملاحظات صغيرة منها لم أحس منه بالتفريق بين العروبة والقومية العربية ، العروبة كعاطفة كعامل تاريخى يوحد العرب عبر تاريخهم وتحت أمر حاضرهم مهما اختلفت الظروف ومهما تفككوا،أما القومية العربية كمشروع سياسى للوحدة لتحقيق الوحدة العربية ، أرجو من سيادتك توضيح ذلك ٠

هناك عراقيل لم أسمع أن البحث قد تعرض لها عند حديثكم عن جمال عبد الناصر والقومية العربية فى التطبيق وهو خصوصا العامل الخارجى أو العامل الأجنبى أو المعرقل الذى عرقل جمال عبد الناصر فى تحقيق بعض حلمه أو انجازاته ، تكلمتم عن أخطائه الشخصية فى التطبيق ولكن هناك عامل ثالث أيضا وكذلك العامل الخارجى ، الأحلاف والأعداء والمؤامرات ومثل ذلك وفى نفس الوقت هناك عامل التخلف الاقتصادى والاجتماعى والأمية أو التخلف الثقافى بين الجماهير العربية المدعوة لتحقيق شعور الوحدة المعرقل فى هذا المجال لم أسمعكم تتحدثون عنه أو لم تعطوه حقه فى نظرى ٠

هناك أيضا الدولة القطرية طبعا أشار بعض الزملاء الى الدولة القطرية حتى فى عهد عبد الناصر كان هناك دولة قطرية ولكن كانت معرقل من المعرقلات التى تقف فى وجه التنفيذ للمشروع ٠ المثقفون العرب الآن لايؤدون الدور الذى يجب أن يؤدونه فى تشجيع القضاء على الدولة القطرية الواقفة فى طريق الوحدة العربية ، ونجد فى كل بلد عربى أحزاب هناك اتجاهات هناك أفراد ليس فى مصلحتهم تحقيق الوحدة يعنى لو حتى ادعاء جهات لعرقلة الوحدة وهناك بعض الزملاء الذين كتبوا الأشياء التى تشجع العناصر المعادية للوحدة بين مصر والجزائر مثلا أقول أننى كنت فى مصر فى الخمسينات ودرست فيها وفى الخمسينات كنا شبابا وكنا نحس بحلم القومية العربية رغم أنه لم يتحقق خصوصا بعد انفصال سوريا عن مصر أو مصر عن سوريا ولكن مع ذلك كان لنا حلم كشباب لكن الشباب العربى الآن ما هو الحلم الذى يعمل من أجل تحقيقه أو يجد من حكامه العمل على تحقيقه ،للأسف أننا فى عهد جمال عبد الناصر كان لنا حلم الآن حتى هذا الحلم اختفى » ٠

ـ رد الدكتور رفعت السعيد :

التفريق بين العروبة والقومية العربية والوحدة العربية صحيح • العروبة هى نوع من العاطفة القومية أو مشروع سياسى الوحدة هى تنفيذه ، المشكلة هى أننا وقفنا عند حدود العاطفة والمشروع السياسى وخلطنا بين العاطفة والمشروع السياسى ثم عندما أتينا الى التنفيذ مارسنا ممارسات خاطئة •.

كانت هناك عراقيل نعم ، كان هناك العامل الخارجى ، كان هناك الاستعمار الافريقى ، كانت هناك اسرائيل ، كانت هناك الرجعيات العربية وأنا لا أحذر مع اعترافى بهذه العراقيل أو بمثل هذه العراقيل أحذر أن نتخذها مشجبا لأننا عادة ما نستسهل تعليق كل أخطاءنا على مشجب أعتقد أنه فى أى موقع رأيى عندما يواجه الحاكم بعراقيل فان عليه أن يتحسس وألا يتمادى ، يعنى أنا داخل فى وحدة مع سوريا وشايف ان أمريكا بتتآمر ضدى واسرائيل بتتآمر ضدى والرجعيه العربية تتآمر ضدى وتارك أو سايب شوية ضباط مفاعيص يدوسوا على رقاب الشعب السورى طيب ما أضع فى الاعتبار هذه العراقيل وألقن ضباطى كيف يتعاملون مع الشعب السورى يعنى كان لابد من أن نضع هذه الأخطاء موضع الاعتبار لكى لا نضع مسألة العراقيل كمشجب •

الدولة القطرية هذه مسائل حقيقيـة والنموذج الحقيقى يا أستاذ سعد الله الذى لم ترغب فى ذكره نحن نقوله • نحن عندنا دولتين قطريتين بعنيتين بينهما عداء كبير فى الأمة العربية وهذا نموذج غريب جدا وخاصة أنكم غير مختلفين على شىء أو على الأقـل عبد النـاصر لم يكن بعثى مثـلا والسوريـين لم يكونوا ناصريين يعنى لم يكونوا من المـدرسة الناصريـة السياسية وانما أتوا الى الوحدة مع مصر ، أنتم بعثيين أبناء مدرسة سياسية واحدة وأبناء حزب واحد لزعيم واحد وقيادة واحدة والرفيق المؤسس واحد لسبب أو لآخر أو لأخطاء أو أخرى اركب أو ارتكبها هذا الطرف وكان الغريب أن العراق يحارب ايران وسوريا تؤيد ايران وموقف لا يمكن تخيله ولا يمكن أن نغرس فى ذهنية المواطن السورى صدق الكلمة حول القومية العربية ، ماهى المأساة ؟ الكلام الذى يقوله الدكتور صلاح العقاد فيه جزء من الحقيقة وهى أننا بممارستنا جعلنـا الشعارات الصحيحة تبـدو وكأنها زائفة • يعنى أنا أدعوا سيادتك اذا لم تكن قمت بها لأنها مغامرة خطرة أن تركب السيارة من بيروت الى دمشق وأن تصل الى نقطة المصنع ستجد يافطة (لافتة) كبيرة جدا مكتوب عليها البعث لا يعترف بحدود بين أمـة عربية واحدة ، يا ويلك هناك تقف حتى تفقد كل منساعرك العربية وغير العربية

وتجد الذى معه باسبور فنلندى يمر (يعدى) والذى معه باسبور هندى (يعبر) وطالما أنك عربى ستترك الى النهاية ويسألونك عن اسمك واسم الوالدة وآتى من أين وذاهب الى أين ولماذا ؟ وهكذا ٠٠ وذلك لأن العدو الحقيقى له هو عندك فى مصر أو العراق أو الجزائر أو لبنان وهكذا تحسبه هو مشاعر الحكم وأعداء الحكم موجودين هناك وليسوا موجودين فى فنلندا ولا انجلترا ولا أمريكا ولا فى أى منطقة ٠

الحلم لابـد له من أن يكون محليـا كى يستقيم ويستوى على عوده فينضج قادر على أن يصبح قوميا ٠

ثورة يوليو ..
وثورات التحرر الوطني العربية

الأستاذ / أحمد حمروش

تمهيـــد :

لم يطلق أحد على حركة الجيش المصرى ليلة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ اسم الثورة ··· واللجنة التنفيذية للضباط الأحـرار أطلقت على نفسها اسم القيادة وكانت الصحافة وأجهزة الاعلام تطلق على ما حدث اسم الانقلاب أو الحركة ·

ولكن سرعان ما تعين أن ما حدث فى مصر خلال هذه الليلة الخالدة كان ثورة بكل ما تتضمنة الكلمة ··· لما أحدثته من تغيير فى النظام والهرم الاجتماعى ، وما قامت به اجراءات هدمت الثوابت القديمة وبنت قواعد جديدة للحياة فى المجتمع ·

بعد أربعة أيام خرج الملك معزولا ، وبعد اسبوعين الغيت الألقاب والرتب المدنية ، وبعد خمسين يوما تقريبا صدر قانون الاصلاح الزراعى ·

وعندما وجدت حركة الجيش استجابة وتأكيدا من الشعب ، أعلنت قيادة الحركة اسمها الجديد (مجلس قيادة الثورة) بعد ستة شهور (يناير ١٩٥٣) فى قرارات مواكبة لحل الأحزاب والغـاء الدستور واقرار فترة انتقال لمدة ٣ سنوات ·

وقبل أن يكتمل العام كان الحكم الملكى قد وصل نهايتـه وأعلنت الجمهورية المصرية لأول مرة فى التاريخ يوم ١٨ يونيو ١٩٥٣ ··· وبدأ الفكر الثورى يؤد ىدوره فى تغيير المجتمع المصرى ، وتحقيق حلم الثورة ·

وأصبحت كلمة (الثورة) هى الدليل والمرشد فى كافة ما يتخذ من اجراءات أو يصدر من قوانيين وقرارات ·

وكان ما حدث فى مصر خلال هذه الفترة شيئا مبهرا وجديدا فى الوطن العربى وأفريقيا حيث كانت قوات الاستعمار البريطانى والفرنسى مازالت تحتل معظم أرض القارة السوداء ومعظم دول الوطن العربى ·

كان اسقاط النظام الملكى أول حدث من نوعه فى العالم الثالث بعد الحرب العالمية الثانية ... وكانت الاجراءات الثورية المنطلقة الى التحرير والعدالة الاجتماعية تغير اهتمام جماهير الأمة العربية وتجذبها الى مصر والى ثورة يوليو .

العرب ... ومصر قبل ثورة يوليو :

لم تكن القومية العربية بعيدة عن أفكار العسكريين فى مصر ، رغم انها لم تذكر فى الأهداف الستة لحركة الجيش .

ولم تكن مهملة عندهم رغم أنه لم ترد عنها كلمة واحدة فى برنامج هيئة التحرير أول تنظيم سياسى جماهيرى للثورة .

القومية العربية كانت واقعا فى حركتهم ومواقفهم .

قضية فلسطين هى التى جعلت المصريين أكثر اقترابا من العرب ... وقبل ذلك كانت القضية الرئيسية التى تشغلهم هى التحرر من الاستعمار البريطانى .

ومع ذلك لابد من الاشارة الى أن مصر قبل ثورة يوليو لم تكن بعيدة عن العرب ... ولم يكن الاحتلال البريطانى لأرضها سدا يحول دون اطلالها على المشاكل العربية والتفاعل معها .

مصر كانت ومازالت مصدر اشعاع رئيسى فى المنطقة العربية ... الجماهير فى كثير من المناطق العربية كانت تتابع حركة الثورة فى مصر عام ١٩١٩ وتتحيز لسعد زغلول .

حضر حزب الوفد المؤتمر الاسلامى الأول الذى عقد بالقدس عام١٩٣١، كما اشترك فى المؤتمر العربى الذى اجتمع بعد المؤتمر الاسلامى .. وتبنى الوفد فى المؤتمر الأول وجهة النظر الاسلامية كما تبنى فى المؤتمر الثانى وجهة النظر القومية .

عبد الرحمن عزام ألقى رسالة مصطفى النحاس الى المؤتمر باسم مصر والوفد ، وكان من أهم القرارات الدعوة الى توحيد البلاد العربية واستنكار تجزئة فلسطين .

كان ذلك موقفا مغايرا تماما لاتجاه أحزاب الأقلية الخاضعة للاستعمار والسراى .

اسماعيل صدقي وزير الداخلية عام ١٩٥٢ أصدر أمرا باعتقال

الوطنيين الفلسطينيين الذين هتفوا ضد بلفور صاحب الوعد المعروف أثناء مروره بالقاهرة لافتتاح الجامعة العبرية بفلسطين ٠

ووقفت حكومة محمد محمود عام ١٩٢٩ ضد ثورة شعب فلسطين ، وكتبت جريدتهم (السياسة) تهدد الوطنيين الفلسطينيين فى مصر بالطرد لتهييجهم الرأى العام خوفا من غضب بريطانيا ومن أى عامل يثير الشعب المصرى الكاره لحكمهم ، كما ورد فى كتاب الحركة السياسية للدكتور طارق البشرى ٠

أما الأحزاب الوطنيـة الناشئة مثل (مصر الفتاة) فقـد وضعت فى برنامجها هدف التحالف مع الدول العربية ، و (الاخوان المسلمون) كان من أهدافهم اقامة روابط عربية اسلامية ، وجمعية (الشبان المسلمين) نشطت لجمع التبرعات لضحايا ثورات شعب فلسطين ٠

لم يكن ممكنا لمصر أن تقف فى عزلة عن العرب ٠

ابراهيم عبد القادر المازنى الكاتب المعروف كتب فى أغسطس ١٩٣٥ يقول : (فشلت الثورة المصرية لأننا أحطنا قوميتنا بمثل سور الصين ، ذلك لأنى أومن بما أسميه القومية العربية ، وأعتقد أن من خطل السياسة وضلال الرأى أن تنفرد كل واحدة من الأمم العربية بسعيها غير عابئة بشقيقاتها) ٠

ولزكى مبارك كتابات كثيرة أيضا دعا فيها القومية العربية والتوحيد العربى ٠

ومكرم عبيد كتب فى مجلة (الهلال) شهر ابريل عام ١٩٣٩ مقالا تحت عنوان (المصريون عرب) قال لى ابراهيم فرج الوزير الوفدى أنه كتبه بتكليف من النحاس باشا ٠٠ وتوافقت فكرة سكرتير الوفد مع معتقدات ساطع الحصرى الذى كتب قائلا : (ليس من حق المصريين أن يديروا ظهورهم للعروبة متمسكين بصلتهم بالمدنية الفرعونية التى انقرضت الى غير رجعة ، فالعروبة ليست جزءا من ماض محنط ، انها جزء من حاضر حى) ٠

وعندما اشتعلت ثورة فلسطين الكبرى عام ١٩٣٦ فرضت نفسها على مصر ونما الاتجاه العربى فيها ، ودافـع وزير خارجيـة مصر الوفدى أمام عصبة الأمم عن حقوق شعب فلسطين ، ومنعت حكومة الوفد سفر العمال المصريين الذين طلبتهم السلطات البريطانية ليحلوا محل العمال الفلسطينيين هناك ، كما تكونت جامعـة الرابطـة العربية عام ١٩٣٦ برئاسة محمود بسيونى أحد زعماء الوفد ورئيس مجلس الشيوخ ٠

وفى أكتوبر ١٩٣٨ انعقد فى القاهرة أيضا المؤتمر النسائى العربى ، الذى دعت اليه السيدة هدى شعراوى رئيسة الاتحاد النسائى المصرى ٠

ولم تكن الرابطة العربية فى محيط السياسة فقط ، ولكنها كانت فى محيط العسكريين أيضا ، وخاصة الذين خدموا فى الجيش العثمانى وحاربوا فى ليبيا ضد الغزو الايطالى مثل عزيز المصرى وصالح حرب وعبد الرحمن عزام ٠

عندما شبت ثورة رشيد عالى الكيلانى فى العراق عام ١٩٤١ وهرب الوصى على العرش ونورى السعيد الى شرق الأردن حاول عزيز المصرى الهرب والاتصال برشيد عالى ولكن محاولته فشلت ٠٠ كما فشلت بعد ذلك ثورة رشيد عالى وهرب هو ومفتى القدس الحاج أمين الحسينى الى ألمانيا النازية ٠

وقد استلفتت محاولة عزيز المصرى أنظار عدد من الضباط المصريين المهتمين بالسياسة والمعجبين ببريق النازية فى بداية الحرب العالمية الثانية ٠

العسكريون المصريون ٠٠٠ والعرب :

وتحرك العسكريون أيضا نحو العرب ٠

كان الملك قد قبل الحاج أمين الحسينى مفتى فلسطين لاجئا فى مصر عند حضوره لها فى يوليو ١٩٤٦ بعد اقامته فى ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية ٠٠ وذلك دون علم اسماعيل صدقى رئيس الوزراء الذى أصدر بيانا يشير فيه الى أهمية الهدوء والنظام فى هذه المرحلة الدقيقة ، ويقول فيه : (ولا ريب أن سماحته ـ أى المفتى ـ مقدر لذلك) ٠

وبدأت صلات العسكريين المصريين بالقيادات العربية ٠٠٠ بدأت مع الحاج أمين الحسينى الذى التقى سرا بعدد من الضباط منهم جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين وأنور السادات وعبد اللطيف البغدادى وغيرهم ٠

وكانت علاقة الحاج أمين الحسينى بالصاغ المتقاعد محمود لبيب المشرف على تنظيم الضباط فى جماعة الاخوان المسلمين علاقة قديمة تعود الى فترة وجودهما معا فى برلين ٠

وأتيحت فرصة اتصال العسكريين المصريين بالقيادات العربية خارج مصر عندما قررت قيادة الجيش المصرى ارسال أسلحة الى (جيش الانقاذ) فى سوريا بقيادة فوزى القاوقجى ٠

وفوزى القاوقجى ضابطا سوريا كان أصلا فى جيش الشرق متزوج من ألمانية وربطته علاقات وثيقة بضباط ثورة رشيد عالى الكيلانى فى

العراق ·· وقد اشترك فى الثورة الفلسطينية عام ١٩٣٦ ··· ثم كون جيش الانقاذ عام ١٩٤٨ ·

بعض قادة جيش الانقاذ كانوا معارين من الجيش السورى مثل العقداء أديب الشيشكلى وغسان جديد ومحمد صفا ·

والبعض الآخر انضم اليه متطوعا دون اذن صلات الجيش السورى مثل عبد الحميد السراج وأكرم ديرى وجودت أتاسى وجمال صدقى وجادو عز الدين ·· وقد حاولت السلطات السورية اعتبارهم فارين من الجيش ، ولكن أمام الضغط الشعبى اضطر وزير الدفاع أحمد الشرباتى الى اعتبارهم منتدبين ·

كان سرب النقل الجوى المصرى بقيادة عبد اللطيف البغدادى يحمل الأسلحة الى مطار المفرق ·· ولم يكن عند سوريا فى ذلك الوقت سلاح للطيران وبالتالى فلم تكن هناك مطارات حربية ·· كان هناك مطار المزة ومطار حلب فقط ·

وفى احدى الرحلات الى سوريا التقى البغدادى مع القاوقجى ، وقال له : (أن الحكومة المصرية قد رفضت مبدأ تطوع الضباط) ، واقترح عليه أن يهرب الى سوريا مع عدد من زملائه بطائرات مقاتلة ، تشبها بما فعله عزيز المصرى ·

وحذر القاوقجى الضابط المصرى من أخطار هذه العملية وطلب منه أن يكون مستعدا ، ولما سأله البغدادى عن الموعد المناسب لذلك قال له : القاوقجى أنه يحتاج اليه فى المعركة الفاصلة ·

وبدأت مجموعة ضباط الطيران المصريين يجهزون ١٥ طائرة من نوع (سبتفير) Spitfire دون علم القيادة ·· كما وافقت وزارة الحربية على أجهزة اللاسلكى اسمه محمود الرفاعى ، وأقام مدة طويلة ينتظر دورا ومعه فنى فى التسليح الى سوريا حيث قابلا وزير الدفاع السورى وقام بانشاء مطار سرى شرق دمشق بستين كيلو متر ·

وكان البغدادى قد طلب من القاوقجى انتداب أحد رجاله الى مصر ليقوم بدور ضابط اتصال ··· وفعلا حضر خبير مدرب فى ألمانيا النازية على انتداب طيار مصرى للانضمام لجيش سوريا ، وسافر حسن ابراهيم يقوم به ·

واستمر جيش الانقاذ السورى يمارس دوره حتى أسقطت منطقة الجليل ، وتحول الجيش الى لواء تابع للجيش السورى ·· وعندما قام حسني الزعيم بانقلابه منح ضباط هذا الجيش ترقية استثنائية ·

لم تكن لقاءات العسكريين المصريين مع العسكريين العرب خلال هذه الفترة تتجاوز مرحلة التعاون المشترك فى النضال ضد الصهيونية التوسعية والاستعمار ·· ولم تكن أهداف اللقاء قد أرسيت على قواعد فكرية أو أسس نظرية ·

كان المنطلق المصرى الى الفكرة العربية قائما على الوحدة الاسلامية ذات الامتداد التاريخى ·· الى جانب النضال المشترك الوليد ضد الاستعمار والصهيونية التوسعية ·

ثورة يوليو ·· والعرب :

وكانت حرب ١٩٤٨ هى بداية ·· الاحتكاك الحقيقى بين المصريين المتطوعين ورجال الجيش وبين عرب فلسطين وغيرهم ·

كانت الصلة تزداد وثوقا مع أخطار الحرب وتضحياتها ·· وفى هذه المرحلة اكتشف العسكريون المصريون ان ظروفهم التى أدت الى عدم انتصارهم على القوات الصهيونية ترجع أساسا الى تهتك النظام الملكى القائم فى مصر ··

وانبثقت فكرة الاهتمام بما يدور فى القاهرة ··· وبدأت أفكار الضباط تلتقى حول هدف واحد ··· هو التغيير فى مصر ·

هذا هو ما جعل أهداف الضباط الأحرار تخلو من الاشارة الى القومية العربية ، وهو أيضا ما جعل برنامج هيئة التحرير يأتى بلا أية اشارة الى القضايا العربية ·

ولكن هذا لم يكن ابتعادا عن عقيدة ، أو انصرافا عن يقين ·· بل انه كان نتيجة السرعة التى تمت بها حركة الجيش والاندفاع السريع المفاجىء نحو التحرك ، وتكتل المشكلات أمام الضباط منذ اللحظة الأولى ·· مما جعلهم لا يهتمون بميثاق الأمن الجماعى الذى وقعته مصر مع الدول العربية عام ١٩٥٠ فى اطار الجامعة العربية ·

ومع هذا فقد بدأ الارتباط العربى يتحقق منذ الأيام الأولى ، عندما وجد الوطنيون العرب فى حركة الجيش واقعا جديدا يستحق الرصد والاهتمام ··· وعندما وجدت الأنظمة والحكومات فى الوطن العربى سواء من الملكيين أو الجمهوريين أنه لابد من اقامة صلة مع النظام الجديد ·

بعض الهيئات العربية فى بغداد ذهبت الى السفارة المصرية تطلب النص فى الدستور على أن تكون مصر دولة عربية ·

أول رئيس عربى زار مصر بعد الثورة كان أديب الشيشكلى رئيس سوريا الذى استقبلته الصحافة بترحيب شديد ووصفته جريدة المصرى فى المانشيت الرئيسى باسم (محرر سوريا) •

وبدأ صلاح سالم جولاته فى البلاد العربية ، كما بدأ بزيارة السودان ، فسافر الى لبنان فى أوائل يوليو ١٩٥٤ ، وبعدها باسبوع الى اليمن •• ثم قام برحلته الشهيرة التى قابل فيها الملك فيصل وولى العهد الأمير عبد الاله ونورى السعيد فى مصيف سرهنك خلال شهر أغسطس ١٩٥٤ ثم قام برحلة الى السعودية فى نوفمبر من نفس العام •

كل هذه الصلات تمت فى اطار محاولة اقامة علاقات ودية مع الدول العربية•••ولكنها تطورت لتصبح نضالا مصريا ضد محاولة فرض الأحلاف العسكرية على الدول العربية وانتهت الى نزاع سافر مع حلف بغداد •

البوادر الأولى التى أظهرت اتجاة مصر العربى تمثلت فى افتتاح اذاعة صوت العرب يوم ٤ يوليو١٩٥٣ بكلمات من محمد نجيب وعبد الخالق حسونة أمين الجامعة العربية وأغنية من محمد عبد الوهاب •

بدأت الاذاعة بمدة نصف ساعة فقط ، امتدت مع الوقت لتصبح ساعة فى اليوم •

ووقفت اذاعه صوت العرب مع الثوار العرب فى كل مكان •• مع صالح بن يوسف فى تونس •• مع السلطان محمد الخامس ضد الجلاوى فى المغرب •• الوطنيين المعارضين لربط المشرق العربى بالأحلاف العسكرية •

ساعة الصفر لثورة الجزائر فى أول نوفمبر ١٩٥٤ أعلنت من اذاعة صوت العرب ، وكانت ايذانا بتفجير ٢٤ قنبلة فى أماكن مختلفة مع اذاعة بيان جبهة التحرير • أعدت اذاعة سرية خاصة للجزائر فى نوفمبر ١٩٥٥ حتى أصبح أحمد بن بيللا رئيسا للحكومة ، وهى الاذاعة التى انتقلت اليها اذاعة القاهرة عند عدوان ١٩٥٦ •

وكان أحمد بن بيللا قد حضر الى مصر فى أغسطس ١٩٥٣ بعد الحكم عليه هناك عقب حادث الهجوم على العرب فى وهران ، وهو جاويش هارب من الجيش •

العلاقات المصرية العربية تزداد وثوقا •• ثم وضوحا بعد انتهاء أزمة العسكريين فى مصر بتنحية محمد نجيب عن السلطة فى ١٧ نوفمبر ١٩٥٤ •

وأخذ التعاون العربى صورة أكثر ايجابية ٠

قال جمال عبد الناصر فيما نشره باسم فلسفة الثورة : (وما من شك فى أن الدائرة العربية هى أهم هذه الدوائر وأوثقها ارتباطا بنا) ٠

ويقول فى العيد الثانى للثورة : (مشاكل العرب هى مشاكل المصريين ٠٠٠ واذا كانت مشكلة الاحتلال استنفذت الى الآن الجزء الأكبر من جهد المصريين فانها لم تصرفهم أبدا عن المشاركة فى كل جهد عربى يبذل من أجل تحرير العرب) ٠

وبدأ التقاء الثورة المصرية مع الثورة العربية ٠٠ كانت حلقة الاتصال ضباط المخابرات الموثوق باخلاصهم وقدراتهم ٠

لم تنفتح هذه التنظيمات الشعبية بطريقة علنية ، لأن مصر كانت تفتقد التنظيم السياسى القادر على التعاون والحركة السياسية ٠٠٠ ولذا ظلت المخابرات ـ بأساليبها الخاصة ـ اليد العليا ٠

وكانت المعركة الرئيسية هى معركة الأحلاف العسكرية العربية التى استشعرت ثورة يوليو بأخطارها على المنطقة ، لانها تبقى اليد العليا للسيطرة الاستعمارية وتجذب العرب الى حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل ٠

كانت الدراسات العسكرية لجمال عبد الناصر ذات تأثير فى بلورة أفكاره العربية ٠٠ قال للصحفى البريطانى ديزموند ستيورات فى حديث معه يوم أول ابريل ١٩٥٥ : (تبلورت فى ذهنى فكرة القومية العربية كمذهب سياسى عندما كنا ندرس فى كلية أركان الحرب المشكلات الاستراتيجية الخاصة بمنطقة الشرق الأوسط) ٠

كان انجذاب الثورة العربية للقاهرة أمرا طبيعيا فى فترة المد الوطنى وكانت خشية الحكام الرجعيين من الجماهير ظاهرة واقعية ٠

وعندما عزل الملك حسين الجنرال جلوب من قيادة الجيش الأردنى كان ذلك تعبيرا عن مسايرته للاتجاه الوطنى العام السائد فى المنطقة ٠٠٠

وقد عبر جمال عبد الناصر عن الدور الذى قامت به ثورة يوليو من ناحية تأثيرها الفعال على القوى الوطنية فى مختلف الدول العربية بقوله لسلوين لويد وزير الدوله البريطانى عند زيارته لمصر فى مارس ١٩٥٦ ٠ والتى صادفت خلالها اقالة الجنرال جلوب واعتقاد سلوين لويد بأن عبد الناصر وراء هذا الخطوة : (اذا كنت تظن أن لدى على مكتبى أزرارا أضغطها فتنشب ثورة فى العراق أو يحدث انقلاب فى بلد كذا أو تنفجر

قبلة هنا أو نقوم مظاهرة هناك فانك تغدق على قوى خارفة لا أملكها .. فلا نبالغ فى أهميتى) .

صحيح أن معظم الثورات التى تمت فى الوطن العربى لم تنسج بايدى المصريين .. ولكن النموذج الذى كانت تقدمه الثورة المصرية ... والآراء التى كان يلقيها جمال عبد الناصر ... كانت هى المحرك الرئيسى لمعظم الثورات .. والتى ما كانت تبدأ حتى تجد من القاهرة كل ما يمكن من التأييد والمعاونة .

ويتطور فكر ثورة يوليو الى تظهر دستور ١٩٥٦ ويتضمن الدستور المصرى العام ١٩٥٦ ، مقدمة تقول (نحن الشعب المصرى الذى يشعر بوجوده متفاعلا فى الكيان العربى الكبير ، يقدر مسئولياته والتزاماته حيال النضال العربى المشترك لعزة الامة العربية ومجدها) ..

ثم تنص مادته الأولى على أن (مصر دولة عربية ذات سيادة ، وهى جمهورية ديمقراطية والشعب المصرى جزء من الأمة العربية) .

وعندما أعلن جمال عبد الناصر على الشعب المصرى تأميم قناة السويس أشار اليها بأنها (قناة العرب) .

حصل بذلك على تأييد لم يصل اليه مصرى من قبل ... كان العرب يحتاجون الى بطل وزعيم ... وجمال عبد الناصر أصبح مؤهلا لأداء هذا الدور بمواقفة الوطنية التى لا تنغلق داخل الحدود وانما تمتد وتتسع لتشمل الوطن من المحيط الى الخليج على تغييره .

الصلات مع المغرب العربى توطدت من مساعدة الثوار فى الجزائر وتونس ومن مساعدة سلطان المغرب .

العرب مع مصر ... ضد العدوان :

ووصل التعاون العربى ذروته بعد تأميم قناة السويس واقتراب شبح العدوان من مصر .

أضربت الشعوب العربية تضامنا مع مصر يوم ١٦ أغسطس ١٩٥٦ ، وهو اليوم الذى افتتح فيه مؤتمر لندن لجمعية المنتفعين من القناة ... وكان ذلك تعبيرا عن ميلاد ظاهرة جديدة .

أعلنت اذاعة عمان ودمشق بعد ضرب محطات الارسال فى أبى زعبل (هنا القاهرة) .

واتصل الملك حسين أيضا يبلغ جمال عبد الناصر بأنه سيهاجم اسرائيل ، ولكن عبد الناصر أوضح له ضخامة المؤامرة ، وطلب منه التريث.

وعندما وقع العدوان تفجرت طاقات الأمة العربية .

أعلنت الحكومة السورية عزمها على الدخول بجيشها ضد اسرائيل ... ولكن مصر أبلغت سوريا عدم رغبتها فى عدم اتساع نطاق القتال واصرارها على مجابهة الموقف وحدها .

ومع ذلك فقد تم تدمير أنابيب البترول التى تمتد من العراق الى سوريا ولبنان ، وتعطل ورود البترول من كركوك وكل من طرابلس وبانياس .. وكان ذلك بتدبير عبد الحميد السراج قائد المكتب الثانى بالجيش السورى .

وأتلف الشعب العراقى بعض أنابيب البترول فى كركوك أيضا .

كما نسفت بعض أنابيب البترول فى السعودية وتوقف تصدير البترول السعودى الى بريطانيا وفرنسا .. ونسفت أنابيب البترول فى الأردن .

واجتاحت المظاهرات ليبيا وقطر والبحرين والكويت .

قطع العرب البترول عن الدول الغربية وهو عنصر رئيسى فى استمرار الحياة عندهم .

كان ذلك مظهرا ايجابيا وجديدا فى تضامن العرب ضد الاستعمار والصهيونية التوسعية .

وقال جمال عبد الناصر عند افتتاح مجلس الأمة عام ١٩٥٧ : (أن القومية العربية هى أمضى أسلحتنا فى الدفاع عن وطننا ، وسواء فى ذلك حدودنا المصرية المحلية أو حدودنا العربية الشاملة) .

وقال أيضا : (كان نسف البترول عملا عسكريا) .

أصبح التضامن العربى أساسا للحركة السياسية ... تمت فى ظله الوحدة المصرية السورية .

ثورة يوليو ... وثورات التحرير الوطنى العربية :

وكانت مصر قد أحيت موقفا استراتيجيا مدعما لطاقة ثورات التحرر الوطنى العربية ... بدأ مع أول نوفمبر ١٩٥٤ عندما أعلنت مصر تأييدها لثورة الجزائر وأسهمت فى ذلك بقدر كبير ليس هنا مجال للدخول فى

تفصيله ٠٠٠ وهو الأمر الذى أدى الى مشاركة فرنسا فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ بعد تأميم قناة السويس ٠

وجاك سوستيل الحاكم العسكرى الفرنسى للجزائر عام ١٩٥٥ صرح بأن : (مصر هى رأس الاخطبوط الذى كانت خطاطيفه تخفق لمدة شهور شمال أفريقيا الفرنسى) ٠

ولم يتردد جمال عبد الناصر فى اجابة كينيث لف فى حديث صحفى بأنه أرسل أسلحة للثورة الجزائرية ٠

واصلت ثورة يوليو دعمها لثورة الجزائر الى أن حققت انتصارها الكبير على الاستعمار والاحتلال الفرنسى فى أول يوليو ١٩٦٢ ٠

وخلال وحدة مصر وسوريا فى الجمهورية العربية المتحدة بادرت ثورة يوليو بمساندة ثورة العراق التى شبت يوم ١٤ يوليو ١٩٥٨ وأطاحت بالنظام الملكى وأنهت حلف بغداد ٠

كانت ثورة ١٤ يوليو انفجار مدويا فى الشرق الأوسط اهتزت أرجاء العالم وبادرت القوى المختلفة تراجع حساباتها وتواجه الموقف الجديد الذى نشأ بعد ست سنوات من ثورة مصر وفى أقل من سنتين على العدوان الثلاثى على مصر ٠

كان وقوع الانفجار فى مقر حلف بغداد أكثر مما تحتمله أعصاب الامبريالية لانه كان يعنى بالتأكيد رجحان كفة الحرب الأهلية فى لبنان لصالح الوطنيين وانهيار الحكم فى الأردن ٠ ولذلك نزل الأسطول الأمريكى فى بيروت يوم ١٥ يوليو ٠٠٠ وهبطت المظلات البريطانية فى الأردن قادمة عبر اسرائيل ٠

وكان جمال عبد الناصر فى زيارة ليوغوسلافيا عندما شبت الثورة ووصل الاسطول الأمريكى السادس الى بيروت ٠٠ وبعد مراجعة سريعة للموقف عاد باليخت الحرية الى يوغوسلافيا بعد أن كانت الباخره فى طريقها الى الاسكندرية ، ومنها بالطائرة الى موسكو التى رتبت له الرحلة يوم ١٦ يوليو ٠

لم يتردد جمال عبد الناصر فى دعم الثورة العراقية ٠٠ معلنا أن ثورة يوليو هى رصيد لكافة شعوب الأمة العربية فى تحركها نحو الحرية والاستقلال ٠

وبعد عام من مأساة الانفصال كانت اليمن قد أعلنت ثورتها يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وبادرت ثورة يوليو لمساعدتها بكل الطاقة الممكنة حتى بلغ عدد الجنود المصريين هناك أكثر من ٧٠٠٠٠ جندى وهو ما لم يكن متوقعا لولا التدخل الأمريكى المساند لقوى الأمامة المتخلفة ٠

أدت ثورة يوليو واجبا قوميا مسئولا انهت به مرحلة ظلام وقهر سادت اليمن وأصبحت الحياة فيها مثالا على الظلم والتخلف ٠

ومن الآثار الايجابية لدعم ثورة يوليو لثورات التحرر الوطنى العربية تحرير جنوب اليمن من الاستعمار البريطانى الذى احتل عدن عام ١٨٣٩ وخروجه بعد ذلك من كافه دول الخليج ٠

ولم تتردد ثورة يوليو حتى بعد هزيمة ١٩٦٧ فى دعم الثورات العربية التى حدثت فى ٢٥ مايو ١٩٦٩ فى السودان والفاتح من سبتمبر ١٩٦٩ فى ليبيا ٠

وما من شك فى أن استراتيجيه ثورة يوليو قامت على أساس مساندة كافة ثورات التحرر الوطنى العربى ايمانا منها بوحدة القومية العربية فى نضالها المشترك ضد كافة أشكال العدوان والتدخل الاستعمارى ٠

ثورة ٢٣ يوليو..
وتوحيد القيادة العسكرية العربية

اللواء أ.ح / جمال حماد

منذ قيام دولة اسرائيل فى ١٥ مايو ١٩٤٨ وقعت بينها وبين العرب أربع جولات اشتركت فى معاركها جيوش ضخمة من دول عربية متعددة . ورغم تفوق الجيوش العربيـة فى معظـم هذه الجولات من حيث العـدد والأسلحة والمعدات ، فان اسرائيل تمكنت فى ثلاث من هذه الجولات فى أعوام ٤٨ ، ٥٦ و ٦٧ من احراز النصر على الجيوش العربية فى ميادين القتال ، وكان العامل الأول لهذا النصر يرجع الى الاستراتيجة التى رسمتها اسرائيل وأحسنت تنفيـذها ، وهى ألا تقاتل الجيوش العربية على جميع الجبهات فى وقت واحد . بل تعمل على مقاتلة كل جيش على حدة منتهزة الفرصة التى كان العرب يتيحونها لها دائما بفضل عوامل الفرقة والخلاف التى تمزق وحدتهم ، والتى كانت تؤدى الى عدم انخراط الجيوش العربية تحت قيادة موحدة لديهـا هيئة عمليـات مشتركة ، تتولى رسم الخطط الاستراتيجية على مستوى مسرح الحرب بأكمله . كما أن لديها سلطة اصدار أوامر العمليات لجميع القوات العربية على مختلف الجبهات على غرار هيئة القيادة العليا للحلفاء خلال الحرب العالمية الثانية التى كانت تتولى القيادة الفعليـة للعمليـات ، والتى كانت تخضـع لأوامرهـا القوات الأمريكية والبريطانية والكندية والفرنسية ، مما هيأ الفرصة للحلفاء لاحراز النصر فى النهاية ، وانزال هزيمة قاصمة بقوات المحور الألمانية الايطالية .

ورغم المحاولات العربية المستمرة التى بذلت طوال ربع قرن بأكمله (منذ عام ١٩٤٨ حتى عام ٧٣) لايجاد قيادة مشتركة أو موحدة للجيوش العربية تتولى قيادتها فى ميادين القتال ، فان هـذه المحاولات تكاد تكون كلها قد باءت بالفشل خاصة فى جولات ٤٨ و ٥٦ و ٦٧ ، أما المحاولة الأخيرة التى بذلت والتى تمخضت عن انشـاء القيادة العامة للقوات المسـلحة الاتحادية فى أول يونيو ٧٢ ، والتى تولت عملية التنسيق وتنظيم التعاون بين الجيشين المصرى والسورى قبل وخلال حرب أكتوبر ٧٣ ، فقد كانت أنجح هذه المحاولات بلا شك ، ولو كانت لدى هذه القيادة هيئة للعمليات لها سلطة اصدار الأوامر للجبهتين المصرية والسورية وقيادة الحرب لكانت حرب أكتوبر قد اختلفت كثيرا عما جرى ولكن وجه التاريخ قد تغير .

انشاء القيادة العربية ، وحرب عام ٤٨ :

جرت أول محاولة جدية لتوحيد القيادة العربية قبل أن يخوض العرب حرب عام ٤٨ ، فقد وافقت حكومات الدول العربية الخمس المشتركة فى الحرب ، وهى مصر وشرق الأردن وسوريا والعراق ولبنان على تعيين الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرق الأردن قائدا عاما للجيوش العربية · ولم تكن هذه القيادة العامة كما اتضح من وقائع الحرب سوى قيادة شكلية بحتة ، ولم يكن لها أى تأثير على مسرح العمليات · فقد كانت الجيوش العربية الخمسة تقاتل القوات الاسرائيلية على الجبهات الثلاث الشمالية والوسطى والجنوبية دون أى تخطيط مسبق أو استراتيجية مرسومة · وكان المظهر الوحيد لوجود هذه القيادة العربية هو مجرد وجود ضابط من كل من الجيوش المشتركة فى القتال فى مقر القيادة فى عمان كممثل للجيش الذى ينتمى اليه · ولم يكن فى امكان هذه القيادة أو فى قدرتها التدخل لدى الجيوش العربية التى تقاتل اسرائيل حتى ولولمجرد القيام بعملية التنسيق فيما بينها · اذ لم تكن ضمن تنظيمها أية هيئة لديها القدرة على التدخل فى العمليات أو لاجراء الاتصالات اذا كانت تنقصها أولى مقومات القيادة الحقيقية وهى وجود شبكة اتصال بينها وبين قيادات الجيوش الخمسة ·

وعلى الرغم من سوء حالة الجيوش العربية وقتئذ وضعف امكاناتها من حيث التدريب والتسليح ، فانه لو كان قد تسنى للعرب ايجاد قيادة موحدة فعلية لرسم الخطط واصدار أوامر العمليات للجبهات الثلاث ، لكان فى امكانها احراز نصر خاطف على اسرائيل خلال المرحلة الأولى من الحرب ، وهى التى بدأت فى ١٥ مايو ٤٨ ، وانتهت باعلان الهدنة الأولى فى ١١ يونيو ٤٨ ، فقد كانت القوات الاسرائيلية التى واجهت الجيوش العربية خلال هذه الفترة قوات ضعيفة التدريب والتسليح ، تشكلت أساسا من وحدات الهاجانا والبالماخ مع خليط من أفراد الجماعات الارهابية ·

وعلى الرغم من كل أوجه القصور والنقص التى كانت تعانى منها الجيوش العربية ، وعلى الرغم من عدم توحيد قياداتها أو تنسيق عملياتها وتدخل بعض العوامل والأطماع السياسية فى توجيه المعارك ، وعلى الرغم من أن قيادة الفيلق العربى الأردنى كانت فى يد ضابط بريطانى هو الجنرال جلوب ومعه بعض مساعديه من الضباط البريطانيين ، وكانوا يقومون بالطبع بتنفيذ السياسة البريطانية المرسومة ، فان الجيوش العربية فى

كل هذه الظروف الصعبة تمكنت من تحقيق انتصارات هامة خلال المرحلة الأولى من الحرب • فقد نجح الجيش المصرى على الجبهة الجنوبية فى احتلال النقب بأكمله ، ووصلت القوات المصرية الى ميناء أشدود على الطريق الساحلى على مسافة ٤٠ كيلو مترا من تل أبيب ، والى مدينة بيت لحم على الطريق الداخلى على مسافة نحو عشرة كيلو مترات من القدس اليهودية ، وتمكن الجيش العراقى فى قطاعه على الجبهة الوسطى من احتلال المثلث الهام الواقع بين طولكرم وجنين ونابلس ، ولم تكن طولكرم تبعد عن مدينة نتانيا الواقعة على شاطىء البحر المتوسط الا بأقل من ٢٠ كيلو مترا • أما الفيلق العربى الذى كان يقاتل فى قطاعه على الجبهة الوسطى أيضا تحت قيادة الجنرال جلوب البريطانى فقد ركز اهتمامه على المنطقة التى كان يطمع الأمير عبد الله فى ضمها الى شرق الأردن بتأييد من بريطانيا ، أى أن العمليات الحربية فى هذا القطاع كانت متأثرة بالعامل السياسى ، وقد تم بالفعل الاستيلاء على القدس القديمة ورام الله ، واغلاق الطريق بين تل أبيب والقدس اليهودية التى أصبحت تعانى ويلات الحصار ، وأخيرا نجحت القوات الأردنية فى الوصول غربا الى مدينتى اللد والرملة على مسافة أقل من ٢٠ كيلو مترا من تل أبيب ، وكان سوء الموقف العسكرى لاسرائيل هو الذى تسبب فى الضغوط الدولية التى أدت الى اصدار مجلس الأمن قراره باعلان الهدنة الأولى فى ١١ يونيو ٤٨ ، وخلال الهدنة الأولى التى استمرت لمدة شهر أخذت الامدادات من الأسلحة والمعدات والذخائر علاوة على آلاف المتطوعين من يهود أوروبا وأمريكا فى التدفق على اسرائيل ، وأخذت القيادة الاسرائيلية تعد عدتها لجولة جديدة لتنفيذ مخططاتها المرسومة فى الوقت الذى ظلت فيه القوات العربية فى أماكنها ساكنة بلا حراك فى انتظار استئناف القتال •

وما كاد القتال يستأنف فى ١٠ يوليو ٤٨ حتى ركزت القيادة الاسرائيلية مجهودها الرئيسى ضد القطاع الأردنى فى الجبهة الوسطى وتمت لها استعادة اللد والرملة ، وازالة التهديد الخطير عن عاصمة اسرائيل، كما نجحت فى عمل وصلة جديدة للطريق بين القدس اليهودية وتل أبيب • وبهذا تم انهاء الحصار المضروب حول القدس اليهودية والذى كان يهدد سكانها بالتسليم للعرب وتحت ستار الهدنة الثانية التى أعلنت فى ١٨ يوليو ونتيجة للخلافات العربية التى تفجرت عقب سقوط اللد والرملة وانهام القيادة الأردنية بتسليمها • ركزت القيادة الاسرائيلية مجهودها الرئيسى على الجبهة المصرية فى الجنوب ، وفى أكتوبر ٤٨ نجحت القوات الاسرائيلية فى اختراق الخط المصرى العرضى الذى كان يربط بين الطرفين الساحلى والداخلى ، فى المعركة التى عرفت باسم معركة تقاطع الطرق ،

واندفعت جنوبا حيث تم لها الاستيلاء على عاصمة النقب بئر سبع فى ٢٠ أكتوبر ، واضطر الجيش المصرى ، بعد أن تركزت ضده الهجمات الاسرائيلية التى كانت تهدده بالتطويق ، الى تقصير خطوطه والانسحاب من أسدود والمجدل على الطريق الساحلى حيث تمركز فى قطاع غزه فى حين اقتصرت المواقع المصرية فى الطريق الداخلى على الخط من بيت لحم الى الخليل ، مما أدى الى وقوع القوة المصرية التى كانت تدافع عن الطريق العرضى عند الفالوجا وعراق المنشية تحت وطأة الحصار من جميع الجهات ٠

وفى ٢٢ ديسمبر ٤٨ كسرت القوات الاسرائيلية وقف اطلاق النار مرة أخرى ، وتقدمت من بئر سبع جنوبا الى العسلوج ومنها الى العوجة ، ثم اندفعت غربا لتجتاح المواقع المصرية عند أم قطف (أبو عجيلة) ، وتواصل التقدم فى اتجاه العريش لتتوقف أمام الدفاعات المصرية عند بئر لحفن على مسافة حوالى ٢٠ كيلو مترا من العريش ، وفى حركة فجائية قامت القوات الاسرائيلة بالانسحاب من أمام العريش ، وتقدمت على طريق العوجة الى رفح حيث يوجد مقر قيادة القوات المصرية ، ولكن الاسرائيلين لم يتمكنوا من الاستيلاء على رفح رغم الوصول الى مشارفها لعنف وشراسة المقاومة المصرية ، ونظرا لزيادة نسبة الخسائر الاسرائيلية اكتفت القيادة الاسرائيلية بمكاسبها فى الجبهة الجنوبية بعد أن تم لها الاستيلاء على النقب بأكمله ، وانحصر وجود الجيش المصرى فى ذلك الشريط الطويل الضيق من الأرض الذى عرف بعد ذلك باسم قطاع غزة وتبعا لذلك أصدر مجلس الأمن قراره فى يناير ٤٩ بايقاف القتال ، وبدأت المفاوضات التى انتهت بعقد الهدنة بين اسرائيل وبين كل من مصر وسوريا والأردن ولبنان ، والتى تمت تحت اشراف الوسيط الدولى الدكتور رالف بانش فى جزيرة رودس ٠

وهكذا فشلت المحاولة الأولى لايجاد قيادة عربية موحدة فشلا ذريعا فعلى الرغم من وجود قائد عام للجيوش العربية وهو الأمير عبد الله ، فان الجيش المصرى فى الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحرب تحمل وحده ثقل الهجمات الاسرائيلية التى تميزت فى هذه المرحلة بظهور العناصر المدرعة والميكانكية على نطاق واسع ، وبظهور بعض الطائرات الاسرائيلية لمساندة القوات الأرضية ، ولم يحاول أى جيش عربى فى هذه المرحلة التقدم أو الهجوم من مواقعة لتخفيف الضغط على القوات المصرية فى الجنوب التى تركز ضدها المجهود الرئيسى للقوات الاسرائيلية رغم أن ذلك كان أمرا بالغ السهولة ، اذ أن القوات الاسرائيلية التى كانت مخصصة وقتئذ لتثبيت الجبهات العربية الأخرى لم تكن تضم سوى قوات نظامية ضئيلة ٠

انشاء القيادة المشتركة ،

وحرب عـام ١٩٥٦ :

فى أثر نجاح ثورة ٢٣ يوليو بدأت أفكار التحرير تسرى فى كل بقاع العالم العربى ، وأخذت نداءات القومية العربية التى كان يذكيها الرئيس الراحل عبد الناصر ترتفع عالية مدوية من المحيط الى الخليج ، ولم تكد تمر بضع سنوات على الثورة المصرية حتى حدث تقارب كبير بين مصر وكل من سوريا والسعودية أدى الى عقد اتفـاق ثلاثى فى ٢٩ أكتوبر ٥٥ ، تم بموجبه تشكيل قيادة عسكرية مشتركة ، اتخذت مقرهـا فى قصر كبير بمصر الجديدة ، لايزال يطلق عليه اسم القيادة المشتركة حتى يومنا هذا وأصبح المشير عبد الحكيم عامر قائدا عاما للقوات العربية المشتركة وتولى رئاسة هيئة أركانها فى بادىء الأمر اللواء مصطفى يوسف ثم خلفـه فى مايو ١٩٥٦ اللواء حافظ اسماعيل ٠ وقد أرسلت كل من سوريا والسعودية ضباطا من جيشها للعمل بهذه القيادة ، وتم فى أوائل عام ٥٦ انشاء فرع لهذه القيادة المشتركة فى دمشق تولى رئاسته العقيد أ ٠ ح جمال حماد ، وكان هذا الفرع يضم ضباطا مصريين وسوريين ، وكانت مهمته الأساسية هى تحقيق التعاون وايجاد الاتصال الوثيق بين القيادة المشتركة بالقاهرة وبين رئاسة الأركان العامة السورية بدمشق ، وقد قام المشير عامر بزيارة فرع القيادة بدمشق ، ثم تفقد الجبهة السورية بمرتفعات الجولان ، وعقد بعض المؤتمرات مع القادة السوريين فى رئاسة الأركان العامة السوريـة بدمشق ، ورغم وجود أجهزة القيادة المشتركة فى القاهرة ودمشق ، ورغم وجود ضباط مصريين وسوريين يعملون معا فى القيادتين ، ورغم وجود اتصال مباشر بين القيادتين بعد انشاء خط تليفون لاسلكى يربط بينهما ، فان واقع الأمر أثبت أن القيادة المشتركة فشلت فى احـداث أى اندماج حقيقى بين الجيشين المصرى والسورى ، فقد ظل كل جيش يـدير أموره بنفسه ولا يخضع فى كل شئونه الا لقيـادته المبـاشرة ، ووقعت القيادة المشتركة فى نفس أخطاء الماضى فلم تضم ضمن تنظيمها هيئة للعمليات المشتركة ، وبالتالى لم تجهز خطة مشتركة للجيش يجرى تنفيذها فى الحال بمجرد وقوع أى عدوان اسرائيلى على احدى الدولتين ٠

وكان نمـو الشعور القومى فى الأردن خاصـة الضفـة الغربيـة الفلسطينية عقب وقائع حرب فلسطين عام ٤٨ ، وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو ٥٢ فى مصر لـه أثره فى تغيير الأوضاع القديمة السائـدة فى الأردن ، وسرعان ما تجاوب الملك الشاب حسين بن طلال مع الشعور الوطنى الجارف فى البلاد ، فبادر بطرد الجنرال جلوب البريطانى الذى كان يتولى قيادة الجيش الأردنى هو وجميع مساعديه من الضباط البريطانيين فى مارس

٥٦ ، وعين مكانه اللواء راضي عنان بصفة مؤقتة ، حتى أحيل الى التقاعد ثم تولى قيادة الجيش الأردني بعد ذلك أحد القادة الوطنيين من الشباب وهو اللواء على أبو نوار • كما كلف الملك حسين أحد الزعماء الوطنيين الفلسطينيين بتشكيل الحكومة الأردنية وهو سليمان النابلسي •

وفى أثر هذه التطورات الخطيرة فى الأردن وفى أعقاب قرار تأميم قناة السويس الذى أعلنه الرئيس الراحل عبد الناصر فى ٢٦ يوليو ٥٦ قام المشير عبد الحكيم عامر بزيارة رسمية للأردن • فى الأسبوع الأخير من أكتوبر ٥٦ حيث استقبل من الملك حسين والحكومة والشعب استقبالا حماسيا ، وتم الاتفاق بين المشير عامر والمسئولين فى الأردن على الخطوط الأساسية لعقد اتفاقية مشتركة فى القريب بين مصر والأردن ، ينضم وفقا لبنودها الأردن الى الاتفاقية المعقودة بين مصر وسوريا والسعودية كى يصبح الجيش الأردنى بموجبها تحت القيادة العامة المشتركة بالقاهرة ، وفى أثر الاتصالات الناجحة التىأجراها المشير عامر فى عمان سافر بعد ذلك مباشرة بالطائرة الى دمشق حيث أجرى لقاءات هامةمع رئيس الجمهورية شكرى القوتلى وأعضاء الحكومة السورية ورئيس الأركان العامة اللواء توفيق نظام الدين وكبار القادة السوريين ، وقد استهدف المشير عامر من زيارته للأردن وسوريا ايضاح مدى التهديد الذى تتعرض له مصر اثر اعلان تأميم القناة ضمانا لحشد كل القوى الوطنية فى الأردن وسوريا للوقوف الى جانب مصر فى حالة اقدام بريطانيا وفرنسا على تنفيذ تهديداتهما المتتالية بالقيام بعملية غزو عسكرية لمصر لمحاولة استرداد قناة السويس ، أو فى حالة قيام اسرائيل باستغلال الفرصة لشن ضربة هجومية على مصر لمنع الجيش المصرى من استيعاب الأسلحة السوفيتية الحديثة التى وردت اليه بكميات ضخمة على اثر عقد صفقة الأسلحة التشيكية عام ٥٥ ، بعد أن أعلن عبد الناصر عن سياسته الجديدة فى كسر احتكار السلاح ، وخلال سفر المشير عامر من دمشق الى القاهرة بالطائرة فى مساء ٢٨ أكتوبر ٥٦ تعرضت الطائرة التى كانت ترافقه ، والتى كانت تقل ضباط الحراسة والشرطة العسكرية لحادث لايزال سره لغزا مستعصيا حتى اليوم فقد سقطت الطائرة بركابها الى قاع البحر دون أن تطلق أى اشارة أو أى نداء للاستغاثة مما أثار الشبهات فى انها قد اسقطت عمدا بصاروخ جو ــ جو أطلق عليها فى جنح الظلام من احدى المقاتلات المعادية اعتقادا منها انها الطائرة التى كان يستقلها المشير عامر • ومما ايد هذا الاحتمال انه فى اليوم التالى مباشرة على سقوط الطائرة وقع العدوان الاسرائيلى على مصر يوم ٢٩ أكتوبر باسقاط كتيبة مظلات بقيادة أريل شارون عند ممر متلا ، وتوالت الأحداث بعد ذلك بسرعة رهيبة ، فلم تكد القوات الاسرائيلية المتقدمة على محاور سيناء الثلاثة تصطدم بالقوات المصرية فى مواقعها

الدفاعية فى شمال سيناء حتى اختلقت بريطانيا وفرنسا المتواطئتان مع اسرائيل المبرر لتدخلهما المسلح ، الذى تم بالانذار الذى وجهتاه الى مصر والذى أعقبتاه بانزال قواتهما عن طريق الجو والبحر فى بور سعيد يوم ٥ نوفمبر •

ورغم عدم وجود أية خطة مجهزة لدى القيادة السورية للعمل ضد اسرائيل فى حالة قيامها باعتداء ضد مصر ، وهو الأمر الذى يدل على مدى قصور امكانات القيادة المشتركة ، فقد اقترحت هيئة العمليات برئاسة الأركان العامة السورية القيام بالهجوم على اسرائيل بمجموعة لواء مشاة ميكانيكى مدعمة بكتيبة من الدبابات ، تدفع مباشرة من مرتفعات الجولان الى اتجاه الحدود اللبنانية الجنوبية ، قرب بلدة بنت جبيل اللبنانية بهدف عزل منطقة الجليل الأعلى (التى تشكل شبه نتوء بين الحدود السورية والحدود اللبنانية) عن باقى اسرائيل وعلاوة على أن العملية السورية بهدفها المحدود لم يكن لها فى حالة الاقدام على تنفيذها سوى تأثير ضعيف على مجرى العمليات فى الجبهة المصرية ، فان التفوق الجوى الاسرائيلى بالاضافة الى قوات المنطقة الشمالية فى اسرائيل المتفوقة على قوة الهجوم السورية ، من حيث العدد والتسليح ، كانا كفيلين بايقاف الهجوم السورى بل وتحطيمه قبل أن يحقق غرضه النهائى ، هذا ولم تهيىء الظروف الفرصة لتنفيذ الهجوم السورى ، فان القيادة المشتركة بالقاهرة أجرت الاتصال مع اللواء حافظ اسماعيل رئيس أركان القيادة المشتركة الذى تصادف وجوده وقتئذ فى دمشق ، بعد أن تخلف عن مرافقة المشير عامر الى القاهرة وفقا لتعليماته لبحث بعض الموضوعات مع رئاسة الأركان العامة السورية ، وخلال هذا الاتصال مع حافظ اسماعيل تم ابلاغه بتعليمات الرئيس الراحل عبد الناصر التى كانت تقضى بالغاء العملية السورية ضد اسرائيل ، والحرص على عدم الزج بسوريا فى المعركة لضمان بقاء جيشها سليما •

انشاء القيادة الموحدة

وحرب عام ١٩٦٧ :

وجرت المحاولة الثالثة لتوحيد القيادة العربية خلال اجتماع مجلس الملوك والرؤساء العرب فى دورة انعقادة بالقاهرة فى ١٣ يناير ٦٤ عندما صدر قرار المجلس بانشاء قيادة موحدة • وفى مارس ١٩٦٤ تم تعيين الفريق أول على على عامر قائدا عاما للقيادة العربية الموحدة وتعيين اللواء عبد المنعم رياض رئيسا لأركان حرب هذه القيادة التى اتخذت مقرها بمدينة نصر بالقاهرة ، وقد قامت القيادة الموحدة بوضع مخطط عسكرى

استهدفت منه توحيد الجهود العسكرية للدول العربية كلها ضد اسرائيل ۰ وقد تضمنت الخطة الموضوعية انشاء جبهتين مستقلتين : الجبهة الشرقية وتضم سوريا والأردن مع قوات دعم من العراق والسعودية،والجبهة الجنوبية وتضم مصر مع قوات دعم من الجزائر والسودان ، الا أن هذه القيادة رغم الاختصاصات الواسعة التى منحت لها والتى كان من ضمنها وضع الخطط المشتركة لم تستطع أن تحقق أية انجازات على المستوى الواقعى ، ومن المفارقات التى تستلفت النظر ان هذه القيادة التى كان قائدها مصريا ومقر قيادتها بالقاهرة ، على الرغم من تمكنها من القيام ببعض النشاط والاتصالات مع القيادات العسكرية بدول المواجهة ، فانها كانت عاجزة عن تحقيق مثل ذلك النشاط مع القيادة العامة للقوات المسلحة ، وكان السبب فى ذلك يرجع الى أن جميع سلطات السيطرة والقيادة كانت فى يد المقدم شمس بدران مدير مكتب المشير عامر للشئون العامة ولم يكن يرحب بأية أنشطة أو توجيهات أو اتصالات تصدر من القيادة الموحدة الى القيادة المصرية الذى كان يتحكم فى أقدارها تحكما تاما رغم صغر رتبته نظرا للصلاحيات الضخمة التى كانت ممنوحة له من قبل المشير عامر ۰

وقد أثبتت حرب يونيو ٦٧ فشل هذه القيادة فشلا ذريعا لعدم تمتعها بأية سلطات أو صلاحيات حقيقية ، وعدم وجود أية أجهزة ضمن تنظيمها للقيادة والسيطرة مما جعلها اسما بغير مسمى وقيادة بدون قوات ، ونظرا لادراك دول المواجهة أن القيادة الموحدة لم تعد سوى جهاز شكلى،لذا بادرت مصر وسوريا بعقد اتفاقية دفاع مشترك ثنائية عام ٦٦ ، كان هدفها الوقوف ضد عمليات التوسع الاسرائيلى ، وهكذا أصبحت اسرائيل مهددة قبل نشوب حرب يوليو ٦٧ بالقتال على جبهتين فى وقت واحد ، وهما الجبهة المصرية والجبهة السورية بعد توقيع الدولتين ، على اتفاقية الدفاع المشترك ، كما أن الرئيس الراحل عبد الناصر لم يصدر أوامره الى المشير عامر بحشد القوات المصرية فى سيناء خلال شهر مايو ٦٧ ، الا لنجدة سوريا بعد المعلومات التى وردت له من مصادر سوفيتية من أن اسرائيل قد حشدت أحدعشر لواء مدرعا على الحدود السورية ۰ وقبل أن ينصرم شهر مايو أصبح احتمال قتال اسرائيل على ثلاث جبهات أمرا يكاد يكون محتما فلقد استقل الملك حسين طائرته فجأة من عمان الى القاهرة يوم ٣٠ مايو حيث أبرم مع عبد الناصر اتفاقية للدفاع المشترك على غرار الاتفاقية المصرية السورية ، وفى ٣ يونيو وقع العراق بدوره اتفاقية للدفاع المشترك مع مصر ، وبذا أصبحت أربع دول عربية مرتبطة بميثاق الدفاع المشترك ، وهى مصر وسوريا والأردن والعراق ، وتم الاتفاق مع الرئيس العراقى عبد الرحمن عارف على أن ترسل المساعدات العسكرية العراقية المكونة من مجموعات أربعة ألوية ميكانيكية الى الجبهة الشرقية في الأردن وليس الى

سوريا كما كان الاتفاق من قبل . وفى أول يونيو تولى اللواء عبد المنعم رياض مهام قيادته الجديدة فى عمان ، وأرسلت مصر الى الاردن كتيبتين من الصاعقة ، وأصبحت الجبهة الشرقية بالنسبه لاسرائيل كابوسا مزعجا بسبب النصاف حدود الضفة الغربيه بأشد المناطق حساسية فى اسرائيل وهى السهل الساحلى الذى هو أكبرها عمرانا وأكثرها سكانا ، وكذا بالقدس اليهوديه ، ولكن هذه الاتفاقيات العربية لم يكن لها للاسف قيمة كبيرة عندما نشبت الحرب فى ٥ يونيو واحتدمت المعارك ، فلقد عقدت اتفاقيتان منها (مصر مع الأردن ومصر مع العراق) فى الأيام القليلة السابقة على قيام الحرب مما لم يتح الفرصة للقيادات العربية لرسم استراتيجيه عربية مشتركة أو لرسم الخطط أو لتنظيم التعاون كما أضاع فرصة ثمينة لا تعوض لمهاجمة اسرائيل على ثلاث جبهات فى وقت واحد مع تدعيم الجبهة الاردنية الشرقية بالقوات العراقية .

وازاء الدائرة التى أخذت تضيق الخناق على اسرائيل خاصة مع اقتراب وصول القوات العراقية رسمت الاستراتيجية الاسرائيلية خطتها على أساس احراز المبادأة وتوجيه الضربة الاولى ضد مصر التى تقرر تركيز المجهود الرئيسى ضدها ، باعتبار أن الجيش المصرى كان أقوى الجيوش العربية المحيطة باسرائيل .

وكانت الخطة الاسرائيلية فى بادىء الأمر تهدف الى تثبيت الجبهتين الأردنية والسورية لحين الانتهاء من تصفية الوضع على الجبهة المصرية ، اذ أن جميع التشكيلات الاحتياطية كانت معدة للدفع بها الى سيناء لتحقيق انتصارا حاسما وسريعا . وفى ظل مفاجأة استراتيجية كاملة تمكنت الطائرات الاسرائيلية صباح يوم ٥ يونيو ٦٧ من تدمير معظم الطائرات المصريه ، وهى جاثمة على الأرض ومن تعطيل القواعد الجوية المصرية بعد تحطيم ممراتها عدا مطار العريش الذى ترك سليما ، حتى يمكن للقوات الجوية الاسرائيلية استخدامه بعد استيلاء قواته الأرضية عليه ، وكانت المشكلة التى واجهتها القيادة الاسرائيلية هى اشتراك الجيش الأردنى اشتراكا فعليا فى القتال منذ الساعات الأولى ، فلم يكن متوافرا لديها قوات كافية لتحشدها فى مواجهة الجبهة الأردنية الشرقية التى يبلغ طولها ٦٥٠ كيلو مترا ، والتى كانت تعد أطول الجبهات . لكن تطور الأحداث عقب الانهيار غير المتوقع للجبهة المصرية فى أثر ضربة الطيران أدى الى تمكين القيادة الاسرائيلية من توفير القوات المطلوبة ومن القيام بعملياتها بنجاح ، وانتهت المعارك الدامية على الجبهة الأردنية بسقوط القدس العربية ووقوع الضفة الغربية بأكملها فى يد اسرائيل . هذا ولم تقم سوريا بالتزاماتها بشن هجوم شامل على اسرائيل يوم ٥ يونيو وفقا للخطة المتفق

عليها بين الدول العربية الاربع ونظرا للتفوق الجوى الاسرائيلى الساحق اكتفت سوريا بالقيام ببعض هجمات ثانوية صغيرة عبر الحدود ، مع استمرار قصف المدفعية للمستعمرات الاسرائيلية القريبة من هضبه الجولان في وادى الأردن وسهل الجولة ، انتظارا لصدور قرار بوقف اطلاق النار ، ورغم اعلان سوريا صباح يوم الجمعة ١ يونيو قبولها لوقف اطلاق النار فان اسرائيل لم تكترث لهذا الاعلان ، فقد كانت خطتها معدة من قبل للاستيلاء على هضبة الجولان بعد أن تمكنت من اخراج مصر والاردن من الحرب ، وركزت مجهودها الرئيسى ضد الجبهة السورية ، وبعد معارك عنيفة مع القوات السورية يومى ٩ و ١٠ يونيو وصلت القوات الاسرائيلية الى أهدافها ، واخلى الجيش السورى هضبة الجولان ٠

تشكيل القيادة العامة

للقوات الاتحادية :

كانت وجهة نظر الرئيس الراحل عبد الناصر عقب هزيمة يونيو ٦٧ أن السبيل الوحيد لتحقيق النصر لا يكون بالاعتماد على دول المواجهة فحسب ٠ بل بضرورة حشد جميع القوات والامكانات العربية الضخمة من المحيط الى الخليج استعدادا لمعركة فاصلة مصيرية مع اسرائيل يستعيد بها العرب كرامتهم السليبة وأراضيهم المفقودة ، وقد انعكس هذا الاتجاه الذى كان يعتنقه عبد الناصر على مؤتمر القمة للملوك والرؤساء العرب الذى انعقد فى الخرطوم فى أواخر أغسطس ٦٧ ، فقد أصدر المؤتمر قرارات سياسية هامة من أجل الصمود العربى والاستعداد للحرب العربية الشاملة ضد اسرائيل ٠

شهد عام ٦٩ تغيرات جوهرية فى المنطقة العربية ، فقد قامت ثورة السودان فى ٢٥ مايو ٦٩ ، ثم قامت ثورة ليبيا فى أول سبتمبر ٦٩ بقيادة الرئيس معمر القذافى وبادرت الثورتان فور قيامهما باعلان تأييدهما لمصر وطالب معمر القذافى الولايات المتحدة حليفة اسرائيل بانهاء وجودها العسكرى فى قاعدة « هويلس » الجوية التى كانت تسيطر منها بطائراتها على أجواء الشرق الأوسط ٠ وفى أول سبتمبر ٦٩ تم أول اجتماع قمة مصغر بالقاهرة على مستوى دول المواجهة حضره الرئيس عبد الناصر عن مصر والملك حسين عن الأردن والرئيس لؤى الاتاسى عن سوريا ونائب الرئيس مهدى عماش عن العراق وكان الهدف من عقد المؤتمر هو تنظيم الجبهة الشرقية وتدعيمها ٠

ورغم الأمال العربية التى علقت على مؤتمر القمة للملوك والرؤساء العرب الذى انعقد فى الرباط بالمغرب فى ٢٠ ديسمبر ٦٩ ، فان خطة العمل

الموحدة التى عرضت على المؤتمر لم تتم الموافقة عليها وضاع وقت المؤتمر فى مناقشات عقيمة لا جدوى من ورائها انتهت بفشل المؤتمر ، فلقد انفض فجأة دون أن تصدر أى قرارات .

وعقب وفاة عبد الناصر فى ٢٨ سبتمبر ٧٠ ، وتولية السادات مقاليد الحكم فى مصر ، تم عقد اتفاق عسكرى فى ٢٦ نوفمبر ٧٠ بالقاهرة بين مصر وسوريا لتوحيد قيادة الجيش المصرى والسورى ، ووقع الاتفاق عن مصر الفريق أول محمد فوزى وزير الحربية ، وعن سوريا الفريق حافظ الأسد رئيس الوزراء ووزير الدفاع السورى وقتئذ ، وكان الهدف من هذا الاتفاق وفقا لما ورد فى نصوصه هو توحيد الجهود العسكرية للدولتين تحت قيادة واحدة من أجل تدمير قوات العدو الاسرائيلى ، وتحرير الأرض المغتصبة ، والوصول الى حدود ما قبل ٥ يونيو ٦٧ .

ولم يكن لهذا الاتفاق فى الواقع قيمة عملية تذكر ، اذ أنه على الرغم من الموافقة على أن يتولى وزير الحربيه المصرى القيادة العامة للقوات المسلحه للدولتين ، فان قيادته للجيش السورى وفقا لما ورد بالاتفاق كانت مشروطة بأن تتم من خلال وزير الدفاع السورى ، وفى أثر توقيع الاتفاق اتخذت القيادة مقرا لها فى مدينة نصر وأنشئت مجموعة للعمليات تولى رئاستها اللواء حسن البدرى فى بادىء الأمر وخلفه بعد فترة قليلة اللواء محمد عبد الغنى الجمسى ، وفى أول يونيو ٧٢ صدر القرار بتشكيل القيادة العامة للقوات المسلحة الاتحادية لقوات الدول الثلاث مصر وسوريا وليبيا وذلك تنفيذا لما ورد بالمادة ١٤ الفصل الأول الباب الثانى من دستور اتحاد الجمهوريات العربية الذى كان قد وقعه فى أول سبتمبر ٧١ الرؤساء الثلاثه أنور السادات وحافظ الأسد ومعمر القذافى ورغم أن هذه القيادة كانت من مسئولياتها وفقا لدستور الاتحاد أن تتولى قيادة وتنظيم الدفاع عن أنحاء الجمهوريات الثلاث ، فان ليبيا لم تشترك فيها بأية صورة من الصور ولم تسهم فى أى مظهر عملى أو نشاط ايجابى يختص بها ، ولم ترسل أى ضباط ليبيين الى القاهرة لتمثيل القيادة الليبية فى مقر القيادة الاتحادية مما جعلها فى واقع الأمر بمثابة قيادة اتحادية للجيش المصرى والسورى فحسب ، خاصة بعد أن اتخذت من نفس مقر القيادة الثنائية السابق بين مصر وسوريا فى مدينة نصر مقرا لها .

ونظرا لأن الفريق أحمد اسماعيل عين وزيرا للحربية وقائدا عاما للقوات المسلحة المصرية فى ٢٦ أكتوبر ١٩٧٢ عقب تنحية الفريق أول محمد صادق ، لذلك صدر قرار من مجلس اتحاد الجمهوريات العربية فى ١٠ يناير ١٩٧٣ بتعيينه قائدا عاما للقوات المسلحة الاتحادية ولما كان اللواء محمد عبد الغنى الجمسى قد تم تعيينه فى أواخر عام ١٩٧٢ رئيسا لهيئة

العمليات بالقيادة العامه المصرية ، لذلك صدر قرار بتعيين اللواء بهى الدين نوفل رئيسا لهيئة عمليات القيادة العامة الاتحادية ٠

كيف خططت القيادة الاتحاديــة لحرب أكتوبــر :

بمجرد صدور القرار بتعيين الفريق أحمد اسماعيل قائدا عاما للقوات الاتحادية بدأت القياده تمارس عملها فى التخطيط لعملية هجوميــه على الجبهتين المصرية والسورية فى توقيت واحد ، ووضع أسس التعاون الوثيق بينهما فى المراحــل المختلفــه للمعركة وأفضل السبل لاستخدام القوات المسلحة فى الدولتين فى عملية واحــده منسقة وربط الجبهتين المصريــة والسورية بوسائل وثيقة ومستمرة ، وتمت خلال شهر يونيو ٧٣ دراسة التوقيتات الملائمة للعمليه الهجوميه (بدر) المزمع تنفيذها بدراسه الظروف والعوامل الجوية المناسبة على جبهتى قناه السويس ومرتفعات الجولان ، وتم تحديد مراحل التحضير للعملية ودرجات الاستعداد المطلوبة للقوات ، وفى ٧ يونيو ٧٣ جرت فى أحد مراكز القيادة بالقاهرة عملية تنظيم التعاون للخطة الهجومية « بدر » بين القوات المصرية والسورية بمعرفة عــدد من القادة المصريين والسوريين ، حيث تم تحديد أهداف الخطة على الجبهتين ، وخصصت المهام التنفيــذية للجيش المصرى والسورى بما فيها عمليــات القوات الجوية والبحرية ، وكذا اسلوب السيطرة والتعــاون بين القوات خلال الحرب ، وخلال الاشهر القلائل السابقه على قيام حرب أكتوبر ٧٣ تمت زيارات عديدة متبادله لقادة التشكيلات المصرية والسورية ، للتعرف على طبيعة أرض العمليــات المنتظرة على جبهتى القنــاة والجولان ، وتمت دراسات على الطبيعة للوقوف على المشاكل والصعاب التى تعترض تنفيذ الخطة وابديت الاقتراحات والحلول للتغلب عليها ٠

وفى ١٢ أغسطس ٧٣ تم الاتفاق بين الرئيسين السادات والأسد على تشكيل مجلس أعلى للقوات المسلحة المصرية والسورية ، وورد ضمن الاتفاق طريقة تشكيل هذا المجلس ، وكانت واجباته تختص بدراسة المسائل العامة المتعلقــة بالقوات المسلحة للدولتين واعدادهــا للحرب واتخاذ الاجراءات اللازمة لتحقيق ذلك الغرض واعداد التوصيات الخاصة بشئون الدفاع ، وفى ٢٠ أغسطس ٧٣ أصدر القائد العام للقوات الاتحادية توجيهاته رقم ٤ بتشكيل المجلس الأعلى للقوات المسلحــة المصرية والسوريــة الذى أصبح يتكون بموجبها من وزيرى الدفاع ورئيسى الأركان وقادة القوات ورؤساء الهيئات والأفرع الرئيسية بقيادتى الجيشين المصرى والسورى ، وتقرر أن تعقد الجلسة الأولى للمجلس الأعلى فى الاسكندرية فى ٢١ أغسطس ٧٣ ٠

وفى الساعة السادسة مساء يوم ٣١ أغسطس اجتمع المجلس الاعلى فى مبنى قيادة القوات البحرية برأس التين بالاسكندريه ، وكان الوفد السورى قد قدم فى نفس اليوم ظهرا على باخرة ركاب سوفيتية أبحرت بأعضائه من ميناء اللاذقية السورى الى الاسكندرية ، وقد قدموا جميعا بملابسهم المدنية ولم تخطر وسائل الاعلام فى مصر أو فى سوريا بأية أنباء على حضور الوفد السورى الى مصر أو عن اجتماع المجلس الاعلى ، ونزل القادة السوريون فى نادى الضباط بالاسكندرية طوال فترة اقامتهم ، وكان الجانب السورى فى اجتماع المجلس الأعلى يتكون من اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور رئيس الاركان العامة واللواء حكمت الشهابى مدير المخابرات الحربية ، واللواء عبد الرازق الدردرى رئيس هيئة العمليات والعميد فضل حسين قائد القوات البحرية ، أما الجانب المصرى فقد كان يتكون من الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية والفريق سعد الشاذلى رئيس الاركان واللواء محمد على فهمى قائد قوات الدفاع الجوى واللواء حسنى مبارك قائد القوات الجوية واللواء بحرى فؤاد ذكرى قائد القوات البحريه واللواء محمد عبد الغنى الجمسى رئيس هيئة العمليات واللواء فؤاد نصار مدير المخابرات الحربية وتولى سكرتاريه المجلس اللواء بهى الدين نوفل رئيس هيئة عمليات القيادة الاتحادية ، وكان الهدف من اجتماع المجلس الاعلى للقوات المصرية السورية المشتركة هو الاتفاق على موعد الحرب ، ونظرا لأن قرار الحرب كان يعتبر قرارا سياسيا وليس قرارا عسكريا ، لذا كانت مسئولية المجلس الأعلى تنحصر فى ابلاغ القيادتين السياسيتين فى مصر وسوريا بان القوات المصرية والسورية على أهبة الاستعداد للحرب فى حدود الخطط المتفق عليها وأن يتولى المجلس اقتراح أفضل التواريخ المناسبة لبدء العمليات الحربية ٠

وبعد يومين من الاجتماعات المتصلة تم اتفاق المجلس على جميع التفاصيل كما تم لسكرتير المجلس اللواء بهى الدين نوفل اعداد الوثائق الرسمية لهذا الاجتماع التاريخى من صورتين ووقعها عن الجانب المصرى الفريق سعد الشاذلى وعن الجانب السورى اللواء يوسف شكور ، وكان قرار المجلس الأعلى يتلخص فى أن الجيشين المصرى والسورى على أتم استعداد للحرب وفقا للخطة الموضوعة ، وفيما يتعلق بموعد بدء العمليات اقترح المجلس توقيتين أحدهما خلال الفترة (من ٥ الى ١١ سبتمبر ٧٣) والثانى خلال الفترة (من ٥ الى ١١ أكتوبر ٧٣) ٠

كما تم اختيار أفضل الأيام داخل كل مجموعة من التوقيتات وترك تحديد موعد بدء الحرب للقيادة السياسية للدولتين ، بحيث تتيح للقيادة الاتحادية الفرصة لابلاغ القوات للاستعداد قبل موعد بدء العمليات بخمسة

عشر يوما ، وقد اتضح فيما بعد أن القيادة السياسية قد وافقت على التوقيت الثانى (من ٥ الى ١١ أكتوبر) وخلال اجتماع المجلس الاعلى برأس التين بالاسكندرية تم تنسيق الخطط المصرية السورية الخاصة بالسرية والأمن والخداع على المستوى الاستراتيجى والتعبوى والسياسى واعتبارا من يوم ٢٤ أغسطس ٧٣ عاد أفراد الوفد السورى الى بلادهم فرادى بوسائل مواصلات مختلفة امعانا فى السرية ٠

وفى ٦ سبتمبر صدرت توجيهات القائد العام للقوات المسلحة الاتحادية بأن تكون القوات المسلحة المصرية والسورية فى تمام الاستعداد لشن العملية الهجومية « بدر » فى ظرف خمسة أيام اعتبارا من أول ضوء يوم أول أكتوبر ٧٣،وقام اللواء بهى الدين نوفل رئيس هيئة عمليات القيادة الاتحادية بتسليم هذه التوجيهات باليد الى الفريق سعد الشاذلى رئيس الأركان المصرى يوم ٧ سبتمبر بالقاهرة ، كما سافر الى دمشق حيث سلمها باليد الى اللواء يوسف شكور رئيس الاركان السورى يوم ٨ سبتمبر ٠

وخلال شهر سبتمبر ٧٣ أرسلت مجموعة من الضباط المصريين من اعضاء القيادة الاتحادية بالقاهرة للعمل كضباط اتصال فى هيئة العمليات بالقيادة العامة السورية بدمشق ، ولكن لم تكن لديهم أية معلومات عن موعد بدء تنفيذ العملية « بدر » وكانت هيئة العمليات بالقيادة الاتحادية بالقاهرة تضم عددا من الضباط السوريين يعملون كضباط اتصال بها ٠

واعتبارا من ٢١ سبتمبر ٧٣ (قبل خمسة عشر يوما من التوقيت النهائى المقترح للحرب) بدأ العد التنازلى لحرب أكتوبر ، وكان على القيادة العامة فى كل من الدولتين أن تقوم بكثير من الاجراءات خلال الاسبوعين السابقين على قيام الحرب وكان قد سبق اعداد جدول زمنى محدد يشمل جميع الاجراءات الواجب اتخاذها وما ينبغى أن يتم كل يوم على وجه التحديد على طول امتداد فترة العد التنازلى وفى هذه الاثناء تم ربط مركز القيادة الاتحادية بالقاهرة ومركز القيادة بدمشق ومركز القيادة الرئيسى للقوات المسلحة المصرية (المركز رقم ١٠) بكابل بحرى ودوائر برقيه ولاسلكية وقد اتفق على أن ترسل الاشارات اللاسلكية المتبادلة بين القيادات بالشفرة مراعاة للسرية ٠

وكانت الحلقة الأخيرة من سلسلة الاجراءات الخداعية على الجبهة المصرية هى الاعلان المسبق عن قيام القوات المسلحة بمناورتها السنوية بالمشروع الاستراتيجى (تحرير ٤١) فى المدة ما بين أول أكتوبر حتى ٧ أكتوبر ٠ وتحت ستار هذا المشروع تم استدعاء الاحتياطى وفقا للتخطيط المسبق وتم انتقال القادة من مراكز القيادة العادية الى القيادة الميدانية ،

واستمرت عمليـة حشد القوات على طول الجبهـة ودفع عناصر المدفعيـة ومعدات العبور للأمام التى كانت مؤجلة حتى آخر وقت ممكن ، وكان من المستحيل بعد المضى فى عملية العد التنازلى ايقاف عجلة الحرب أو تأجيلها اذ أن الحرب كانت قد بدأت فعلا بالنسبة لبعض الوحدات ، فلقد أبحرت بعض الغواصات المصرية يوم أول أكتوبر لتتخذ أوضاع القتال على مدخل مضيق باب المندب لسد المدخل الجنوبى للبحر الأحمر فى وجه السفن الاسرائيليـة فى توقيت محـدد ، ولدواعى السرية والامن كان من واجب الغواصات المصرية الالتزام بصمت اللاسلكى طوال رحلتها ولم تكن هناك أية وسيلة أخرى للاتصال بهذه الغواصات لاصدار أية تعليمات اليها الا بعد بدء العمليات الفعلية • وكان التحديد النهائى لموعـد العملية الهجوميـة « بدر » ليكون السادس من أكتوبر وتحديد الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر ذلك اليوم لتكون ساعة الصفر ، قد تم يوم الاثنين أول أكتوبر ٧٣ بتعليمات سرية صدرت من القيادة العامة الاتحادية وسلمت فى نفس اليوم الى الفريق سعد الشاذلى رئيس هيئة أركان حرب القوات المسلحة المصرية بالقاهرة ، وفى يوم الأربعاء ٣ من أكتوبر سافر الفريق أول أحمد اسماعيل بصفته القائد العام للقيادة الاتحادية الى دمشق وبرفقته اللواء بهى الدين نوفل رئيس هيئة عمليات القيادة الاتحادية ، وتم اخطار القيادة السورية بيوم الهجوم وساعة الصفر فى اجتماع مشترك ضم من الجانب السورى اللواء مصطفى طلاس وزير الدفاع واللواء يوسف شكور رئيس الاركان العام ، واللواء عبد الرازق الدردرى رئيس هيئة العمليات السورى واللواء ناجى جميل قائد السلاح الجوى السورى • وقد حاولت القيادة السورية ، تأجيل موعد الهجوم لمدة يومين أو ٢٤ ساعة على الأقل ليتسنى للسلطات السورية لدواعى الأمن تفريغ مصفاة البترول بمدينة حلب ، كذلك كانت القيادة السورية تفضل أن تكون ساعة الصفر فى آخر ضوء يوم الهجوم للاستفادة من الظلام من جهـة ، وحتى لا تكون الشمس فى وجـه القوات السورية عند بدء الهجوم فى الساعة الثانية وخمس دقائق بعد الظهر كما كان واردا فى الخطة ، الا أن الفريق أول أحمد اسماعيل أوضح للقيادة السورية استحالة تأجيل موعد الهجوم ، اذ أن ذلك قد يؤدى الى ضياع عامل المفاجأة كما قد يؤدى الى حدوث ارتباك فى ترتيبات الهجوم المصرى الذى كان قد بدأ العد التنازلى له منذ ٣١ سبتمبر • وعلاوة على ذلك كانت القيادة المصرية قد أعدت العدة ليكون اليوم الأخير فى المشروع الاستراتيجى الذى سبق أن أعلنت أنه سيبدأ يوم أول أكتوبر لمدة أسبوع هو يوم الهجوم الفعلى • وأخيرا وبعد مناقشات متصلة تمكن الفريق أول أحمد اسماعيل من اقناع القـادة السوريين بالالتزام بيوم « ى » (السادس من أكتوبر)

وبساعة الصفر الثانية وخمس دقائق ، وبعد الاجتماع استقبل الرئيس السوري حافظ الأسد الفريق أحمد اسماعيل ، واعتمد له العملية الهجومية « بدر » وفقا للمواعيد التي تم تحديدها .

هل نجحت القيادة الاتحادية

في ادارة حرب أكتوبر ؟

كانت مفاجأة كبرى لاسرائيل ظهر يوم ٦ من أكتوبر أن تواجه حربا حقيقية شاملة بكل معنى الكلمة على جبهتين نائيتين عن بعضهما (جبهة الجولان في الشمال وجبهة سيناء في الجنوب) اللتين تفصلهما عن بعضهما مسافة لا تقل عن ٥٠٠ كم مما كان لابد أن يرغمها على توزيع قواتها وتشتيت جهودها ، ولا يتيح لها الفرصة لعملية نقل قواتها من جبهة الى أخرى بسهولة وسرعة كما جرى الحال في حرب يونيو ٦٧ ، وقد تم للقيادة الاتحادية عن طريق عملية تنظيم التعاون بين الميادنين المصرية والسورية تنسيق خطة هجوم مشتركة على الجبهتين بدأت فيها عملية الهجوم في توقيت واحد هو الساعة الثانية وخمس دقائق بعد ظهر السبت ٦ من أكتوبر . وقد تم اختيار هذا التوقيت الذي كان يسبق آخر ضوء بثلاث ساعات ونصف لحكمة مقصودة ، فهو يتيح للقوات السورية تنفيذ مهامها الأولى في ضوء النهار وهي اجتياز خندق صناعي واسع مضاد للدبابات حفره العدو على طول الجبهة ليكون حاجزا بينه وبين القوات السورية ، وكذا الاستيلاء على المواقع الأولى من سلسلة المواقع الدفاعية الاسرائيلية في مرتفعات الجولان ، وفي نفس الوقت يوفر للقوات المصرية فرصة عبور قناة السويس بالموجات الأولى في ضوء النهار ، وعمل الفتحات في الساتر الترابي ، وبمجرد هبوط الظلام يمكن اسقاط معدات العبور الثقيلة في مياه قناة السويس ، ويبدأ تركيبها في ضوء القمر وعند منتصف الليل يبدأ عبور الدبابات والأسلحة والمعدات الثقيلة عليها .

وكان هذا التوقيت يوفر كذلك للقوات الجوية العربية الوقت الكافي لتوجيه ضربة جوية مركزة من أكثر من مائتي طائرة مصريه ومائة طائرة سورية في ضوء النهار بحيث تجتاز كلها خطي المواجهة مع اسرائيل على الجبهتين في لحظة واحده ، وأن تتاح لها الفرصة لتكرارها مرة أخرى قبل آخر ضوء اذا تطلب الموقف ذلك ، في الوقت الذي لا يتاح فيه لسلاح العدو الجوي الفرصة الكافية في ضوء النهار للرد على ضربتي مصر وسوريا الجويتين . وبذا يضمن عدم تدخله تدخلا مؤثرا في أعمال القوات المصرية أثناء عبورها المانع المائي أو في أعمال القوات السورية أثناء عبورها المانع الصناعي .

وعلاوة على توحيد ضربة الطيران ، تم للقيادة الاتحادية توحيد توقيت التمهيد النيرانى للمدفعية ليتم تنفيذه خلال أربع قصفات مركزة بحوالى ٢٠٠٠ مدفع مصرى و١٠٠٠ مدفع سورى بكل ما فى الجبهتين من مدافع وهاونات من مختلف الأعيرة ، ومن الصواريخ التكتيكية أرض أرض ٠ لقد وضعت الخطط وتمت أعمال التحضير والتنسيق للعملية عن طريق السيطرة الكاملة للقائد العام للقوات الاتحادية ، وبالاشتراك مع هيئتى عمليات كلا البلدين ، فبدأت الحرب فى صورة رائعة ، فى توافق وتنسيق كاملين ، بحيث أثارت الذعر والارتباك فى صفوف القوات الاسرائيلية ، ولكن تلك البداية المشتركة المحكمة لم تلبث أن تلاشت بالتدريج بمجرد بدء العمليات الهجومية على الجبهتين ، فقد حدث انفصام تام بين الجيشين العربيين فى الشمال والجنوب وانفردت قيادة كل من الجيشين فى ادارة عملياتها وفقا للمواقف والأحداث التى أخذت تواجهها ، ولقد كان تحديد القيادة المصرية هدف مصر المباشر باقامة رؤس كبارى على الضفة الشرقية لقناة السويس فى عمق محدود من صحراء سينا لايتجاوز (١٠ ـ ١٢ كيلو مترا) ثم اطالة زمن الوقفة التعبوية بعد نجاح المهمة المباشرة اطالة لم يكن لها ما يبررها ، مما أدى الى تعطيل القوات عن تحقيق مهمتها النهائية ، وهى الوصول الى منطقة المضايق ، كان ذلك كله سببا فى استغلال القيادة الاسرائيلية الفرصة لتجنب القتال على جبهتين رئيسيتين فى وقت واحد ، فلقد رسمت خطتها على أساس اتخاذ وضع دفاعى أمام الجبهة المصرية فى الأيام الأولى من الحرب ، فى الوقت الذى قامت فيه بتركيز مجهودها الرئيسى على جبهة الجولان الذى كان يشمل معظم مجهود سلاحها الجوى ومعظم قواتها المدرعة الاحتياطية التى كانت تدفع بها فى سباق مع الزمن الى مرتفعات الجولان فى وحدات صغيرة دون اتمام تعبئتها فى تشكيلات كبيرة كما هو النظام المتبع فى تعبئة الاحتياطى ، كذلك تم ارسال عدد كبير من الدبابات سيرا على الجنازير دون انتظار وصول ناقلات الدبابات كوسيلة لمواجهة التهديد المباشر الذى كانت تتعرض له اسرائيل من ناحية الجبهة السورية فى الشمال بحكم اقتراب هذه الجبهة من المناطق الاسرائيلية ذات الكثافة السكانية ، وبفضل هذه الخطة نجحت اسرائيل فى صد الهجوم السورى على جبهة الجولان ، وارغام القوات السورية على التراجع الى الوراء فى اتجاه خط وقف اطلاق النار عام ٦٧ المعروف باسم الخط الأرجوانى ، وهو الخط الذى بدأت منه الفرق السورية هجومها يوم ٦ أكتوبر وأمكن لاسرائيل استعادة المبادأة على الجبهة السورية اعتبارا من يوم ١٠ أكتوبر ، وقررت القيادة الاسرائيلية مواصلة الضغط على القوات السورية ، ومحاولة التقدم فى اتجاه دمشق بهدف تدمير الجيش السورى واخراج سوريا نهائيا من الحرب ، حتى تتفرغ بعد ذلك بكل قواتها للجبهة المصرية فى

الجنوب ، ولكن عنف المقاومة السورية وبدء وصول طلائع فرقة مدرعة عراقية ولواء مدرع أردنى (دبابات باتون) واشتراكهما فى القتال الى جانب القوات السورية أدى الى ايقاف الهجوم المضاد الاسرائيلى وتنبيت الجبهة السورية تنبيتا نهائيا فى مساء ١٣ أكتوبر مما دعا القيادة الاسرائيلية الى أن تقرر نقل مجهودها الرئيسى من الشمال الى الجبهة المصرية فى الجنوب اعتبارا من اليوم التالى ١٤ أكتوبر واستطاعت القيادة الاسرائيلية بعد أن تمكنت قواتها فى سيناء من ايقاف عملية تطوير الهجوم التى بدأته القوات المصرية المدرعة والميكانيكية صباح ١٤ أكتوبر ، وبفضل بدء وصول امدادات الجسر الجوى الأمريكى الى اسرائيل ، من استعادة المبادأة على الجبهة المصرية اعتبارا من يوم ١٥ أكتوبر والقيام بعد ذلك مباشرة بعملية اختراق الدفاعات المصرية عند الدفرسوار ليلة ١٥/١٦ أكتوبر • وعمل راس كوبرى غرب قناة السويس •

وقد أتاح هذا الوضع الاستراتيجى للجبهتين المصرية والسورية الفرصة للقيادة الاسرائيلية لتحديد أولويات عملها وجنبها مواجهة أزمة خطيرة على كلا الجبهتين فى وقت واحد ، ويرجع السبب الرئيسى فى ذلك الى عدم وجود هيئة قيادة موحدة للجبهتين وقائد عام واحد يتمتع بسلطات اصدار أوامر العمليات وتعليمات التحرك للقوات على الجبهتين ، ولم يكن لوجود هيئة العمليات بالقيادة الاتحادية التى كانت مهمتها المفترضة هى التنسيق بين الجبهتين فى مرحلة القتال الفعلية أى جدوى ، فقد اقتصر عمل هذه الهيئة طوال مدة الحرب على مجرد القيام بالاتصالات بين الجبهتين عن طريق تبادل الاشارات والرسائل اللاسلكية والانهماك فى حل الشفرة وتبليغ المعلومات عن الوضع العسكرى فى الجبهة السورية الى قائد القيادة الاتحادية دون أن تعطى لهذه الهيئة أية فرصة أو امكانات حقيقية لاداء واجبها الصحيح ، وهو تنسيق العمليات وربط الخطط المشتركة بين الجبهتين ، لقد كان الأمر المفترض هو وجود هيئة قيادة موحدة تضم ادارة كاملة للعمليات وأخرى للمخابرات ، مما كان يكفل استغلال الأزمة الحادة والارتباك الشديد اللذين واجهتهما القيادة الاسرائيلية خلال الأيام الأولى من المعركة عندما تلقت صدمة الحرب العنيفة على كلا الجبهتين فى وقت واحد ، ولو كانت هذه الهيئة القيادية موجودة بالفعل لاستغلت فرصة تركيز اسرائيل لمجهودها الرئيسى فى الفترة الأولى من الحرب أمام الجبهة السورية للقيام بعملية تطوير ناجحة للهجوم المصرى فى الجنوب فى اتجاه المضايق دون اجراء الوقفة التعبوية الطويلة التى لم يكن لها ما يبررها والتى أضاعت على القوات المصرية فرصة ثمينة لا يمكن تعويضها للوصول الى خط الدفاع الطبيعى عن القناة وهو منطقة المضايق ولو كان ذلك قديم لما أمكن للقوات الاسرائيلية القيام بعملية الاختراق التي جرت في الدفاعات المصرية

شرق القناة عند الدفرسوار ، والتى انتهت بنجاحها فى الوصول الى الضفة الغربية لقناة السويس ٠

لقد تمكنت اسرائيل من التخلص من الموقف العصيب الذى واجهته فى بداية الحرب بتركيز اهتمامها بكل جبهة على حده واعتبارها بمثابة جبهتين منفصلتين وقد كشف موشى ديان وزير الدفاع الاسرائيلى الستار عن وجهة النظر الاسرائيلية هذه بقوله : « أن قواتنا تتخذ أوضاع الدفاع فى جبهة القناة وتقيم الخطوط الدفاعية لوقف تقدم المصريين لحين تحول الوضع لصالح اسرائيل فى الشمال خلال الأيام القليلة القادمة » ٠

لقد اتفقت مصر وسوريا منذ البداية على أن تتولى قيادة العمليات الحربية قيادتان عامتان منفصلتان ، احداهما مصرية على جبهة سيناء والأخرى سورية على جبهة الجولان ، وهكذا انحصرت مهام القيادة الاتحادية فى ثلاث مسائل رئيسية : أولا : وضع الاستراتيجية العامة للحرب ، وثانيا : القيام بأعمال الخداع على المستوى الاستراتيجى والتعبوى والسياسى ، وأخيرا : القيام بأعمال تنظيم التعاون والتنسيق بين الجيشين المصرى والسورى ، وعندما بدأت الحرب واحتدمت المعارك ظهر بوضوح العيب الخطير الذى كان منتظرا ، وهو الحاجة الى سلطة مركزية تتولى ادارة العمليات الحربية وتصدر الأوامر الى الجيشين المصرى والسورى على السواء ٠

موقف الأردن والعراق

من قرار الحرب :

فى منتصف سبتمبر ٧٠ وقعت اشتباكات عنيفة بين الجيش الأردنى وقوات المقاومة الفلسطينية فى عمان ، مما أدى الى تشكيل حكومة عسكرية فى الأردن وازاء تفاقم الموقف فى الأردن دعا الرئيس الراحل عبد الناصر الملوك والرؤساء الى اجتماع قمة طارىء انعقد فى فندق الهيلتون بالقاهرة يوم ٢١ سبتمبر ، وخلال انعقاد المؤتمر سافر وفد يمثل مؤتمر القمة برئاسة الرئيس السودانى جعفر نميرى مرتين متتاليتين الى عمان لمحاولة ايقاف اطلاق النار بين الجيش الأردنى وقوات المقاومة الفلسطينية٠ورغم الجهود التى بذلها الوفد فى المرتين لتحقيق الاتفاق على وقف اطلاق النار ، فان القتال كان يستأنف بشدة وعنف فى كل مرة بعد اعلان الاتفاق ، وعاد وفد مؤتمر القمة الى القاهرة فى المرة الثانية يوم ٢٥ سبتمبر بعد أن نجح فى احضار ياسر عرفات زعيم منظمة فتح سرا على نفس الطائرة التى حملت الوفد الى القاهرة ، وفى ٢٦ سبتمبر حضر الملك حسين فجأة الى القاهرة حيث انضم الى اجتماعات مؤتمر القمة ، وفى مساء يوم ٢٧ سبتمبر أعلن فى القاهرة عن التوصل الى اتفاق شامل بين الحكومة الأردنية والمقاومة الفلسطينية

وفى ٢٨ سبتمبر انتهى انعقـاد المؤتمر وبدأ الملوك والرؤساء فى مغـادرة القاهرة عائدين الى بلادهم وفى مساء نفس اليوم كان عبد الناصر فى رحاب الله ٠

وكانت الأزمة التى وقعت بين الأردن وسوريا نتيجة لمحاولة قوة من الدبابات السورية اجتياز حدود الأردن خلال احتدام المعارك بين الجيش الأردنى والمقاومة الفلسطينية فى سبتمبر ٧٠ سببا فى تقديم الأردن شكواه ضد سوريا الى جامعة الدول العربية بالقاهرة ، ثم الى قطـع العلاقات الدبلوماسية فى نهاية الأمر بين الدولتين ، وكانت العلاقات المصرية والأردنية قد بدأت تسوء منذ أحداث سبتمبر الدامية فى عمان ، وازدادت العلاقات سوءا فى أعقاب حادث اغتيال وصفى التل رئيس وزراء الأردن على مدخل فندق شيراتون بالقاهرة على أيدى جماعة من الفلسطينيين ، وبلغت الأزمة ذروتها عقب اعلان الملك حسين فى مارس ٧٢ مشروعه ، الذى كان يستهدف قيام دولة أردنية اتحادية تشمل الأردن والضفة الغربية الفلسطينية بعد أن يتم جلاء القوات الاسرائيلية عنها وقوبل المشروع من بعض الدول العربية والمقاومة الفلسطينية بمعارضة شديدة على اعتبار أنها محاولة غير مباشرة لتحقيق اتفاق مع اسرائيل ـ وفى خطاب ألقاه الرئيس الراحل السادات فى الدورة الطارئة للمجلس الوطنى الفلسطينى الذى انعقد بمقر الجامعة العربية بالقاهرة فى ٦ ابريل ٧٢ أعلن الرئيس المصرى قطع علاقة مصر الدبلوماسية بالأردن حتى يتم تحديـد الوسائـل والخطط التى يجب أن نتحرك الأمة العربية من خلالها ، وأعلن السادات أن مصر لا تسمح لأحد بالتفريط فى حقوق الشعب الفلسطينى ٠

وفى منتصف عام ٧٣ بذل الملك السعودى فيصل مساعيه الحميدة لازالة الخلافات السياسية بين مصر وسوريا وبين الأردن ، اذ كان يتطلع الى احياء الجبهة الشرقية مع اسرائيل التى كانت تعد دائما أخطر الجبهات بالنسبة اليها نظرا لامتدادها وقربها من المراكز ذات الكثافة السكانية، وقد وجدت مساعيه الحميدة استجابة من جميع الأطراف المعنية ٠ فان سوريا كانت شديـدة الاهتمام بتأمين جناحهـا الجنوبى ، من خطـر التطـويق الاسرائيلى عندما تبدأ قواتها فى عملياتها الهجومية على مرتفعات الجولان ، وكان الحشد الأردنى على الحدود الاسرائيلية الشمالية كفيلا بتحقيق ذلك الغرض ، كما ان الملك حسين الذى كان يشعر وقتئذ بانعزال الأردن عن العالم العربى رحب بمساعى الملك فيصـل لعودة الصفاء مرة أخـرى الى العلاقات بينه وبين سوريا ومصر ٠ وعلى الرغم من المعارضة العنيفة التى واجهتها عملية التقارب المصرى السورى مع الأردن من ناحية ليبيا والعراق والمقاومة الفلسطينية ، فإن المساعي التي بذلت لم تلبث أن كللت بالنجاح،

اذ تمت زيارة الملك حسين للقاهرة فى ١٠ سبتمبر ٧٣ وانعقد مؤتمر ثلاثى بالقاهرة حضره الرؤساء الثلاثة السادات والأسد وحسين وكان الهدف منه بحث الموقف على خط المواجهة مع اسرائيل ووسائل تنشيط الجبهة الشرقية . وفى يوم ١٢ سبتمبر انتهى المؤتمر بعد أن نجح الرؤساء الثلاثة فى حل معظم الخلافات ، وصدر فى اليوم التالى بيان فى كل من القاهرة ودمشق أعلن فيه عن عودة العلاقات الدبلوماسية مع الأردن ، وعلى الرغم من أن الملك حسين لم يبلغ بصراحة أثناء محادثاته فى القاهرة عن خطة الحرب القادمة أو موعد نشوبها فانه علم من الرئيسين السادات والأسد أن ثمة تخطيطا مشتركا بين مصر وسوريا من أجل الحرب القادمة قد بدىء فى اعداده وتجهيزه ، وأن المطلوب من الأردن فى حالة اندلاع القتال هو تأمين الجناح السورى الجنوبى ومنع القوات الاسرائيلية من عبور نهر الأردن لمحاولة تطويق الجيش السورى عبر الحدود الأردنية . ولم يكن الأردن فى ذلك الوقت فى وضع عسكرى يتيح له فرصة الاشتراك فى الحرب الى جانب سوريا ومصر ، فلم يكن قد تم امداده بعد هزيمة يونيو ٦٧ بالأسلحة والمعدات التى تعوض ما فقده فى تلك الحرب ، مثل تلك التى تلقتها مصر وسوريا من الاتحاد السوفيتى ، ولم تكن لديه شبكة متطورة من الصواريخ أرض جو لحماية قواته البرية ومنشآته الحيوية ، ولذلك اكتفت مصر وسوريا بالوعد الذى قطعه الملك حسين على نفسه ، وهو القيام بحشد قواته على حدود اسرائيل بمجرد نشوب الحرب لتأمين جناح الجيش السورى من ناحية الجنوب ، وفى أثر الاتفاق الذى تم فى مؤتمر القمة بالقاهرة بين الرؤساء الثلاثة أصدرت القيادة السورية فى منتصف سبتمبر أوامرها لفرقة المشاة الميكانيكية التى كانت ترابط فى منطقة الحدود الأردنية عند درعا بالتحرك شمالا والانضمام الى قوات الجبهة أمام مرتفعات الجولان .

وفى أعقاب الزيارة التى قام بها الفريق أول أحمد اسماعيل وزير الحربية المصرى الى دمشق يوم ٣ أكتوبر ٧٣ للتصديق من الرئيس السورى حافظ الأسد على الخطة الهجومية « بدر » وقبل أن يعود الوزير المصرى الى القاهرة بالطائرة طلب من اللواء بهى الدين نوفل رئيس هيئة عمليات القيادة الاتحادية الذى كان برفقته ، التوجه برا الى عمان لمقابلة الفريق زيد بن شاكر رئيس الأركان العامة الأردنى ليطلب منه تنفيذ الاتفاق الذى وعد به الملك حسين لتأمين جناح الجيش السورى ، وفى يوم ٤ أكتوبر تم اللقاء فى رئاسة الأركان الأردنية بعمان . ووعد الفريق زيد بن شاكر بتنفيذ المهام المطلوبة من الجيش الأردنى ، وتم وضع أسلوب الاتصال اللاسلكى بين القيادة الاتحادية بالقاهرة ورئاسة الأركان الأردنية بعمان .

أما بالنسبة للعراق وعلى عكس ما جرى عليه الحال خلال حربى ٤٨ ، ٦٧ كان اعتقاد القيادتين المصرية والسورية أن ظروف العراق لن تسمح له بالمشاركة الفعلية فى القتال ، لأن وجود التهديد الايرانى الخطير على حدوده الشرقية فى الوقت الذى لاتنقطع فيه ثورات الأكراد فى الشمال ضد الحكومة العراقية ، كل ذلك كان كفيلا بمنع تحريك العراق لقواته الى الجبهة السورية ، وعلاوة على ذلك كان اعتقاد القيادة السورية أن المهمة الاستراتيجية المخصصة للجيش السورى ، وهى شن الهجوم على مرتفعات الجولان وتدمير القوات الاسرائيلية المرابطة فيها والوصول الى الخط نهر الأردن ـ الشاطىء الشرقى لبحيرة طبرية ، لم يكن تنفيذها يحتاج الا لجهود القوات السورية وحدها والا لوقت زمنى قصير لاتمامها ، وانه فى حالة دفع العراق لقواته ، فليس من المتوقع وصولها نظرا للمسافة الشاسعة التى سوف تقطعها الا بعد أن تكون القوات السورية قد أتمت مهمتها بنجاح أو بعد أن يكون مجلس الأمن قد أصدر قراره بوقف اطلاق النار ، مما يجعل تقديم أية مساهمة عراقية فعالة من أجل احراز النصر أمرا بعيد الاحتمال .

وكانت سوريا بسبب الخلاف العقائدى بين حزبى البعث فى سوريا والعراق تهدف لأسباب حزبية الى عدم اشراك العراق فى الحرب ومشاركته لها فى اجتناء ثمار النصر كوسيلة لاضعاف موقف حزب البعث الحاكم فى العراق وتعريضه لانتقادات الجماهير العربية .

وفى يوم ٦ أكتوبر وبعد اندلاع القتال بعدة ساعات وعلى الرغم من أن مصر وسوريا لم تخطرا العراق بأية معلومات مسبقة عن الحرب بادر الرئيس العراقى أحمد حسن البكر بالاتصال بالرئيس السادات والأسد هاتفيا وأعلمهما أن العراق قرر اشتراك أربعة أسراب جوية فى المعركة على الفور الى جانب سوريا (كانت ثلاثة أسراب منها من طراز ميج ٢١ والسرب الرابع من طراز ميج ١٧) وذكر الرئيس العراقى أن القيادة الجوية العراقية مستعدة لتلبية كل مطالب سرب الهوكرهنتر الموجود بمصر منذ ابريل والذى سبق الاتفاق على أن يتلقى أوامره من قيادة القوات الجوية المصرية .

وفى ٧ أكتوبر صدر بيان من مجلس قيادة الثورة العراقى أعلن فيه قراره باعادة العلاقات الدبلوماسية مع ايران تعبيرا عن حسن نواياه وعن الرغبة فى التوصل الى حل سريع للمشاكل القائمة بين البلدين ، ودعا البيان الحكومة الايرانية الى التفاوض حول المشاكل القائمة بين العراق وايران بما يضمن مصالح وحقوق وسيادة البلدين الاسلاميين الجارين ، كما أعلن عن استعداد الحكومة العراقية لارسال وفد يمثلها لهذا الغرض الى طهران واستعدادها لاستقبال وفد ايرانى فى بغداد ، وكانت الغاية من

هذه المبادرة العراقية تخفيف حدة التوتر على الحدود الشرقية بهدف نقل الجانب الأكبر من القوات المحتشدة أمامها الى سوريا على الفور ، وفى مساء يوم ٧ أكتوبر أبلغ السفير العراقى بدمشق الرئيس حافظ الأسد بقـرار القيادة السياسية العراقية بمشاركة العراق بكل ثقله فى المعركة · وفى يوم ٨ أكتوبر قابل السفير العراقى بدمشق وزير الخارجية السورى بناء على طلبه ، وأكد له الوزير أهمية وصول التشكيلات العراقية بأسرع وقت ممكن ، وأبدى رجـاء سوريا بألا تقل القوة العراقية المتحركة عن فرقتين مدرعتين كاملتين (كان الوضع العسكرى السورى قد أخذ يتحرج على جبهة الجولان منذ ذلك اليوم) وكانت القيادة العراقية بالفعل قد أصدرت أمرا انذاريا منـذ مساء ٦ أكتوبر الى الفرقتين المـدرعتين الثالـثة والسادسة بالاستعداد للتحرك الى سوريا ، ومنذ صباح يوم ١١ أكتوبر ، بدأت طلائع القوات العراقيـة فى الوصول الى الجبهة السوريـة وفى يوم ٢٤ أكتوبر اكتمل وصول جميع القوات العراقية الى سوريا ، أى تجمعها قد استغرق اسبوعين كاملين ولو كانت الوحدة العربيـة حقيقة واقعة وليس مجـرد شعارات زائفة ، ولو كان قد أمكن حشد القوات العراقية الى جانب القوات السورية قبل بدء الهجوم فى ٦ اكتوبر لكان وجه التاريخ قد تغير ، ولكان فى مقدرة القوات السورية والعراقية اكتساح المواقع الدفاعية الاسرائيلية فى مرتفعـات الجولان والوصـول بسهولة تامة الى الخط نهـر الأردن ـ الشاطىء الشرقى لبحيرة طبريـة ، واتمام تحرير الأراضى السوريـة التى احتلتها اسرائيل فى حرب يونيو ١٩٦٧ ·

المناقشة والتعقيبات :

وفتح باب المناقشة بتعليق الدكتور **محمد عبد الرحمن برج** :

ـ بسم الله الرحمن الرحيم « هناك وثيقة بالنسبة للأستاذ حمروش وقوله بأن الاحساس العربى كان موجودا و ، و ، و ٠٠٠ الخ ٠٠٠٠ فى الحقيقة هو كان موجود ولكن أرضيته ضيقة جدا يعنى شوفى اللى حضرتك استشهدت به كان نفسه لما بيقبله من باريس كان ان الرجل شـاعر العروبة والى آخره ولكن كانت ملاحظاته على الجزائر نؤلمنا وما قبل الجرائر هذه ممسوخة و ، و ٠٠٠ الخ ٠٠٠٠

فأنا تصورى الحقيقة ان ما قدمته ثورة يوليو للعالم العربى هو ملحمة النضال اتفاق النضال ليس من باب المصادفة ان اتفاقية الجلاء فى أكتوبر ١٩٥٤ فى نوفمبر ١٩٥٤ تبدأ ثورة الفاتح ١ نوفمبر ١٩٥٤ بمعنى أن مصر تتخلص من الحركة الوطنية بتعتها لتلتحم نضاليا مع الأمة العربية ، مواقف عبد الناصر الحقيقية شخصية الزعيم استقطبت كتيرا جدا طبعا من ثوار العالم العربى كان لها تأثير وكان لها تأثير كبير جدا بشخصية الزعامـة ودورها على المسرح العربى ٠

بالنسبة لسيادة اللواء جمال حماد الحقيقية كيف نتوقع وجود قيادة عسكرية موحدة مع اختلاف فى العقيدة العسكرية ، ليست هناك عقيدة عسكرية واحدة خاصة فى سوريا ومصر ، العقيدة العسكرية مختلفة تماما والجيوش صورة من القيادة السياسية وهى تتحرك بأمرها ٠٠٠ الخ ٠

هؤلاء القادة العسكريون كانوا أنا أذكر طبعا وأنا لى أصدقاء كثيرين كانوا قادة فى الجيش السورى كان بيستغرب لما يمسك وزير بيوهان كونه يطلع من الجيش لكى يعـين أو عشان يبقى وزير أنتم عنـدكم تفرحـون لما الواحد يصبح وزير فعدم وجود عقيدة عسكرية واحدة لا يمكن أبدا أن يكون هناك قيادة عسكرية موحدة مع اختلاف الأنظمة السياسية القائمة ٠

وقد عقب أحمد حمروش على كلام د • برج بقوله : فى اعتقادى أن كلام د • برج فيه تأييد لكلامى وهو أن القوميه العربية واقع موجود قبل الثورة كان فيه له ارهاصاته وله دوره ونضامنه يعنى هى لم تنشىء القوميه العربية وانما عززتها ثورة ٢٣ يوليو وأخذت الموقف النضالى المجمع للأمة العربية وأنا حريص دائما على أن أظهر أن التاريخ لا يقطع الى مراحل أبدا ، القومية العربية موجودة وواقع حى لم يعبر عنه التعبير الصحيح نتيجة وجود الاستعمار ولكن نضال ثورة يوليو ضد الاستعمار كان مقترنا أيضا بنضالها من أجل الارتباط بالأمة العربية دفاعا عن أمنها القومى وشكرا •

– ثم شكر الدكتور عبد العظيم الأستاذ أحمد حمروش على اعتبار أنه رئيس الجلسة وطلب من الأستاذ جمال حماد أن يتفضل بما يرغب من تعليق فكان تعقيب الأستاذ **جمال حماد** كالتالى :

الدكتور محمد عبد الرحمن برج يشكر على الملاحظة التى قالها وهذا يدل على أنه كان يقظ جدا فى المحاضرة ولكن عايز أقول لسيادتك ان العقيدة العسكرية لا دخل لها فى حكاية الانقلابات التى كانت تعمل فى سوريا ، والعقيدة معناها ايه ؟ العقيدة يعنى كل جيش له عقيدة يعنى الأوبجكت بتاع وجوده ومن العدو بتاعه فلا شك أن العقيدة واحدة فى جميع الجيوش العربية لأن الخطر بتاعنا هو اسرائيل هذه هى عقيدتنا وهذه العقيدة المفروض أننا نعمل قيادة عسكرية نحن نرغب فى اصلاح الأوضاع هذه القيادة العسكرية المفروض لكى نمشى القيادة صح نحن نوحد التسليح فى كل الجيوش العربية يعنى مثلا حلف الأطلنطى كله ماشى على نفس الطراز بالطائرات نفس الطراز بالدبابات لكن يقدروا أو يستطيعوا الامداد بالذخيرة وقطع الغيار والحاجات هذه الحاجات كلها ، حلف وارسو كله ماشى على الأسلحة الشرقية نحن للأسف تشكيلة كبيرة جدا عندنا ناس بيأخذوا أسلحة من أمريكا ناس بيأخذو أسلحة من بريطانيا ناس بيأخذو أسلحة من السوفييت ، هذا كله يعرقل عمل الجيوش أثناء القتال لأن لابد من أن يكون فيه توحيد ليس فقط توحيد فى القيادة ولكن توحيد فى التسليح ، توحيد فى التنظيم توحيد فى كل شىء •

وبعدين أنا أختلف مع الدكتور رغم اعجابى الشديد به انه قال ان أمل الضابط أن يظل فى الجيش ولا يبقى وزيرا فأنا على ضوء ما كنت فى سوريا وظللت هناك ٥ سنين هناك فهى شغلته أن يأخذ الدبابة لكن عشان يبقى وزير وليس عشان لا يبقى وزير يعنى هو يذهب ليعمل انقلاب لكى

يصبح وزير فحكاية أنه يصبح هذا أو يحكم مهم جدا وبعدين هم ضاقوا بالوحدة مع مصر ليه لأنهم طبعا لما توحدوا مع مصر انتهت عملية الانقلابات العسكرية لأنه طبعا انت عارف اللى كان بيصحى بدرى شوية بياخد الدبابات ويذهب ليستولى على الحكم فعندما أصبحت هناك وحدة مع مصر لم يعد فيه انقلابا عسكريا ولذلك آخر ما غلبوا عملوا انقلاب ضد الوحدة ورجعوا مرة أخرى الى هذه العملية ٠

– وشكره الدكتور عبد العظيم رمضان رئيس الجلسة وقدم السفير **بهى الدين رشيدى** لالقاء سؤاله أو تعليقه والذى كان كالتالى :

أنا ليس عندى سؤال أناعندى تعقيبات وهذه التعقيبات كلها فى صالح أو تأييد للمتحدثين ، وقد تكون متفقة مع الرأى الغالب وقد يكون لبعض الحاضرين كما يبدو آراء متعارضة ولكن أنا أؤيد المتحدثين الثلاثة وأبدأ بالأستاذ حمروش والدكتور الفقى فى نقطة واحدة وهى أن ثورة يوليو ١٩٥٢ ليست من فراغ وباعتبارى أحد جيل الأربعينات الذى عاشر الثورة وما قبلها فأنا أشكر للأستاذ حمروش جدا انه يبين ويوضح هذا البعد ، ان ثورة ٥٢ لم تأت من فراغ وانها كانت تكمله لبنيان موجود ٠

والواقع خصوصا أن يوجد اعتقاد بين الحاضرين من هم من أحزاب أخرى مثل حزب الوفد أو غيره ففعلا لا يوجد ما يدعوا للتعارض بين حزب الوفد وثورة ٢٣ يوليو اذا كان التفكير علمى وموضوعى وان حزب الوفد بدأ سنة١٩١٩أو قبل ذلك يعنى بمرحلة وكان المطلب المعروف هو الاستقلال والدستور وتحقق على هذا الطريق بعض الخطوات من أجل الاستقلال والدستور ولكن فى خلال حقبة من الزمان تتغير المفاهيم وتتغير المتطلبات ويبدو بعض المفكرين بدون الدخول فى التفاصيل يتحدثون عن أشياء أخرى تسمى العدالة الاجتماعية والاصلاح الزراعى ، والاصلاح الزراعى سبق ان تحدث عنه بعض النواب من خلال البرلمان قبل الثورة ولما أتت الثورة لتكمل هذا المشوار وأنا شخصيا فى تلك الفترة كنت معاصر هذه التيارات وكنت فى الجامعة وكانت الجامعة تعتبر هى المنبر ساعتها ، هى المنبر لجميع الحركة القومية وطبعا الدكتور عبد العظيم رمضان هو من نفس الجيل أو من جيل أكبر منى وهو أعلم منى فكانت الجامعة وقتها يسيطر عليها التيار الوطنى ، كان هذا التيار فى أيدى الوفد ولكن من الضرورى أن ندرك أن فى ذلك الوقت برز تيار من داخل الوفد نفسه هو تيار مختلف عن القيادة التقليدية للوفد التى كان يمثلها مصطفى النحاس وهو كان زعيم وطنى ولكن الى جانب مصطفى النحاس كان فيه يوجد زعامات أخرى ظهر منهم فؤاد سراج الدين وبدأ تيار آخر ينبثق من الوفد هو تيار الطليعة الوفدية

والى جانب الوفد كان فيه الحزب الوطنى أيضا كان فيه تيار خرج من الحزب الوطنى منه المرحوم فتحى رضوان ونور الدين طراف الذى دخل فيما بعد فى جهاز السلطة الحاكمة ، هناك تيار دينى مستنير خـرج من الاخوان ٠

أنا أرغب فى القول أن الحركة الوطنية بدأت قبل ثورة ٢٣ يوليو وكان من الضرورى أن نشمل جميع الفئات الوطنية وكان من الطبيعى أن تحظى بمؤازرة كافة هذه التيارات ٠

أما بالنسبة للدكتور الفقى فقد أثار النقطة الخاصة بالاصلاح الزراعى وأنا أعتقد أن هذه هى كانت مسار الحلاف على بعض الطوائف الوطنيه التى كانت موجودة قبل الثورة لا تقبل الاصلاح الزراعى لاسباب واضحة لأن الاصـلاح الزراعى هو مشروع ليس اجتماعى فقط ولكن مشروع سياسى يقضى على مصالح وامتيازات الطبقة الحاكمة التى كانوا يطلقون عليها كلمة النصف فى المائة فهذا هو ما أتفق فيه مع الأستاذ حمروش والدكتور الفقى٠

هناك نقطة أخرى الدكتور الفقى أثارها وهى خاصة بالنزعات غير القومية وغير العربية وهى مازالت موجودة ولازالت قوية ، يوجد نزعات تحض على المصرية الضيقة وهذه مستبعدة فى هذا الزمن الذى يدعو الى التوحد والى الاتحاد على النطاق العالمى ٠

فيه نزعة افريقية ، نزعه اسلامية جميع هذه النزعات لا تغنى عن أن النظرة القومية يعنى أن هذه تكون لها توجهات افريقية وتوجهات اسلامية وتوجهات عالمية أيضا ولكن أنا أعتقد وأؤيد الدكتور الفقى والأستاذ حمروش فى أن هو المنطلق وهو منطلق قومى عربى فى أن يكون منطلق قومى عربى ٠

النقطة الأخيرة خاصة بالسيد اللواء جمال حماد وهى أن أركز على أهمية الاتجاه المصرى وأنا أؤيد بشدة كل ما تحدث به ولكن أركز على أهمية الالتقاء المصرى السورى باعتباره الركن الأساس فى أى تحرك قومى عربى ٠

وأنا كان لى الشرف فى أننى أدعو الى هذه الكلمة منذ كنت سفيرا عاملا بالخارجية من ١٩٨٥ ، وكان الأستاذ حمروش وغيره يشهدون على ذلك فى الندوة التى أقيمت فى الهيلتون ١٩٨٥ عندما تحدثت عن أهمية الوحدة والوفاق ، انه لا وحدة ولا وفاق بدون التقاء مصرى وسورى والحمد لله أن تم هذا الالتقاء الذى دشن اليوم بترشيح سفير مصرى لسوريا لأن هذا هو

أكبر قوة تعطى للعرب ، هو الالتقاء المصرى السورى • وهذا لا يمنع من أن تكون مصر على وفاق وعلى تقارب وعلى النقاء وعلى جميع الطموحات فى تعاونها مع جميع القوى العربية كالعراق والسودان وليبيا والسعودية وكالمغرب بأكمله • هذا لا يمنع من أن نقطة البداية تكون هى مصر وسوريا وشكرا •

- استفسارات من **الدكتور اسماعيل زين الدين :**

السؤال موجه الى الاستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان ، وهو ان أى رأسمالية وطنية ، كان مطلبها الاصلاح الزراعى قبل الثورة وهم ، الرأسماليين كانوا من كبار الملاك فكيف لهم مطلب الاصلاح الزراعى ؟

هذا سؤال موجودا وأعتقد أن مشروع محمد خطاب تم فى وقته ١٩٤٧ فى البرلمان •

سؤال آخر موجه الى الأستاذ أحمد حمروش وهو : بخصوص عدم الربط بين التوجهات السياسية والتوجهات الاقتصادية لثورة يوليو ، لو كان هناك علاقات اقتصادية ، لم تكن قد فشلت التوجهات السياسية للثورة • هذا شىء ، الشىء الثانى عملية اليمن ، الموقع الجغرافى كان له أهميته وهذا واضح فى مشروع محمد على الخارجى لما انجلترا سنة ١٨٣٩ احتلت عدن هذا كان أهمية استراتيجية للموقع •

لم يكن هذا بعد عربى فقط بل كان بعد تأمينى للمنطقة ، كذلك بالنسبة لموضوع محمد محمود فى خطب العرش ، محمد محمود كان يؤيد القضية الفلسطينية • وهذا واضح •

كذلك محمد حسين هيكل ونفس الحكاية محمود فهمى النقراشى ، فكيف كانت أحزاب الاقلية كما ذكرت ؟

استفسار ثالث للأستاذ جمال حماد : أما بالنسبة للأستاذ جمال حماد موضوع القيادة العربية هذه قيادة فوقية ولكن القيادة التحتية التى تتكون من الضباط الصغار أو الجنس لا يعلمون أى شىء ، ما هى القيادة العربية كالتى نراها فى حلف وارسو أو فى حلف الأطلنطى تدريبات مشتركة ، مشروعات مشتركة ومسائل مثل هذه ، فطالما القيادة فوقية فليس هناك نتائج وهذا ما حدث ١٩٦٧ •

ـ رد الدكتور عبد العظيم رمضان :

«الحقيقة بالنسبة لحكاية الرأسمالية هي الرأسمالية المصرية ، رأسمالية تختلف عن الرأسماليات الاوربية ، الرأسمالية المصرية كانت ذات أجنحة فهناك الجناح الزراعي الذي يطلق عليه اسم الافطاعي خطأ لاننا لم نكن عندنا اقطاع في مصر ، نحن كان لدينا رأسماليه زراعية ، وهناك الجناح الصناعي والجناح المالي ، فالذي كان يطالب بالاصلاح الزراعي كان الجناح الصناعي والجناح المالي هما اللذان كانا يطالبا بالاصلاح الزراعي وهناك مؤتمر عام أرجو أن ترجع اليه عقد ١٩٤٦ ستجده في كتابي (صراع الطبقات في مصر) ، وستجد في هذا المؤتمر الكبير الذي عقده وحضره أساطين الرأسمالية المصرية ، كانت الدعوة الى الاصلاح الزراعي ولكن لم تكن بالشكل الذي قامت به ثورة يوليو لأن الاصلاح الزراعي له طرق كبيرة من ضمنها الضريبة التصاعدية وغيرها وغيرها • انما كان هناك اتفاق على أن الأرض تقل مساحتها وبنعجز الثروة فيها ولا تؤدي الى نتيجة ولابد من صناعة لكي يمكن أن تستوعب الأيدي العامله القادمة ، وعندما نقرأ سيادتك كتاب صبحي وحيدة في المسألة المصرية هذا يعتبر في أصول المسألة المصرية ، وهذا يعتبر فيلسوف الرأسمالية الصناعية المصرية • ستجد أن هذا الكلام صحيح وصراع الطبقات سيوضح لك ذلك لأن الحكم لم يكن في يد الرأسمالية الصناعية وانما كان في يد الرأسمالية الزراعية ، وكذلك ستجد في هذا الكتاب الصراع بين أجنحة الرأسمالية المصرية » •

ـ أما رد الأستاذ أحمد حمروش فكان كما يلي :

الدكتور ملاحظاته ذكية ، ولكن شاكر للدكتور ملاحظاته الذكية ولكن أنا ما أشرت اليه هو أنه كان في الرأى العام المصرى وجهات نظر مختلفة بالنسبة للقضية الفلسطينية وبالتالي بالنسبة لقضية القومية العربية ، يعني كان فيه ناس بيكتبوا مقالات وآراء ليست متحمسة للقومية العربية والعكس صحيح ولذلك تختلف المواقف أيضا بين السياسيين يعني موقف اسماعيل صدقي ومحمد محمود باعتبارهما من أحزاب الأقليات كانت مختلفة عن موقف حزب الوفد ، الدكتور مصطفى الفقي فسر هذا التفسير وأعطى لهم التبرير في أنهم يتخذوا هذه المواقف ولكن هذا لا يلغى الحقيقة انهم فعلا كان لهم موقفهم الذي لم يكن متحمسا للقضية الفلسطينية أو متحمسا للتدخل فيها بشكل بقية الأحزاب الأخرى ، هذه حاجة ، الحاجة الثانية التي أشار اليها الدكتور وهي قضية الاصلاح الزراعي ، أنا في رأى أننا نقول قانون الاصلاح الزراعي كان قانون سياسي فقط لست موافقا

عليه بالكامل ، أنا أعتقد أن كل قرار سياسى له مضمون اقتصادى ومضمون اجتماعى وان الرؤية بتاعتنا فى هذا الوقت أو رؤيتنا فى هذا الوقت أنا كان لىدور مواضع فى تقديم الدكتور راشد البراوى وجمال سالم وأحمد فؤاد لاعداد هذا المشروع ، ان الذى كان فى تفكيرنا الخلفى هو البعد الاجتماعى وهذا لا يبين أن هذا كان قرار سياسى كان الهدف منه ضرب الطبقة الاقطاعية أو شبه الاقطاعية كما يحلو للبعض أن يسميها ، اننى أرغب فى أنأضع خط يميز بين موقف الوفد وبين موقف أحزاب الأقلية فى عملية التطور الرأسمالى فى مصر ، الوفد كان يمنع أعضائه فى أنهم يكونوا أعضاء فى مجالس ادارة الشركات ، يعنى أعضاء حزب الوفد كان ممنوع أن يكونوا أعضاء فى مجالس ادارة الشركات على غير ما كان الأمر سارى بالنسبة لأحزاب الأقليات ·

وأوجه الشكر للسائل على أنه أتاح لى فرصة ايضاح هذه النقاط أو تفسير هذه النقاط ·

ـ رد الأستاذ **جمال حماد** :

الدكتور كلامه حقيقة وهى أن القيادات الموحدة والقيادات المشتركة فوقية فعلا لكنها لأن فيه خوف من العسكريين ، أنا كنت ملحق عسكرى فى أربع دول : سوريا ولبنان والأردن والعراق · لأن هذه الدول هى التى كانت مستقلة فى الجناح الشرقى والباقى كان جميعهم محتلون ، فلما كنت أذهب الى العراق مثلا كان الحكم ملكى هناك ، فكان كل خطوة من خطواتى تحت المراقبة الشديدة جدا لان أنا مشبوه والكل يقول هذا أتى لتحريض الناس على عمل انقلاب عسكرى ، فهذا هو السبب ، يعنى يادكتور أن لا يوجد تداخل لأنهم كانوا يخافوا منا جدا · وأنا أنتهز هذه الفرصة وأذكر لكم نادرة من النوادر التى حدثت لكى لا يمل أحد ، وأنا فى سوريا كنت متداخل جدا مع الضباط السوريين ، فالسياسيين السوريين كانوا يعتبروننى أننى خطر داهم عليهم لأننى بأحرض الضباط السوريين على عمل انقلاب ضدهم خصوصا بعد ما عملوا انقلاب ضد الشيشكلى ، والشيشكلى مش من سوريا وأصبح الحكم مدنى فالعلاقات الوثيقة الموجودة بينه وبين الضباط السوريين وهذا كان من طبيعة عملى ، فكانوا هم ينظروا لها باستمرار بنظرة الشك على أننى أحرض الضباط فطلبوا كذا مرة أن أمشى من هنا ولكن كان الرئيس عبد الناصر ، كان لا يستجيب لهذا · اننى لم أفعل شىء وكان الحديث ودى أو كان طلبهم ودى بأنهم يفضلون أن أمشى من عندهم ولكن بقيت هناك الى ١٩٥٨ ، أنا أحب أن أنتهز هذه الفرصة لأطلق صيحة التحذير من الهيمنة الاسرائيلية العسكرية على العالم العربى · للأسف

الشديد أننا غير مقدرين هذه الخطورة العسكرية الاسرائيلية رغم أننا رأينا اسرائيل ماذا تفعل ولكن بعض الناس غير قادرين على تقدير مدى الخطر الداهم على الأمة العربية ٠

اسرائيل معتنقة مبدأ الضربة الوقائية ، هناك ضربة وقائيه وضربة الاجهاض لكى تفرقوا بين الاثنين ، ضربة الاجهاض هذه هى ضربة الترتيبات الهجومية التى تفضى على اسرائيل يعنى اذا حشدنا قواتنـا لكى نهجم على اسرائيل اذن هم سوف يقومون بشىء اسمه ضربة الاجهاض ، أما الضربه الوقائية أى خطر اسرائيل حتى ولو كان ولا بيحضروا ترتيبات هجوميه ولاحاجة أى خطر قريب أو بعيد فى المستقبل على اسرائيل لازم يضرب وأكبر مثل على هذا ضرب المفاعل الذرى العراقى الذى لا على حدودهم ولا حاجه أبدا ، وضربوا المفاعل الذرى العراقى مخترقين حدود ثلاث دول عربيه ولعلمكم ان هناك قوات خاصة فى اسرائيل مدربة تدريبا عاليا على اسقاطها لاحتلال أبار البترول العربية كل أبار البترول العربيه هذه معمول ترتيبها فى أى وقت يحـدث اشارة تجد جميع آبار البترول العربية هذه فى يد اسرائيل ٠

ونحن رأينا الصواريـخ الجديـدة التى أصبحت تضرب ليس دول المواجهة فقط بل رأينا اسرائيل تضرب تونس وتنزل فى تونس وتأخذ الناس وتموت الناس وعندها صواريخ الآن بعيدة المدى وممكن أن تكون حاملة رؤس ذرية وممكن تضرب أى بقعة فى العالم العربى ، فللأسف نحن غير قادرين على تقدير الخطر الاسرائيلى ٠

وأنا بأنهى هذه الندوة لأقول أن الأمة العربية فى خطر عظيم جدا من الاستعداد الاسرائيلى الذى لا يكل ولا يمل اطلاقـا ، أوعوا تفتـكروا أنهم عملوا معاهـدة سلام معنـا وضربوا صفحـا عن الاستعداد العسكرى هـم الاستعداد العسكرى باستمرار وها أنتم ترون بيحاولوا أن يأتوا باليهود السوفيت لكى يعملوا اسرائيل كبرى واللى مكتوب على الكنيست من النيل الى الفرات كل هذا اشارات ودلائل على أن هؤلاء الناس أعداءنـا الذين لن يتركوا الأمة العربية الا اذا نحن قضينا عليهم أو هم قضوا علينا بصراحة ونحن عملنا سـلام معهم ولكن هـذه حاجة مرحلية يعنى لا نظن أن هذا سيستمر الى الأبد جائز ليس الجيل جيلنا ولكن الأجيال القادمة ستقع فى هذا المأزق وسوف يروا الخطر الاسرائيلى أشد مما نحن نراه مئات المرات وشكرا ٠

ـ تعقيب من **الدكتور/ عبد العظيم رمضان** لدى تعليق عام وسريع هو

اننى يمكن بميز بين حكاية النقد والهجوم ، المسائل التاريخية والقضايا التاريخية ليس فيها هجوم ودفاع وانما فيها نقد بمعنى أننا غير قادرين على مهاجمة عبد الناصر ولا نهاجم عبد الناصر لانقدر على مهاجمة سعد زغلول ، مصطفى النحاس ومحمد على وانما نحن ننقد الأعمال هذا النقد لم يكن يتم فى حينه يعنى لم يكن أحد يستطيع نقد محمد على فى عهده وعندما عمل ذلك ، الجبرتى جرى له ما جرى والذى حاول أن ينقد فى عهد عبد الناصر جرى له ما جرى فنحن بننتهز فرصة المناخ أى مناخ الحرية الذى لم يسبق له مثيل وأنا بقولها كمؤرخ للتاريخ المعاصر ، الذى ليس له مثيل ، فى عهد الرئيس مبارك فاننا نعيد تقييم الأمور ، ثورة يوليو هذه ثورة عظيمة ليس هناك هجوم عليها ولا دفاع هى مسألة نقد فى التاريخ فيه نقد فبعد مرور ٤٠ سنة كان موجود فرصة أنه ليس هناك أحد خائف الانسان يستطيع أن يقول الذى هو يستطيع قوله.المؤرخين كانوا زمان عليهم تحذيرات وكان أيامهـا بنخترع كلمة اننا نعوم المعنى عن طريـق كلمات خفيفة من أجل السلطة ، أنا عندما أكتب فى مجلة الكاتب كان لابد من أن مقالاتى يراها الأستاذ / طلعت خالد فى مبنى التلفزيون وظل يحاسبنى كما لو كنت بكتب فى السياسة ولست أكتب فى التاريخ ، اليوم فرصة متاحة اننا نتكلم الآن بدون نقد لأن هذه هى عبرة التاريخ هى خبرة عصر فاذا كان كل واحد منا ينقد نفسه لكى يصحح خطأه ويصحح نفسه ومساره نحن أيضا بننقد ثورة يوليو وننقد ثورة ١٩١٩ وننقد الثورة العرابية ، كلمة نقد معناها ابراز الدروس التى أفرزتها التجربة عن طريق فرز الخطأ من الصواب ·

وأنا متفق مع الأستاذ حمروش وأنا قرأت له خمس أجزاء وعنـده أجزاء أخرى واستفدت وكذلك من اللواء جمال حماد أنا فقط كل ما هنالك بالنسبة للواء جمال حماد فى حكاية حرب أكتوبر والقيادة المشتركة هو رأيه انه لو كان فيه قيادة مشتركة كان يمكن أن يقلب ما جرى فى نهاية الحرب من بعد الثغرة يقلبه الى نصر من البداية ولكن أنا بقول ان هناك تناقض على الجبهتين المصرية والسورية بمعنى انه كان مصلحة الجبهـة المصرية أن القوات المصرية تقف على بعد لا يتجاوز ١٥ كم من القناة ، مصلحة الجبهة السورية ان مصر تدخل فى سيناء لغاية ما تدخل الى الممرات على الأقل هذا كان الذى أدى الى الكارثة التى وقعت من الثغرة الذى يعـرف بهجـوم ١٤ أكتوبر ، هجـوم ١٤ أكتوبر هذا كان تحت ضغط من سوريا أيقاظها فى حين ان الخطة العسكرية الموجودة والى موافقة عليها سوريا نفسها ان القوات المصرية تقف تحت المظلة الجوية لحائط الصواريخ المصرية والتى لا تتجاوز ١٥ كم كانت النتيجة ان هذا أدى الى أن القيادة المصرية عملت جيش مخصوص دفعت به الى الممرات وهذا الجيش حطم كله تقريبا

لأنه فى هذا اليوم حطم ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ دبابة هذا كله بسبب الضغط السورى فسواء كان موجود ما هو كان موجود قيـادة مشتركة بين مصر وسوريا ومع ذلك هذا لم يعمل بل بالعكس أدى الى ضرر ، انما النقطة التى يبرزها اللواء جمال حماد هى أنه صحيح لو كانت البلاد العربية مصر دخلت مع بقية العرب وكل البلاد العربية يعنى كان فيه قيادة مشتركة من الأول تنسق وكانت الجبهة السورية هى القوة بحيث انها توازى بالقوة المصرية كانت بكل تأكيد كل هذا تغير تغيرات النتيجـة وكان الجولان تحررت وكانت سيناء تحررت انما لاحظوا أن السادات نفسه لم يستطع أن يذيع سر الحرب والضربة الجوية الأولى حتى لليبيا لم يقل لها أو لأى بلد عربى هذا معناه أن الثقة كانت منعدمة بين مصر وبين البلاد العربية ولولا سوريا انها كانت الطرف الثانى لم يكن أحد قد دخل الحرب بل كان فيه القيادة المصرية ، ان هذه الحرب حرب مصرية ويمكن أن تتم عن طريق مصر فأنا بأؤيده فى أن القيادة العربية المشتركة أو العسكرية المشتركة هذا كان وهم من الأوهام وانما لو كان هذا تحقق كانت نتائج حرب أكتوبر كانت قد تغيرت ٠

— تدخل الأستاذ جمال حماد :

أنا فقط أرغب فى تصحيح شىء للدكتور عبد العظيم رمضان وأرجو أن يرجع الى أى وثيقة فى القيادة وسيرى أن كلامى صحيح ، تنظيم التعاون بين الجيش المصرى والجيش السورى فى ٧ يونيـة سنة ١٩٧٣ تـم فى القيادة وكان تنظيم التعاون معنى كلمة تنظيـم تعـاون يعنى كوندريشن وأوبريشن التنسيق بين الجيشين فأنا أجزم له بهذا الكلام وهذا مكتوب فى كتابى (المعارك الحربية على الجبهة المصرية) بكل تفصيل انه فى تنظيم التعاون الذى حدث يوم ٧ يونية كان تنظيم التعـاون على أساس أن المهمة المباشرة للجيش المصرى هى كما يقول الـ ١٥ كم هذه هى المهمة المباشرة ، أما المهمة النهائية كانت الحصول الى المضايق والقادة موجودين وأخذوا تلقين بهذا وعملوا تنظيم تعاون على هذا ٠

أنا بأصحح واقعة تاريخية الدكتور يقول أنه كان منفق وهم عارفين لا السوريين كانوا عارضين ومتأكدين طبقا لتنظيم التعاون أننا سنصل الى المضايق وهم سيصلوا الى نهر الأردن وهذا الكلام أقرؤه فى جميع الكتب وأحمد اسماعيل عندما سألوه لماذا فعلت ذلك ولماذا قلت أننا سنصل الى المضايق وهم سيصلوا الى نهر الأردن وهذا الكلام أقرؤه فى جميع الكتب قال : قلت هذا الكلام لأحمس الضباط لكى يصلوا الى أقصى ما يمكن ، اننى أرغب فى أن أقول لكم ان السوريين لم يكونوا ليرضوا أن يدخلوا حرب

أكتوبر اذا كنا سنقول لهم اننا سنقف عند ١٢ أو ١٥ كيلو لم يكونوا قد دخلوا الحرب ، هم دخلوا الحرب على أســاس أننا سنصل الى المضايق ولذلك هم فى اشارتهم واللواء بهى الدين نوفل موجود كانــوا يرســلوا ويقولون : نفذوا المهمة التى اتفقنا عليها ولا يقولون الحقونا كانوا يقولون الحقونا ونفذوا المهمة التى اتفقنا عليها فنحن لو كان فيه هيئة عمليــات مشتركة كنا انتهزنا الفرصة ، ان الهجوم مثلا مركز على الجبهة السورية ونحن نتقدم الى المضاييق ونحقق المهمة النهائية ، صحيح انه كان فيه نوع من المغامرة لكن كل حرب لابد من أن يكون فيها مغــامرة ليس معقول أن الحرب لا يكون فيها مغامرة والآن هل الاحسن أننا كنا نقف عند ١٥ كيلو ولا نصل الى المضايبق ؟ هذا موضوع كبير جدا يحتاج الى بحث شامل انما فقط أنا اصحح واقعة للدكتور عبد العظيم .



ثورة ٢٣ يوليو..
وحركة التحرّر فى المغرب العربى

ا.د. محمد عبد الرحمن برج

استطاعت قوى الاستعمار التى سيطرت على مقدرات العالم العربى فى عصره الحديث أن تقيم الحواجز بين أجزائه وتسعى ما وسعها الجهد فى أن تضعف من عرى الروابط بين بلاده ٠

ودليل ذلك ما حدث حين تعرضت طرابلس الغرب مثلا للاحتلال الايطالى ١٩١١ ٠ فما ان بدأ العدوان الايطالى حتى اتبع كتشنر ـ وكان قد وصل مصر آنذاك معتمدا بريطانيا بمصر ـ سياسة الحياد التام فى هذه الحرب على الرغم من أن المصريين كانوا يعطفون على أشقائهم الليبيين ويودون مساعدتهم ، ونشط الهلال الأحمر المصرى فى جمع التبرعات لضحايا الحرب ، الا أن كتشنر امعانا فى حرمان المصريين من مساعدة اخوانهم الليبيين عين المأمورين الانجليز بدلا من المأمورين المصريين فى الحدود الغربية ، ومنع أهل برقة وطرابلس من دخول الأراضى المصرية ، وفرضت السلطات البريطانية على الحدود المصرية رقابة صارمة حتى تعطلت التجارة بين طرابلس ومصر ٠ ورفض اللورد كتشنر الموافقة على تطوع جماعة من الضباط المصريين لمساعدة أشقائهم الليبيين ٠ الا أنه على الرغم من ذلك تشكلت لجنة عليا فى ١٤ أكتوبر ١٩١١ برئاسة الأمير عمر طوسون لجمع التبرعات من أبناء الشعب المصرى ٠ (١)

وظلت مصر قبلة أبناء المغرب العربى ترنو أبصارهم نحوها فجاءها الحبيب بورقيبة فى السادس والعشرين من أبريل ١٩٤٥ ٠ وكانت قوات الحلفاء بعد معركة العلمين قد تعقبت قوات المحور التى أخذت تتراجع منهزمة وعادت فرنسا لحكم تونس فى الثامن من مايو ١٩٤٣ ٠

ولم يكد يمضى أسبوع على دخول الفرنسيين البلاد التونسية حتى عقد الجنرال جيرو القائد العام للقوات الفرنسية فى تونس اجتماعا بدار الأمانة العامة قرر فيه خلع الباى محمد المنصف على زعم أنه كان مؤيدا لدول المحور متعاونا معهم ٠ وسرعان ما ألقى القبض عليه فى اليوم التالى حيث أحيط بالحرس المدجج بالسلاح ونفى خارج البلاد فى معتقل بالصحراء الجزائرية ٠ (٢)

---

(١) محمد برج ٠ دراسة فى التاريخ العربى الحديث والمعاصر ، مكتبة الأنجلو ٠ ١٩٧٤ ص ٢٤ ٠

(٢) محمد برج : من السويس الى بنزرت ، دار الشعب ، ١٩٦٧ ، ص ١٤٨ ٠

واتجه نظر الشعب التونسى الى أشقائه فى مصر يطلب العون وجاء بورقيبة متخفيا حيث قدم مذكرة للأمين العام للجامعة العربية ليتولى توزيعها على الدول الأعضاء يفضح فيها ألاعيب الاستعمار ٠

وفى القاهرة أسس بورقيبة مكتبا للدعاية للقضية التونسية وشرحها للرأى العام العربى والعالمى وسمى بمكتب الحزب الحر الدستورى التونسى وبدأ فى اصدار نشرة دورية باللغة العربية تغذى الصحافة العربية بالأخبار والأحداث التى تجرى فى تونس كما أصدر المكتب نشرة أخرى باللغة الفرنسية لنقل أخبار تونس الى الدول الأوربية وهكذا انتقل كفاح تونس من النطاق الداخلى الى النطاق العالمى عن طريق مصر ٠ (١)

كذلك لجأ الأمير عبد الكريم الخطابى الى مصر عقب عودته من منفاه سنة ١٩٤٧ حيث هرب من الباخرة عند بورسعيد وقام بدور بارز فى توجيه لجنة المغرب العربى بالقاهرة التى تولت عبء اعداد خطة الكفاح ضد الاستعمار الفرنسى (٢) ٠

أما جمعية العلماء الجزائريين فقد أوفدت أول بعثة تعليمية لها خارج الجزائر الى القاهرة فى نوفمبر ١٩٥١ وضمت هذه البعثة ستة عشر طالبا فى البداية ثم ازداد عدد أفرادها بعد ذلك حتى وصل الى خمس وعشرين طالبا وطالبة نذكر منهم على سبيل المثال اسم تركى رابح الأستاذ الآن بجامعة الجزائر ٠

لكن ذلك لايعنى أن الرأى العام المصرى قبل ثورة ٢٣ يوليو كانت لديه رؤية واضحة وصورة حقيقية لأحداث المغرب العربى ولعل بعض ذلك مرجعه انشغال المصريين بحركة التحرير ضد الاحتلال البريطانى الجاثم على صدر البلاد ٠

فنجد بن باديس يذكر فى ألم بعض ما يحس به بعض المصريين تجاه الجزائر يقول فى خطبة له بمناسبة الاحتفال بتأبين الشاعرين شوقى وحافظ فى نادى الترقى فى شهر فبراير ١٩٣٤ : « ٠٠٠٠ أما شوقى فقد قدر له أن يزور الجزائر فى شبابه وينزل بعاصمتنا أربعين يوما للاستشفاء ونجده يقول عنها ولا عيب فيها (الجزائر) سوى أنها مسخت مسخا فقد عهدت مساح الأحذية يستنكف النطق بالعربية واذا خاطبته بهذا لايجيبك بغير الفرنسية » وقد تألم بن باديس ألما شديدا لزعم شوقى هذا حيث حكم من خلال تصرفات فرد واحد على عروبة وقومية شعب كامل بأسره ٠

يقول الشيخ بن باديس : « فاعجبوا لاستدلال على حال أمة بمساح الأحذية منها ولا يجمل بى ان أزيد فى موقفى هنا على هذا الا أن فقيدنا العزيز لو رأى من عالم الغيب حفلنا هذا لكان له فى الجزائر رأى آخر

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٤٨ ٠

(٢) صلاح العقاد . المغرب العربي ، الأنجلو المصرية ، ١٩٦٩ ، ص ٢٩٣ ٠

ولعلم ان الأمة التى صبغها الاسلام وهو صبغة الله وانجبتها العرب وهى امة التاريخ ، وأنبتتها الجزائر ، وهى العاتية على الرومان والفاندال ـ لا تستطيع ولن تستطيع آن تمسخها الأيام ونوائب الأيام . » (١)

ومن اجل التعريف بالجزائر وقضيتها كان مجىء الشيخ البشير الابراهيمى ـ الذى آلت اليه رئاسة الجمعية بعد وفاة الشيخ بن باديس ـ الى القاهرة فى مارس ١٩٥٢ واتصاله بمختلف الهيئات والمنظمات والشخصيات العربية والاسلامية فى القاهرة وبغداد ودمشق والكويت والحجاز .

مع قيام ثورة ٢٣ يوليو تغير الوضع تماما بالنسبة لقضايا المغرب العربى **فليس من باب المصادفة آن تنشب ثورة الفاتح من نوفمبر ١٩٥٤ فى الجزائر فى الشهر التالى لتوقيع اتفاقية الجلاء البريطانى عن مصر .**

ولا يستطيع الباحث فى هذه الندوة أن يحصى ما قامت به الثورة المصرية تجاه حركات التحرير فى بلاد المغرب العربى فذلك أصعب من ان يحصى وقد نشر الكثير منه وأعلن .

وسوف أقصر الحديث على دور اذاعة صوت العرب فى هذا السبيل . أنسئت اذاعة صوت العرب عام ١٩٥٤ وأذيع منها أول بيان للثورة الجزائرية .

أعدت اذاعة صوت العرب برنامجا يوميا يذاع الساعة الثانية عشرة مساء كل يوم تحت عنوان (شمال أفريقيا بلادنا) كان موجه الى الجزائر بالدرجة الأولى كان ينقل نشاط جبهة التحرير يوما بيوم وفى نهاية البرنامج فقرة باللغة الفرنسية تحت عنوان :
Ici La Voie de la Republique Algerien

واشترك عدد من الاخوة الجزائريين فى تقديم البرنامج وكانت مدته نصف ساعة وكان من الطبيعى أن تقوم فرنسا بالتشويش على هذه الموجة التى يذيع منها صوت العرب وان يقوم المسئولون عن هذه الاذاعة بتغيير مواعيده بين حين وآخر تجنبا لهذا التشويش .

كذلك حرص صوت العرب ان ينقل صورة حقيقية وواقعية من داخل المناطق التى يخاطب منها أبناء الأمة العربية عن حركة التحرير الجزائرية . فنجده يبعث بمراسليه ومقدمى برامجه مأموريات تراوحت مدتها ما بين

---

(١) مجلة الشهاب ج ٤ م ١٠ ص ١٤٦ عدد مارس ١٩٣٤ ، نقلا عن تركى رابح : البشير الابراهيمى فى المشرق العربى ، الثقافة الجزائرية ، السنة الخامسة عشرة ، العدد ٨٧ يونيو ١٩٨٥ .

ثلاثة شهور أو عشرة أيام او اسبوع حسب طبيعة المهمة الموفد منها ، وظل ذلك ديدنه طوال الستينات وجزء كبير من السبعينات .

فخلال الثورة الجزائرية استطاع بعض مذيعى هذا البرنامج دخول الجزائر لينقلوا للمستمع العربى الأحداث البطولية بشكل حى . فدخل محمد أبو الفتوح أحد مذيعيه من المغرب كما دخل رشاد ادهم وجمال السنهورى من تونس .

ولذلك كان من الطبيعى أن تضرب اذاعة صوت العرب خلال العدوان الثلاثى ولكن الأوامر صدرت فى الحال فى تشغيل محطات ارسال اضافية من عربة متنقلة لتمضى فى رسالتها .

ولم تكف الثورة بعد العدوان الثلاثى عن اداء رسالتها تجاه حركات التحرير فى بلاد المغرب العربى . تذكر الوثائق التى نشرت اصرار مصر على تاييد تلك الحركات . ففى برقية بتاريخ ١٩٥٦/١٢/١٤ من واشنطن من الدكتور محمود فوزى جاء فيها مايلى : « قابلت هوفر مساء اليوم مع السفير (المصرى) وحضر الاجتماع ميرفى وكيل الخارجية بالنيابة وراونترى مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأوسط ورئيس قسم مصر وتناول الحديث المواضيع الآتية .... تكلمنا عن الجزائر فذكرت له وجهة نظرنا وضرورة التعجيل فى استقلال الجزائر .... » (١) .

فى رسالة اخرى من السفير أحمد حسين سفير مصر فى الولايات المتحدة الأمريكية بتاريخ ٢٤ ديسمبر ١٩٥٦ الى وكيل وزارة الخارجية المصرى يقول : ...

« أبدت امريكا فى كل مناسبة عدم ارتياحها للدعاية المصرية فى الجزائر ضد فرنسا على أساس أن ذلك يضر حليفتها وتخدم مصالح روسيا .... » .

واذا كان هذا ما تحدثنا به الوثائق بعد العدوان الثلاثى فان وثائق ما قبل العدوان توضح فشل محاولته اثناء مصر عن تأييدها للثورة الجزائرية وزيارة كريستيان بينو وزير الخارجية الفرنسى القاهرة قادما من كراتشى ١٣ مارس ١٩٥٦ لهذا الغرض . وكيف أوضح بينو ان علاقات فرنسا ومصر كانت دائما علاقات ممتازة ورد عبد الناصر عليه أنه لايوجد سبب لتدهور العلاقات ثم عرضه لأسباب الخلافات الظاهرة بين البلدين فى نقطتين أولاهما القمع الفرنسى لحركة التحرر الوطنى العربى فى شمال

---

(١) محمد حسنين هيكل ملفات السويس ، انظر وثائق الكتاب .

افريقيا وأشار الى أن ذلك يفرض على مصر التزاما بمساعدة أشقائها فى تونس ومراكش والجزائر والثانية هى صفقات السلاح المتواصلة بين فرنسا واسرائيل .

ورد كريستيان بينو أن الحكومة الفرنسية بصدد التوصل الى تسويات مع مراكش وتونس وأن المشكلة الحقيقية الباقية هى الجزائر وأن التمرد فى الجزائر لا تحركه غير المساعدات المصرية فاذا توقفت هذه المساعدات فان الأمور كلها سوف تهدأ لأن الوضع فى الجزائر يختلف عن وضع تونس ومراكش . ففى الجزائر مليون مستوطن فرنسى ثم ان فرنسا اعتبرت الجزائر دائما حتى فى مشروعات البنية الأساسية جزء لا يتجزأ من فرنسا . ومع ذلك فان الحكومة الفرنسية على استعداد لأن تصل مع ممثلين جزائريين الى ترتيب يعطيهم دورا فى توجيه شئون الجزائر .

وقام عبد الناصر بدعوة بعض القادة الجزائريين الى اجتماع معه فى القاهرة (احمد بن بيلا ، محمد خيضر ، حسين آية احمد) وعرض عليهم تفاصيل ما دار بينه وبين بينو . وجاء وفد فرنسى برئاسة جورج جورسى أحد مساعدى بينو الرئيسيين ومعه جوزيف بيجار سكرتير الحزب الاشتراكى الفرنسى فى الجزائر ممثلا عن المستوطنين الفرنسيين .

وعقد اجتماع فى القاهرة فى ١٢ ابريل ١٩٥٦ (قبل العدوان بشهور قليلة) وطلب الفرنسيون وقف العمليات العسكرية فى الجزائر ولكن ذلك لم يلق استجابة من عبد الناصر الذى أشار أنه لا يرى وقف العمليات العسكرية وان مثل هذا الاقتراح يمكن بحثه عندما تبدأ مفاوضات رسمية بين الطرفين وأما فى مجرد لقاء استكشافى فان وقف العمليات العسكرية يصبح ميزة تعطى للطرف الفرنسى بدون مقابل من جانبهم (١) .

وتوقفت الاتصالات وبدأ العدوان والتواطؤ الفرنسى مع انجلترا واسرائيل فى العدوان الثلاثى .

وكما وقفت مصر مع الجزائر كان وقوفها مع بلاد المغرب العربى الأخرى فحين أقدمت فرنسا فى الثامن من فبراير ١٩٥٨ على ضرب قرية ساقية سيدى يوسف التونسية على زعم أن الثوار الجزائريين يتخذونها مقرا لشن هجومهم على القوات الفرنسية ، دخلت القضية التونسية مرحلة جديدة وحاسمة فبدأ الشعب التونسى كفاحه من أجل اتمام استقلاله بتحرير بنزرت التى كانت تحتلها القوات الفرنسية .

---

(١) المرجع السابق ، ص ٤٢٤ .

فى ذلك الحين تناست مصر ما كان بينها وبين الحبيب بورقيبة من خلاف وكان قد رغم أن مصر تؤيد صالح بن يوسف عليه ودعا مندوب تونس الى الانسحاب من اجتماعات الجامعة العربية ٠

تناست ثورة مصر هذا الخلاف حين بدأ العدوان الفرنسى ووضعت مصر كافة امكانياتها فى تصرف تونس ٠ وعبر الرئيس بورقيبة عن شكره للحكومة المصرية فى خطابه الذى القاه ٢٠ يوليو : « ونتوجه بشكرنا وامتناننا للجمهورية العربية المتحدة التى أعربت بوضوح عن تأييدها للشعب التونسى والحكومة التونسية فى كفاحها المستميت ضد العدوان الفرنسى بالرغم من السحب العابرة التى كانت تجثم على جو علاقاتنا معها ولم تراع الجمهورية العربية المتحدة الا حقوق التضامن التى تربطها بشعب شقيق يناضل من أجل حريته واستقلاله ويلاقى عدوانا سافرا لعله يكون نسخة طبق الأصل من العدوان التى استهدفت له (مصر) سنة ١٩٥٦ ببورسعيد وقناة السويس » ٠

واجتمع مجلس الأمن يوم السبت ٢٣ يوليو ١٩٦١ لنظر القضية التونسية سعت مصر لكى تجعل الدول الأعضاء تقف بجانب الشعب التونسى وقدمت ومعها ليبيا مشروع قرار لمجلس الأمن يطالب فرنسا بسحب قواتها التى وصلت الى بنزرت ٠

ولكن الدول الاستعمارية كانت لمشروع مصر بالمرصاد فقدمت انجلترا والولايات المتحدة الأمريكية مشروعا مضادا يتضمن حث الجانبين المتنازعين على ايجاد حل سلمى لخلافاتهما ٠

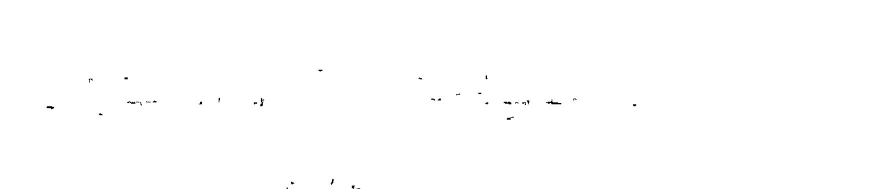
وانتهى الأمر بوقف القتال ثم انسحاب الفرنسيين من قاعدة بنزرت وأشاد الحبيب بورقيبة بدور مصر فى الاحتفال الذى أقيم ببنزرت بمناسبة الجلاء عنها وشهده عبد الناصر فقال : « ان الجلاء عن السويس كان المقدمة التى هيأت الطريق للجلاء عن بنزرت » (١) ٠

---

(١) محمد برج : من السويس الى بنزرت ، ص ١٧١ ٠

حول تقويم علاقات ثورة يوليو ١٩٥٢ بالـــوطـــن العـــربي

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى



كان بعض الضباط الأحرار الذين أسقطوا النظام الملكى فى مصر قد اشتركوا فى حرب فلسطين (١٩٤٨ ــ ١٩٤٩) مما ادى الى خوضهم تجربة العلاقات مع بلدان المشرق العربى الأخرى التى اشتركت فى الحرب وقد تأثر هؤلاء الضباط بالهزيمة التى حلت بالعرب وعقدوا العزم على اخذ الثار ليس فقط من الصهيونية بل ايضا من الدول العظمى التى ساندتها ، مما جعلهم ــ وبخاصة تحت زعامة جمال عبد الناصر ــ يوسعون دائرة نشاطهم لتشمل الوطن العربى كله بالاضافة الى مد اليد للدول الجديدة التى افلتت من براثن الاستعمار فى أعقاب الحرب العالمية الثانية . ولقد آمن عبد الناصر على أثر اشتراكه فى مؤتمر باندونج فى عام ١٩٥٥ ــ حيث رأس لجنة تصفية الاستعمار ــ بالتحرر الوطنى ، ومد يد المساعدة للشعوب التى كانت تكافح للحصول على الاستقلال خاصة وأنه تصور ثلاث دوائر تحيط بمصر هى الدائرة العربية والدائرة الاسلامية والدائرة الافريقية .

وبادىء ذى بدء سعى عبد الناصر الى تحرير مصر من بقايا الاستعمار البريطانى ، ولكى يحقق ذلك نجده يفصل القضية المصرية الخاصة بالجلاء عن منطقة قناة السويس عن المسألة السودانية التى طالما تعثرت بسببها المفاوضات المصرية الانجليزية فى الماضى ، وكانت النتيجة هى حصول السودان على حق تقرير المصير ثم على الاستقلال . وساند عبد الناصر الثورة الجزائرية التى أعلن قيامها فى القاهرة فى عام ١٩٥٤ فظل يدعمها الى أن حصلت الجزائر على الاستقلال فى عام ١٩٦٢ .

ومما يجدر ذكره أن هذه المساندة كانت من الأسباب الرئيسية التى جعلت فرنسا تشترك فى العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ اعتقادا منها بأن تصفية الثورة الجزائرية تستلزم القضاء على النظام القائم فى مصر وفوق ذلك فقد ساندت الثورة كل حركات التحرير ومقاومة تقلبات السياسة الاستعمارية فى العالم العربى .

وقد تشابكت الأحداث فى أعقاب قيام الثورة فى مصر لتدخلها فى السياسة العالمية ، ورغم أن الضباط الأحرار أعلنوا لدى نشوب الثورة

برنامجا يستهدف اجراء اصلاحات حيوية فى مصر التى كانت فى أشد الحاجة اليها الا أن الاستفزازات الاسرائيلية عرقلت تحقيق هذا الهدف الحيوى ، ومن ثم سعى مصر الى الحصول على السلاح من المعسكر الشيوعى بعد أن فرض الغرب قيودا على تصدير السلاح اليها ، وبذلك اقحمت الثورة فى الحرب الباردة بين الشرق والغرب وهى الحرب التى كان لها أثرها فى سياسات المشرق العربى خاصة وقد سعت الولايات المتحدة وبريطانيا الى ملء ما اعتبرناه فراغا فى المنطقة على أثر حصول بعض دول المنطقة على الاستقلال مشروطا أو غير مشروط ٠ وهكذا تصدى عبد الناصر لحلف بغداد بمختلف الوسائل الى ان سقط هذا الحلف فى عام ١٩٥٨ على أثر نشوب الثورة فى العراق ٠ وكان من نتائج المعارك التى خاضها عبد الناصر بهذا الصدد وتعرض سوريا للضغوط الغربية أن قامت الوحدة بين مصر وسوريا التى استمرت خلال الفترة الممتدة ما بين عامى ١٩٥٨ و ١٩٦١ ولكن لما كانت هذه الوحدة قد تمت دون اعداد ولما كانت تتعرض للضغوط الرجعية والاستعمارية ولعداء القوى الاجتماعية التى تضررت نتيجة لها ، فانها ما لبثت أن انفصمت عراها ٠

والى جانب مساندة مصر لاستقلال تونس والمغرب وليبيا فانها ساندت الثورة اليمنية التى نشبت فى عام ١٩٦٢ ضد حكم الأئمة المتخلف٠ فقد أرسلت مصر قواتها الى اليمن لتساعد الثورة هناك فى مواجهة ضغط أعدائها من العرب والغربيين ٠ وظلت القوات المصرية فى اليمن الى ان تم سحبها فى عام ١٩٦٧ نتيجة للحرب العربية ـ الاسرائيلية الثالثة الا أن الوجود المصرى كان له أثره فى انسحاب بريطانيا من اليمن الجنوبى ومن منطقة الخليج مما أخرج الى حيز الوجود مزيدا من الدول العربية المستقلة ٠

أما قضية فلسطين فقد استوعبت قدرا كبيرا من اهتمامات قادة الثورة الذين اشترك بعضهم فى حرب ١٩٤٨ وفى المواجهات المصرية الاسرائيلية التالية ٠ ورغم وجود محاولات لايجاد تسوية لهذه القضية على أساس قرارات الامم المتحدة فان الاطماع الاسرائيلية حالت دون ذلك خاصة وان اسرائيل لم ترسم لها حدود منذ نشأتها لكى يظل الباب مفتوحا لضم مزيد من الأراضى وتهجير مزيد من اليهود الى فلسطين ـ وكانت القضية الفلسطينية من الأسباب الرئيسية التى جعلت مصر الثورة تخوض لا اقل من ثلاثة حروب مع اسرائيل فى أقل من ربع قرن خاصة وان جمال عبد الناصر كان يعبر فى دعمه للشعب الفلسطينى عن دوره باعتباره قائدا وزعيما للأمة العربية منذ أن كسر احتكار السلاح وأمم قناة السويس وجعل مصر مركز النشاط السياسى فى الوطن العربى ٠

وظل عبد الناصر الى وفاته عام ١٩٧٠ مشغولا بالمشاكل المصرية والعربية التى كانت تتفاقم يوما بعد يوم · فباعتباره زعيما للأمة العربية كان يتحمل مسئولية كل ما يحدث على الساحة العربية ، أملا فى أن تؤدى نشاطاته الى توحيد الأمة العربية تحت زعامته · وفى تقويم الدور الذى لعبه فى التاريخ العربى المعاصر ، نحمد له اثارة الوعى بالوحدة العربية وتطلع الكثيرين الى قيام الوطن العربى الواحد الذى لو تحقق لأخرج الى حيز الوجود دولة عظمى لها موقعها المتحكم فى المواصلات العالمية وثرواتها الزراعية والنفطية والمعدنية · الا أن الاقليمية والمصالح الخاصــــة كانت ولا تزال تعترض تحقيق مثل هذه الطموحات ، وسيبقى الدور الذى لعبه عبد الناصر فى هذا المجال فى ذاكرة الأجيال تماما كما بقيت ذكرى المحاولات المشابهة التى قام بها محمد على خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر ولو أن أسباب الفشل فى كلتا المرحلتين كانت واحدة اذ أن قوى الغرب لم تكن لتقف مكتوفة الأيــدى ازاء ظهور دولة عظمى فى المنطقة تهــــدد مصالحها العالمية ·

هذا عن أهم النواحى الايجابية للثورة فى المجال العربى بوجه عام والمصرى بوجه خاص · ولا نستطيع ان نغض الطرف عن النواحى السلبية التى صاحبت نشاطات الثورة · وبدءا بمصر نجد أن هذه النشــاطات قد أرهقتها وكانت السبب المباشر للديون التى ترزح تحتهــا مصر وللآلاف الضحايا الذين سقطوا فى الميدان وروت دماؤهم أرض العروبة · كما أن انشغال عبد الناصر بالسياسة الخارجية أثر تأثيرا سلبيا فى عملية الاصلاح التى وعد بها الثوار وكانت مصر فى أمس الحاجة اليها · كما أنه دخــل فى مواجهات كثيرة مع دول عظمى وغير عظمى مما جلب على مصر عداوة الكثيرين الذين كان بامكانهم أن يلحقوا الضرر بها ويساعدوا أعداءها · حقيقة لقد أحرزت مصر والأمة العربية فى عهد عبد الناصر كثيرا من المجد الذى لا شك سيكون رصيدا معنويا للأجيال بصورة مشابهة للرصيد الذى أحرزه نابليون لفرنسا ، ولكن كان من اللازم أن ترتبط الاستجابات لمختلف الضغوط باستراتيجية بعيدة المدى تحقق الأهداف دون عجلة · فايطاليا وألمانيا قد توحدتا بعد جهود متواصلة واستعدادات قامت بها أسماء لامعة من أمثال بسمارك وكافور وغاريبالدى بغض النظر عن الزمن الذى يستغرقه تحقيق الأهداف · ان الغرب سعى باستمرار الى رد الكيل لمصر ولحركة التحرير العربى الى أن أمكنه فى أعقاب الاعياء الذى حل بها أن يسترجع بعض ماخسره وأن يحكم قبضته على معظم ارجــاء الوطن العــــربى · فهل الخطأ هنا مرتبط بعملية التنفيذ التى تميزت بالعجلة وبردود الفعل اكثر منها بالتخطيط العملى ؟ أم أن القيام بالنشاطات فى جميع الأصعدة فى وقت واحد هو السبب ؟ أم أن الجماهير العربية فى مصر وخارجها

لم تلعب الدور الذى توقعـــه المنظرون ؟ أم أن افتقار المشروع الناصرى للديمقراطية كان من السلبيات التى جعلت الجماهير معزولة عن العمـل السياسى وسلبيته ؟ أم أن الاستعمار العالمى كان لايزال من القوة بحيث أمكنه أن يدافع بنشاط عن مصالحه الاستغلالية بالتصدى لحركات التحرر فى الوطن العربى ٠

ان النكسات التى واجهها المشروع الناصرى لتوحيد العرب تستحق الدراسة الموضوعية التى على ضوئها يمكن استخلاص الدروس ورسـم الخطط للمستقبل فهذه النكسات هى المسئولة عن هبوط الزخم الثورى الذى كان يلمس فى كل مكان خلال الخمسينات والستينات بوجه خاص ، خاصة وأن القوى المضادة والنزعات الاقليمية لعبت دورها فى محـاولة التصدى بكل ما يلحق الضرر بها وبخاصة من جانب مصر الثـورة التى سعت عبثا الى القضاء على الوجود الرجعى والاستعمارى والاقليمى على الساحة العربية ٠

وأخيرا من واجبنـــا أن نتسـاءل عما اذا كان من المجدى اعادة الكرة من جديد على الطريقة الناصرية التى لايزال لها بريقها بالنسبة الى بعض الزعامات العربية التى تحـاول أن تعيد الى الوجود بعض التجارب التى شهدها التاريخ العربى فى ظروف مخالفة ٠ فهل لنا أن نأخذ العبرة من أنماط أخرى للتنسيق والتوحيد التى شهدها العالم منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية ؟ ان أمامنا تجربة السوق الأوروبية المشتركة وغيرها من التجارب التى لاتركز على الجانب السياسى فى المحل الأول ، بل على أنماط التعاون الأخرى على قدم المساواة سواء تحققت الوحدة السياسية أم لم تتحقق ٠ كما أن الاتجاه الى فرض زعامة دولة أو فرد قد عفى عليه الزمن ولم يعد صالحا للتطبيق العملى ـ اذ المصالح المتبادلة هى الاجدى نفعا والأبقى على طول الزمن ٠

إنقلاب ٢٣ يوليو والسودان

محمد جلال كشك



بسم الله الرحمن الرحيم

لست أوجه حديثى هذا للذين يضعون مصالح أو مكانة فرد أو بضعة أفراد فوق مصلحة الوطن ، الذين يرفضون التاريخ لأنه يحمل الادانة لمن يعبدون من دون الله ، أو لأن التاريخ يثبت خطأ بعض معتقداتهم ومسلماتهم ·· لست أوجه حديثى للذين لايعرفون شيئا عن السودان ولايعنيهم أن يعرفوا ، الذين يسخرون من مطلب وحدة النيل ويتلهون أو يلهون الناس بالثرثرة عن الوحدة مع الجزائر والعراق وعمان ! ···

ولست أوجه حديثى لذلك القطاع الخاص من المثقفين السودانيين الذين رباهم الاستعمار البريطانى بطريقة بافلوف ، طريقة الربط بين كلمة معينة والألم ، بحيث يصبح مجرد ذكر هذه الكلمة يثير فى قلوبهم مشاعر الغضب والألم ·· هذه الفئة استطاع الاستعمار أن يشكل عقلها على نحو أصبحت معه لاتعيش ولاتفكر الا بكراهية مصر ولايعنيها الا تشويه مصر وأهداف مصر وتاريخ مصر ·· تلك هى قضيتها الوحيدة ، وهاهى تقف فوق أنقاض السودان تراه يمزق اربا ، ويختفى او يوشك ان يختفى من خارطة أفريقيا لتحل محله دويلات تحت حماية اجنبية ، فلا يقلق هذه الفئة مصير الوطن ، ولايعنيها أن تخضع حتى للسيادة الأثيوبية بل وربما الأوغندية أو التشادية ! لايهمها ذلك مادامت تملك كراهية مصر وتجتر مادسه الانجليز فى بطونهم من حقد على مصر والمصريين ··

وأنا من الجيل الذى نشأ على عقيدة وحدة وادى النيل ، التى آمنت بأن مصر والسودان وطن واحد وشعب واحد ·· ·· كنا نتطلع الى التحرر من الاستعمار معا وبناء وطن واحد يسكنه شعب واحد وان تفاوتت مستويات الاندماج ولكنه تفاوت معروف ومقبول فى الأوطان الشاسعة المساحة ، المختلفة التطور ، المتعددة التجمعات العرقية واللغوية ، وماكنا لنكون أكثر تعددا من الاتحاد السوفيتى أو الولايات المتحدة اذا ما استبعدنا تأثيرات الفارق التكنولوجى ، وفترة الحكم المستقر لموسكو أو واشنطن ·· بل لعلنا كنا سنكون أشبه ببريطانيا أو المملكة المتحدة ، وربما لعب المصريون

بحكم الجغرافيا والتاريخ ، فى تلك الدولة العتيدة دولة وحدة وادى النيل دور الانجليـــز فى بريطـــانيا العظمى • دون أن ينقص ذلك من دور الاسكتلنديين أو أهل ويلز ••

أنا من الجيل الذى اعتبر وحدة وادى النيل قضية وطنية ومصيرية ، التفريط فيها خيانة ، والفشل فيها يهدد وجود مصر بما يقرب من الفناء •• ومن هنا أحكى لكم كيف خان جيلى وحدة وادى النيل وكيف سقطنا فى الامتحان ، وكيف تحطمت وحدة وادى النيل على يد هذا الجيل فى مصر والسودان حتى وصلنا الى النتائج التى ترونها الآن ويكفى أن أشير الى المخاطر التى تشكلها الحبشة بمساعدة عربية واسرائيلية ، نعم هذه هى الحقيقية ، بعض العرب قدموا المساعدة التى دعمت الحكم العنصرى الشرس الامبراطورى الثورى فى أديس ابابا ، هـــذا الحكم الذى بدأ ينفذ الحلم التاريخى لاعداء مصر وهو قتلها ظمأ بمنع ماء الفيضـــان •• ولا حاجة للقول أنه لو كانت وحدة وادى النيل قد تحققت منذ ثلاثين عاما كما كان المفروض ، لكان وضع مصر والسودان أفضل بشكل حاسم فى أية مواجهة مع الحبشة أو أية دولة أخرى تفكر فى ابتزاز مصر بماء النيل او النيل من وحدة التراب السودانى •• ومرة أخرى أنا لا أوجه حديثى للذين يعتبرون ان قيام حكم دسارى فى اديس ابابا اهــم من توفير مياه الرى للفـــلاح المصرى !

كيف بدأت وحدة وادى النيل ؟ ••

يمكن القول أن الوطنية المصرية نشأت فى اطار وحدة وادى النيل ، فلم يكن لمصر وجود مستقل متميز بدون السودان •• لقد حصل « محمد على » على استقلال مصر عندما كان السودان جزءا لا يتجزأ من مصر •• ولذلك فان القومية المصرية ــ السودانية تكونت فى وقت واحد وفى اطار سياسى وجغرافى واجتماعى واقتصادى واحد •• ويمكن الاشارة الى أن ثلاثة من أعضاء مجلس قيادة حركة ٢٣ يوليو ولدوا فى السودان اثنان منهما من أم سودانية •• لكن ضخامة رقعة الوطن ، وتخلف النظام الاقتصادى ، وبالتالى تخلف وسائل الاتصـــال ، ثم سلسلة الاجهاضات التى حدثت لعملية النمو الرأسمالى ، بهزيمة محمد على وقبوله معاهدة لندن (١٨٤٨) ثم احتلال مصر (١٨٨٢) أدى الى وقف عملية التماثل ، وبقت الجزر المتخلفة المنعزلة هنا وهناك حتى فى داخل الاقليم الشمالى (مصر) وجاء الانجليز فضربوا ستارا عازلا ضد حركة التوحيد التى لو استمرت فى مسارها الطبيعى لما وجدت مشكلة للسودان ، ولا قضية لوحدة وادى النيل •• ولاننسى أن المفهوم الوطنى بالشكل المحدد القواطع كما هو الحال فى أوروبا ، غير معروف فى المجتمعات الاسلامية والعربية على وجه الخصوص •• فقبل الحملة الفرنسية ومحمد على لم يكن هناك

تميز قومى أو وطنى واضحا بين الجزائرى والمغربى أو الليبى والتونسى ٠ والى تدهور الدولة العثمانية وتمزقها بين مناطق النفوذ الأوروبية لم يكن من السهل تفرقة العراقى عن الكويتى ، ولاقامت الحدود بالمعنى الذى نراه اليوم ٠ ونفس الشىء من سورى ـ لبنانى ـ فلسطينى كانت التقسيمات على اطر اضيق فهناك الحلبى والحموى والشامى والغزاوى والبحراوى والصعيدى والنوبى والدنقلاوى والبقارة والدنكا ٠٠ وتحل النسبة للاقليم محل النسبية مع تطور البنية الاجتماعية والاقتصادية ، ولكن التقسيمات « الوطنية » حديثة العهد جدا مع التحفظ بالنسبة لمصر لأن كيانها لأسباب جغرافية كان دائما أكثر تميزا ٠٠

كان من الطبيعى أن يقاتل الالبانى محمد على لتحرير مصر من الاحتلال الفرنسى ، ثم يتصارع مع الطبقة الحاكمة والفئات المتطلعة لحكم مصر ويتغلب عليها بدعم الأهالى ويصبح واليا لمصر ولا يحس هو ولا المصريون بوقوع خطأ أو افتئات ٠٠ ومن سخريات التاريخ ان بعض المنتمين لليسار فى وادى النيل يتحدثون عن « الحاكم الأجنبى » ٠٠ محمد على ! ان ذلك يذكرنى بكلمات الثائر جيفارا الذى هاجمه الشيوعيون لأنه يحارب فى غير بلده فقال : « ان هؤلاء الاوغاد لم يرتقوا الى مستوى الأممية التى كان عليها أجدادنا وهم يحاربون الأسبان » ! وقد كتب الكثير عن فتح محمد على للسودان وكأنها حملة كتشنر أو استعمار مصرى للسودان ٠٠ وكما قلنا لم يكن « محمد على » مصريا ولا كان جيشه من المصريين ، بل المفارقة التاريخية الحارقة أنه فكر فى أن يقيم جيشه الوطنى من السودانيين أولا وليس من المصريين ٠٠ ولا يمكن أن يكون هذا تفكير ناتج استعمارى يريد أن يكون السودان مستعمرة لمصر ٠ وأحسب أن كتاب الدكتور عبد العظيم رمضان : «أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان» قد أشبع هذه القضية بحثا ، خاصة وأن الكتاب جاء فى شكل مناقشة مع بعض النماذج السودانية التى حدثتكم عنها ٠٠ الذين تخلوا عن اية جدية أو ثقافة وهم يتحدثون عن استعمار مصرى للسودان فى عهد محمد على ٠٠ ودليلهم أن الباشا كان مهتما بالبحث عن الذهب وجلب العبيد ٠٠ مع أن الباشا فى نفس الوقت لم يكن أقل اهتماما بثروات مصر فى بناء دولته ٠٠ وهو اذا كان قد جلب العبيد فكما قلنا لينشىء جيشا منهم بنفس الطريقة التى تكونت بها طبقة المماليك فى مصر ٠٠ فلم يكن المماليك سوى عبيد يجلبون من وسط آسيا ، وينخرطون فى النظام العسكرى ويتولون حكم مصر ٠٠ وما من مؤرخ جاد يصنف ظاهرة المماليك فى اطار نظام العبودية والرق الذى يحلو للبعض نقده وكأنه من اختراع المسلمين أو المصريين ٠٠ ومن الطريف ان الخبث الذى يكتب عن استرقاق الباشا أو مصر للسودانيين يستخدم حرفيا فى تأليب السودانيين

الجنوبيين على السودانيين الشماليين ، فالشمالى فى الكتابات الانجليزية والتبشيرية هو تاجر الرقيق الذى كان يخطف الجنوبيين ٠٠ هو «الجلابة» وهو تعبير لا يقصد به المصرى بل هذا السودانى الشمالى الذى يتحدث مثقفوه عن دور مصر فى الرقيق ، بل الأعجب أن ثورة المهدى قامت لأسباب منها تحريم مصر الرق لا ممارسته !

التاريخ يؤكد أن حكومة مصر ابتداء من الباشا محمد على لم تنظر الى السودان قط كمستعمرة ولا عاملته كمستعمرة ولا كان بوسعها أن تفعل ذلك لأن الاستعمار كما يعرف طلبة المدارس ، هو ظاهرة حديثة خاصة بالدول التى دخلت المرحلة الرأسمالية ٠ ويمكن الرجوع لكتاب الدكتور رمضان الذى قدم خطوات ومظاهر الوحدة والاحساس بقومية واحدة فى الفترة التى سبقت الاحتلال البريطانى وأسمح لنفسى هنا بنقل بعض هذه المعلومات : « كان للسودان فى العهد المصرى مجلس شورى ، ينعقد فى كل عام للنظر فى شئونه ، وكان أعضاؤه من خاصة أهله ، بينما كان مجلس الحاكم وأعضاؤه جميعا من الانجليز فى العهد الانجليزى ٠ وكان فى البرلمان المصرى الأول عشرون نائبا عن السودان مما يؤيد شعور بالوحدة بين البلدين ، بينما لم يحدث أن كان فى البرلمان الانجليزى نائب سودانى واحدا ٠ وفى العهد المصرى كان جميع عمد القبائل فى السودان ، ونظار الأقسام ، وأعيان البلاد ، وكبار الموظفين المدنيين - يحملون الرتب والنياشين أسوة بالمصريين ، بل ربما زاد عدد حامليها من السودانيين على عددهم من أعيان الفلاحين ، كما كان هناك ضباط سودانيون عظام ، وحكام سودانيون لمديريات بحر الغزال وسنار وكردفان وبربر وفاشودة ودارفور والخرطوم وفى سنار وغيرها من المديريات ٠ أما فى العهد الانجليزى فلم يعرف السودان مديرا من أبنائه ولا وكيلا ولا مفتشا ولا ضابطا عظيما ولا موظفا كبيرا حتى ولا مأمورا ٠٠ وكانت مصر هى التى أقامت فى السودان المنشآت من مصالح أميرية وجوامع ومدارس ولم تضن عليه بأكبر علمائها وعلى رأسهم رفاعة الطهطاوى ، ومهدت الطرق الصحراوية ، وأدخلت زراعة القطن ، وفتحت السدود النيلية لتسهيل الملاحة فى أعالى النيل ، ومدت شبكات السكك الحديدية ٠ وقد بذلت مصر هذه التضحيات رغم ما كان عليها من الديون، ورغم ما كان لديها من الحاجة الملحة لانجاز مشروعتها ! وقد قدر حجم هذا الاتفاق فى القرن التاسع عشر بمائتى ألف جنيه سنويا كما أنشئت فى الخرطوم نواة لكلية طب فى عام ١٨٧٩ » ٠

المهم انه لم توجد مشكلة وطنية بين مصر والسودان ٠٠ ولا خطر فى بال مصرى أو سودانى حتى الاحتلال البريطانى ، وجود افتراق محتوم فى المصير فضلا عن تناقض وطني ٠٠ ويحضرني هنا بيت شعر

لرفاعة الطهطاوى عن وحدة وادى النيل التى لم تكن مطروحة وقتهـــا كشعار لأنها كانت واقعا ‥ : « نحن غصنان ضمنا عاطف الوجد جميعا فى الحب ضم النطاق » ويقول : « متى زالت من الســـودان وســـائل الوخامة والسقامة، ودخلت أهلها ، بحسن الادارة، فى دائرة الاستقامة، صارت هى والديار المصرية ، فى العمار كتوأمين وفى ايناع الأثمـــار صـــنوين • لا أظن أن رفاعـــة الطهطاوى كان معنيـــا بالرد على أيتـــام غوردون ‥ وانما هذا هو احساس المصرى فى منتصف القـرن التاسع عشر : « مصر والسودان غصنان فى دوحة الوطن » • وكان ابراهيـــم باشا بل ومحمد على والده ينظران للمصريين والسودانيين نظرة واحدة ولو فى اتجاهين مختلفين يقول الطهطاوى ، عن مدرسة المدفعية : « وكان لا يقبل فى مكتب الرجال ـ أى أركان حربية ـ الا الترك والمماليـــك ، ثم انضم اليهم أبناء العرب ، وكانوا لا يحرزون عند الامتحـــان رتب الضابط ، فالمرحوم ابراهيم باشا أبطل هذه الطريقة فى حق أولاد العرب وفى حق أبناء السودان وسواهم بغيرهم ‥ » •

وقد حاول الانجليز من جانبهم ، تزوير التاريخ ، وهم أكبـــر مزيفى تاريخ عرفهم الجنس البشرى ‥ فادعـــوا أن ثورة المهدى فى السودان كانت حركة استقلالية ضد الاستعمار المصرى ! فى نفس اللحظة التى كانت فيها مصر تسقط تحت الاحتلال أو الاستعمار البريطـــانى ! فتأمل كيف نكون مستعمرين بالفتح والكسر فى وقت واحد !! ولم تـكن مصر قد دخلت فى العصر الرأســـمالى بعـد ، فضـــلا عن أن توصف بالامبريالية ، ولم تكن هناك قومية متغلبة مثل القومية الروسية أو التركية حتى يقال انه القهر الاقطاعى ! وهذا ملاحظة بسيطة على ما ذهب اليـــه الدكتور رمضان من أن امتداد الدولة المصرية فى السودان يشبه امتداد الدولة الروسية أو الأمريكية ، أى الامتداد فى الحدود الطبيعية ‥ هناك فارق بالطبع وهو أن امتداد روسيا وأمريكا كان يتم على حساب السكان الأصليين الذين تمت ابادتهم فى حالة أمريكا ، واستعبادهم وازالة كيانهم وحضارتهم فى حالة روسيا ‥ أما فى حالتنا فهو امتداد لسلطة مركزية قوية مسلمة فى بلاد المسلمين ‥ نفس الحضارة ونفس الانتمـــاء ونفس المصالح ونفس المظالم ونفس التقسيم الطبقى ونفس العلاقة بين العسكر والرعية ‥ وقد ناقشنا علاقة الثورة المهدية بالثورة العرابية ومصر فى كتاباتنا الأخرى ‥ وأثبتنا أنها لم تكن ضد مصر الدولة ولا مصـــر الشعب الا بقدر ما يمكن اطلاق هذا الوصف على الثورة العرابية ذاتها. كانت ثورة المهدى ضد حكومة الخديوى التى باعت البلاد شمالها وجنوبها للانجليز أو الاستعمار الأوربى عامة وضد الدولة العثمانية أو التـرك الذين أوصلوا المسلمين الى هذه الحالة • وقد قلنا منذ ١٣ سنة عن ثورة

المهدى : « كانت ثورة ضد الاستعمار الأوربى المتمثل فى الحكام الأجانب والتشريع والنظم المقتبسة من الغرب ، وفى الجهاز الادارى للخديوى الذى خضع للاستعمار الأجنبى وأصبح مجرد نخاس يحفظ الأمن ، وينظم عملية نهب مصر والسودان لصالح الامبريالية العالمية ، وأيضا كانت هذه السلطنة العثمانية ، لأنها بتخلفها ورجعيتها وخنوعها للاستعمار أصبحت الغطاء الشرعى ، الذى تنفذ من تحته الاستعمارية الأوربية ٠ وأصبحت العقبة التى تحول دون قيام حركة اصلاحية اسلامية او مقاومة وطنية ناجحة ، فى أجزاء الامبراطورية التى تتعرض للغزو ٠ فالسلطان هو الذى أصدر منشور تجريم أو عصيان عرابى ، وهو يخوض الحرب دفاعا عن مصر الولاية العثمانية ضد الغزو البريطانى ٠٠ ! وباسم السلطان وتابعة الخديوى كان السودان يوزع بين غوردون ورودلف سلاتين وجيس وبيكر وفرانك ٠٠ وباسم السلطان سيفتح البريطانيون السودان ويسحقون الثورة الوطنية ٠٠ ومن هنا فالثورة السودانية متلاحمة ومتكاملة مع الثورة المصرية (العرابية) تحركها نفس الأهداف وان فاتهما ، لسوء حظ الشعبين ، التكامل التنظيمى ٠ الا انهما كانتا ضد نفس العدو ، الانجليز والخديوى توفيق والسلطة التركية المتمثلة فى الخديوى وكبار الضباط والمديرين ٠ الثورة السودانية تعبر عن هذا الوعى المتكامل فيكتب « الحسن سعد محمد العبادى » وهو من منظرى الثورة السودانية وزميل المهدى فى خلوة الشيخ محمد الخير - يقول محللا ظروف الثورة ومبرراتها : « وقد هجمت الكفرة فجاة ، على جل ممالك البلاد الاسلامية واستولوا عليها بالفعل ، وعكسوا الأمر ، ووضعوا الجزية على المسلمين وأذلوهم واتخذوهم رعية ٠ وصارت أفكارهم متوجهة للاستيلاء على بلادنا السودانية ، وقد فاجأوا واستولوا على مسجد وعش الأولياء مصر المحمية ، ومعلوم عند كل ذى بصيرة نيرة فقهية أن العدو اذا فاجأ محلة قوم تعين الجهاد على كافة أفراد الأمة فرض عين ٠ والآن وقد فاجاها وفاجأ جل ممالك البلاد الاسلامية ، ولذلك فقد فرت بعض العلماء الصالحين والأولياء بدينها من مصر الى جهات الغرب والشرق والشام ، وبعضهم سجن حتى مات كخاتمة المحققين الشيخ محمد عليش « وهو شيخ الأزهر الذى أفتى بخلع توفيق » أهذا كلام يصدر عن ثائر يخوض حربا ضد مصر كما يزعمون ؟!

يكفينى هذا النص للرد على من فسق الاستعمار البريطانى فى عقولهم ، الذين يدعون أن الثورة المهدية كانت ضد مصر ٠٠ ولنذكر أن المهدى حاول أن يأسر غوردون حيا لكى يفتدى به « أحمد عرابى » ٠٠ وكان فى نيته مواصلة الزحف لتحرير مصر فقد كتب المهدى للخديوى توفيق ما كان عرابى سيكتبه لو أنه لجأ الى السودان قال المهدى للخديوى:

« فسلمت أمر أمة محمد لأعداء الله الانجليز وأحللت لهم دماءهم وأموالهم ٠٠ وما كان يحسن بك أن تتخذوا الكافرين أولياء من دون الله وتستعيذوا بهم على سفك دماء أمة محمد ٠٠ وها أنا قادم الى جهتك بجنـــود الله عن قريب ان شاء الله تعالى ، فان أمر السودان قد انتهى » ولا شـك انه لولا أن الأجل وافى المهدى لنفذ وعده وتوجه الى مصر التى وضع بنفسه خطة فتحها وأصدر أمره بالحملة فى ٢٦ مايو ١٨٨٥ ٠٠٠ وهــو ما فعله خليفته ٠٠ ولا أدرى ماذا يقول ايتام غوردون فى عبارة أن أمر السودان قد انتهى ومن ثم يتوجه المهدى الى مصر ٠٠ ما دخل المهدى فى مصر وما حقه فى تحرير مصر ؟ ! الا أنه كان يتخطى بمفهومه القومى رسالته التحريرية ، اقليمية وانفصالية وطائفية أدعياء المهدية بعد قرن من الزمان ! هذا زعيم ثائر حرر نصف الوطن ويلتزم بتحرير النصف الآخر ٠٠ ويقول وينغت ان نساء الثورة الســـودانية كن يغنين « الى القاهرة ٠٠ الى القاهرة ٠٠ » وياليتهن قدمن ٠٠ لكانت دولة وادى النيل قد قامت وعلى رأسها حكومة سودانية ولكان شعبها فى مصر والسودان أكثر حظا ٠ ولا يفوتنى هنا أن أشير الى واحد من رجال الثورة العرابية، هو شخصية مصرية عجيبة بمقاييسنا ، منسجمة تماما مع شـــموخ ونضج الثورة العرابية التى يبدو اننا لا نعرف عنها الكثير ، واعنى به أحمد العوام الذى ترك أخطر وثيقة عن تلك الفترة ، أيد فيها الثـــورة المهدية دينيا وثوريا ، وفعل ذلك وهو فى قبضة غوردون حاكم السودان الانجليزى الذى أعدمه بسبب موقفه هذا وأتمنى لو أتيحت الفرصـــة لكشف تاريخ هذا المصرى العظيم ٠ واخيرا الجيش «المصرى» الذى أباده المهدى فى موقعة شيكان ، الم يكن بقيادة الكولونيل هيكس البريطانى ٠٠ هل كان دور الجنود المصريين المجبرين على القتال تحت امرته يزيد عن دور الفرقة الهندية التى اشتركت فى احتلال مصر عام ١٨٨٢ ٠٠ هـــل يجوز أن يعكف المؤرخون المصريون على كتابة تاريخ الحرب ضــــد الاستعمار الهندى استنادا الى حقيقة اشتراك الهنود فى احتلال مصر أو ضرب ثورة ١٩١٩ ؟!

واذا مضينا مع التاريخ فسنجد أن أول وزارة مصرية أجبرت على الاستقالة ، كانت حكومة شريف باشا وكان السبب هو رفضها الاستجابة لأوامر سلطات الاحتلال باخلاء السودان وقـال شريف باشا بدوره كلمة مأثورة : « اذا تركنا السودان فالسودان لايتركنا » وربما كان شريف هو أول رئيس حكومة مصرية جعل وحــدة وادى النيـــل مقـــدمة حتى على استقلال مصر ٠٠ فقد قبــــل شريف باشا أن يشـــكل حـكومة فى ظـــل الاحتلال ولكنه لم يقبل التخلى عن التراب بالانســـحاب من السودان ٠ وسنجد أن أول صـــحيفة أجنبيـــة أغلقت فى مصر بعــد الاحتــــلال

كانت صـــحيفة لابورص اجيبسيان لأنهـــا نشرت فى ابـــريل ١٨٨٥ منشورا للمهدى يهاجم فيه الحكومة فى القاهرة الخاضـــعة للاحتـــلال البريطانى وأول اعتيال سـياسى وقـع فى القـاهرة كان ضـد رئيس الوزراء الذى اعترف بالاحتلال الانجليزى للسودان فى اتفاقية ١٨٩٩ ·· ولما قامت ثورة ١٩١٩ وقام الحكم الوطنى والأحزاب ، أصبح السـودان هو جوهر القضية الوطنية بعد ان اعلن الانجليز استقلال مصر واصبحت القضية المصرية نظريا هى قضية الوصول الى اتفاق مع بريطانيا حـول تنظيم العلاقة بين دولتين مستقلتين ·· وهنا شكل السودان العقـــدة التى استحال على المتفاوضين تخطيها ، لأنه ما من مصرى كان يقبـــل فصل السودان ، وما من حكومة مصرية كانت تقبل تسوية لوضع مصـر على أساس فصـــل السودان ·· وبالمقابل لم تكن بريطانيا بالتى تقبـــل وحدة وادى النيل ·· وتحضرنى هنا كلمة النحاس باشا : « تقطع يدى ولا يقطع السودان » وكان ذلك يعنى الغاء المفاوضات وطرد حـــكومة الوفد من الحكم ·· بل حتى صدقى باشا ظل يحاور الانجليز حتى انتزع منهم نصا بقبول وحدة وادى النيل تحت التاج المشترك لتتراجع حـكومة بريطانيا تحت ضغط الجماعات الاستعمارية ، وتسحب التصريح وتسقط المعاهدة ويسقط معها صدقى باشا ·· واليكم كلمات شـــيخ المؤرخين المعاصرين عبد الرحمن الرافعى فى عام ١٩٤٨ : « وقامت الأمة المصرية تستأنف جهادها لتحقيق أهدافها القومية ، وفى مقدمتها الجلاء ووحـدة وادى النيل ·· والأمة من ناحيتها متمسكة بالجلاء المطلق الشـــامل لأرجـــاء هـــذا الوادى ، وبالوحدة الفعلية بين مصر والســـودان ، تلك الوحدة الطبيعية التى برهنت الحوادث قديمها وحديثها على انها ضرورة حيوية لكليهما ، وفيها الضمان لحفظ كيانهما ، وهى السياج لأمنهمـــا واستقلالهما ، والنصر فى هذا النضال مكفول باذن الله للأمة بفضل ثباتها واخلاصها فى أداء واجبـــاتها نحو الوطن وبنيـــه ، شمالى الـــوادى وجنوبه » ·

ولا حاجة للاطالة للبرهنة على مدى عمق الارتباط مع السودان فى وجدان الحركة الوطنية المصرية ، ومدى ارتباط تاريخ « المواطنين » فى مصر والسودان أو حتى اذا سمحنا لأنفسنا بالحديث عن « الشعبين » فى مصر والسودان ، الأمر الذى أدى الى فشل جميع المحاولات لتعـديل المعاهدة المصرية ــ البريطانية · أو الوصول الى تسوية مع الانجليز رغم رغبة كل الأطراف تقريبا فى الوصول الى هـــذه التســـوية ·· والسبب الأساسى الواضح على الأقل هو رفض أو عجز أية حكومة مصرية عن قبول فكرة أو احتمال انفصال السودان ·· ولاعطاء فكرة عن مدى عمق مطلب وحدة وادى النيل فى أعماق الجماهير المصرية نورد تلك القصة

عندما أدرك صلاح سالم أن الوحدة ضاعت فاقترح على عبد الناصر أن يجعل الأمر بيده لا بيد عمرو فتتطوع مصر باعلان استقلال السودان حتى لا يبدو تاريخيا وكأنه انتزع من براثنها فاقترح على عبد الناصر أن يتوجه للخرطوم ويعلن هناك استقلال السودان بقرار منفرد من جانب مصر ۰ فكان رد عبد الناصر : « اذا كنت سأذهب للسودان وأعلن استقلاله ۰۰ فالأفضل أن أتوجه الى الكنغو ولا أعود الى مصر بعد أن أعلن هذا الاستقلال » ۰

كان الأمر يحتاج لجهد كبير ينسى الشعب المصرى السودان ، وهو ما حققته سلسلة عمليات صفقة السلاح وباندونج وعدم الانحياز وحلف بغداد ومعركة السد وتأميم القناة ، ثم العدوان الثلاثي والخوف على مصر ذاتها والموقف المخزى لحكومة السودان وقتها ، ثم الانتصار على العدوان ، مع شيء من السجن والاعتقالات والخوف والجوع والبطش ، والكثير من التعتيم على الحقائق والمعلومات ، والسخرية من وحدة وادى النيل كما فعل الأستاذ محمد حسين هيكل ۰۰ ونسى السودان ، ولم يضطر عبد الناصر للذهاب الى الكونجو ، فقد ارسل ذاكرة الشعب ووحدة وادى النيل بدلا منه الى هناك ۰۰ وان كان لم يفته ارسال الجيش بعد ذلك للكونجو ! ۰۰

حكومة الوفد الأخيرة نسفت كل الجسور ووضعت العقدة فى المنشار كما يقولون عندما أصدرت مرسوم اعلان الملك ملكا لمصر والسودان۰۰فأصبح نصا دستوريا ، بل ومقدسه وطنية لا سبيل الى مسها ۰۰ كما الحقت ذلك بالقانون رقم ١٧٧ لسنة ١٩٥١ بمنح الحكم الذاتى الكامل للسودان ، وقد ورد به : أن يكون للسودان دستور خاص ، تعده جمعية تأسيسية وانشاء مجلس وزراء من أهل السودان ، وتولى الملك سلطته بواسطة وزرائه ، وتقرير مسئولية الوزراء متضامنين لدى الهيئة النيابية ، أو لدى المجلس المنتخب على الأقل ، عن السياسة العامة للوزارة ، وكل منهم من أعمال وزارته ۰

واذا كنت قد انتقدت فى كتاباتى حكومه سعد زغلول لأنها لم تعين ممثلين للسودان ولو فى مجلس الشيوخ الأول ، الا أن لى تعليقا على نقد الدكتور رمضان للحكومة المصرية على : « عدم دعوة مصر أحدا من أبناء الجنوب للاشتراك فى المحادثات التاريخية التى جرت فى القاهرة بين الأحزاب السودانية والحكومة المصرية فى أكتوبر ونوفمبر ١٩٥٢ ۰ وقد أرجع د/ رمضان السبب فى ذلك الى أن الجنوب لم يكن به حزب يستطيع أن يدعى أنه يتحدث باسم الجنوب كله فى المطالبة بالحكم الذاتى وحق تقرير المصير ۰ وأضيف وأيضا لأن الانجليز لم يسمحوا ، وهذا أيضا كانت مسئولية السودانيين أولا ۰۰ وقد كانت هناك حساسية شديدة ازاء

محاولات الانجليز طرح الجنوب ككيان منفصل أو حتى متميز ، فكان الاتجاه العام هو اعتبار أحزاب السودان أحزابا قومية ٠٠ ولم يكن لا من السياسة ولا من اللياقة تخطى أحزاب السودان كلها ودعوة الجنوبيين من فوق رؤوس هذه الأحزاب ٠٠ والقضية تبدو اليوم فى صورة مخالفة بعد التطورات التى جعلت من الجنوب كيانا منفصلا ، اما وقتها فلا ٠

ويقال : ان حكومة الوفد كانت قد أعدت مراسيم اقالة حاكم السودان لولا أن عاجلتهـا هى الاقالة ٠٠ أريد من هذا القول أن أصـور مدى المخاطرة ، ولا أقول التضحية التى أقدمت عليها حكومة ٢٣ يوليو بقبول مبدأ الاستفتاء ، وأعترف أنه قد مرت على فترة كنت مقتنعا فيها بسلامة نية الضباط الحاكمين ، وكان تفسيرى لغلطتهم هذه ، أنها صدرت تحت قناعة تبلغ حد اليقين من أغلبية أعضاء المجلس وتنظيم الضباط الأحرار بالآتى :

١ ـ أن الشعب السودانى لن يختار الا الوحدة مع مصر اذا ما تحررت ارادته فى الاختيار ٠

٢ ـ أن هـذا الاجراء هو لعبـة ذكية تسحب البسـاط من تحت رجل الانجلىز ، اذ يجردهم من كل حججهم فى المماطلة فى الجلاء عن مصر والسودان ٠

٣ ـ وجود ضـغط أمريكى ووعد أمريكى ٠٠ بأنه من المستحيل قبول الانجليز ضم السـودان لمصر دون اجراء يحفظ ماء وجههم ! ٠٠ والوعد بأنه لا خدعة فى الأمر ، وأن أمريكا تضمن خروج الانجليز من مصر والسودان ٠

يعزز ذلك أنه حتى ٢٥ مارس ١٩٥٤ كان صـلاح سالم يتحدث لمجلس الثورة : « المشاكل المودعة فى السودان بعد أن أصبح مضمونا قيام الاتحاد بين البلدين ٠ وقد أطال فى هذا الموضوع وأطال المجلس الاسـتماع له وحتى يوليـو (١٩٥٤/٧/٢٩) كان « اتلى » رئيس الوزراء السابق والبعيد عن خبـايا السياسـة الامبراطورية يتهم حزب المحافظين بالقاء السودان فى البحر وانه يتوقع أن « يسقط » السودانيون درة أخرى فى يـد المصريين » وفى جلسـة مجلس الثورة ٢٥ مارس ١٩٥٤ حدد عبد الحكيم عامر أهداف الثورة كالآتى :

« **الهدف الأول :** الاستعمار والتخلص منه » ٠

« **الهدف الثانى :** السودان وقيام الاتحاد معه » ٠

« **الهدف الثالث :** الاصلاح الزراعى وضمان تنفيذه » ٠

وصلاح سالم اعتبر : (انفصال السودان خيانة وطنية لا يجرؤ على مواجهة الشعب بها ولا حمل مسئوليتها تاريخيا ٠ وان الذين اتهمهم بالعمل على تحقيق الانفصال « من المصريين » « ارتكبوا جريمة الخيانة العظمى » وقد وافقه عبد الناصر على ذلك الوصف) ٠ صلاح سالم – على الأقل – لم يكن يختلف فى تفكيره وتقديره للسودان عن الوزير الوفدى « طه حسين » الذى اتهم محمد صلاح الدين بالخيانة لأنه أدلى بتصريح دون الرجوع للحزب ! يوافق فيه على انفصال السودان اذا اختار السودانيون ذلك ٠

وفى الحقيقة لو أن هذا التصور كان التصور الوحيد لدى القيادة المصرية ، لما أمكن اتهامهم بأكثر من « الغفلة » مع حسن النية ، فقد انطلى الزور عليهم وصدقوا أن الانجليز يمكن أن يرحلوا من السودان ويتركوا شعبه يختار الاتحاد مع مصر ، كأن الانجليز فعلا كانوا فى السودان ستين سنة لتأهيله للاستقلال ، وكانوا فى صدام مع الحركة الوطنية المصرية طوال هذه الفترة ،دفاعا عن حق السودانيين فى تقرير المصير ، ومن ثم سيقبلون طائعين قرار الاتحاد شرط أن يصدر عن ارادة حرة للسودانيين !! هذا هذر لم يكن الانجليز أنفسهم يجرؤون على ترديده بشكل جاد ٠٠ وبعيدا عن الدعاية الرخيصة ٠٠

ولكن فى اطار هذا التصور كان يمكن أن نلمس العذر للقيادة المصرية الحديثة عهد بالسياسة وألاعيبها ٠ اذ انطلقت من قاعدة راسخة فى القناعة المصرية ، وهى استحالة اختيار السودانيين الانفصال اذا ما أتيحت لهم فرصة الاختيار الحر بعيدا عن ضغط الانجليز ٠٠ وهذا ما حدث فعلا واختار السودانيون الاتحاد ٠٠ كذلك يمكن القول أن القيادة ، الجديدة تفاءلت وعلى رأسها زعيم والدته سودانية وأبوه وخاله دفنا فى السودان ، وساهم هو شخصيا فى الحركة الوطنية بالسودان قبل ثلاثين سنة ٠٠

اذن كان لهم عذرهم فى المخاطرة أو تحدى الانجليز بقبول فكرة « حق تقرير المصير » اذا ما قبلنا هذا التفسير ٠٠ وكما قلت لكم كنت أنا شخصيا مقتنعا به مدة الى أن بدأ نشر الوثائق ، وبصفة خاصة مذكرات البغدادى ، الذى كان عضوا فى مجلس الثورة ، وظل به الى أن أعلن حل هذا المجلس ٠٠ فقد ورد على لسان صلاح سالم بعدا آخر للقضية شديد الخطورة ، وهو ما يدور حوله حديثنا ، اذ اكتشف صلاح سالم وهو مكلف بتحقيق وحدة وادى النيل ،أن القيادة العليا لها مخطط آخر وأنها متفقة مقدما على الانفصال ٠ وأستبق الأحداث فأقدم هنا وثيقة تعزز شكوك صلاح سالم وتثبت أن قيادة مجلس الثورة كانت تعرف وفى وقت مبكر جدا أنها تتخلى عن السودان ، فقد كتب السفير الأمريكى لحكومته

في ١٢/١٠/١٩٥٢ : « نجيب وضباطه يدركون بوضوح أنهم يتخلون عن سياسة حكومات مصر الماضية التى كانت تطالب بوحدة وادى النيل »
وقال نفس السفير : « ولو أن المصريين قلبوا المائدة على الانجليز بطرح مقترحات تؤيدها الأحزاب السودانية الرئيسية والتى تهدف الى انهاء السيطرة البريطانية على السودان ٠ الا أن الحقيقة هى أن بريطانيا كسبت معركة ابعاد المصريين من السودان والمصريون يعرفون ذلك » على أية حال هذا زعم أمريكى لا يصلح وحده لادانة المصريين بل لابد من شاهد آخر مصرى ٠٠ وهو ما ينعدم به صلاح سالم نجم انقلاب ٢٣ يوليو وصوته الداوى الى أن سقط مع وحدة وادى النيل ٠

ونعود للتاريخ المعروف فنقول انه عندما بدأ الأمريكيون الضغط على الانجليز لحل المشكل الرئيسى بين مصر والغرب ٠٠ أى الجلاء ووحدة وادى النيل ٠٠ كانت قضية الجلاء مرتبطة من وجهة نظر الانجليز بقبول استمرار القاعدة البريطانية فى منطقة قناة السويس ومبدأ الدفاع المشترك ٠٠ أما قضية السودان ، فكانت حكومة الوفد قد سدتها ـ كما قلنا ـ سدا محكما غير قابل للحل أو المساومة ، وذلك عندما استجابت للقناعة الجماهيرية وحولت وحدة وادى النيل من مطلب الى قانون ٠

يقول سلوين لويد : « فى ٨ أكتوبر ١٩٥١ قدم النحاس باشا ثلاثة مشاريع بقوانين الى البرلمان المصرى ٠٠ الأول يقضى بالغاء المعاهدة البريطانية ـ المصرية لعام ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ الخاصة بالسودان ٠ من جانب الحكومة المصرية وحدها ، والثانى اعلان وحدة مصر والسودان ٠ والثالث بسلطات ملك مصر والسودان » ٠

وقد أمكن التخلص من توتر الموقف ومنع الانفجار الشامل بحرق القاهرة واقالة حكومة الوفد ، ثم بالانقلاب العسكرى الذى وضع زعماء الوفد فى السجن ٠ ولكن الوفد كان قد نسف الجسر الذى يمكن أن يعبر عليه أى « زيور » أو « زاهدى » جديد ، وذلك بمرسوم « وحدة مصر والسودان » و « تحت التاج المشترك » والمناداة بملك مصر « ملكا لمصر والسودان » وقد انتقل اللقب الى الطفل « أحمد فؤاد » بعد خلع فاروق ، ولكن ما من حكومة مصرية كان بامكانها أن تصدر مرسوما يلغى لقب ملك مصر والسودان ، وقصره على ملك مصر أو اخراج السودان من التاج المشترك ٠ وقد عبر ايدن بعد ذلك عن ارتياحه وهو يمدح رجال يوليو لأنهم قضوا على عقبة السودان فقال : « الصخرة التى كانت تنحطم عليها المفاوضات هى مطالبة مصر الدائمة بوحدة مصر والسودان تحت التاج المصرى ، وانجلترا كان يهمها دائما ابعاد السودان عن مصر وتعمل على

أن ينال استقلاله الذاتى لأن ذلك يحقق مصالحها » ، نقلا عن بغدادى الذى لم تواته الصراحة الكافية لكى يقول وقد « حققنا لبريطانيا مصالحها كاملة » .

كان الأمريكان وبعض الانجليز يفكرون فى حل يقوم على التسليم باللقب ففى اجتماع وزيرى الخارجية البريطانى والأمريكى سأل الأخير : « ألم تحكم المحاكم البريطانية بأن ملك مصر له الحق فى لقب ملك مصر والسودان ؟ فاضطر الوزير البريطانى الى الوعد بالبحث عن لقب أقل من ملك » « وفى مذكرة لسكرتير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط وافريقيا قال : « ان الولايات المتحدة تعتقد ان القوى الأربع (أمريكا ــ بريطانيا ــ فرنسا ــ تركيا) يجب أن تكون مستعدة لقبول اللقب الرمزى لفاروق كملك للسودان مع ضمانات لمنح حق تقرير مصير للسودانيين » . وفى مذكرة لسكرتير الخارجية الأمريكية بتاريخ ٢٧ فبراير : « ان الولايات المتحدة قلقه لعدم الاتفاق مع بريطانيا وهى تحث المملكة المتحدة للوصول الى صيغة على أساس قبول لقب ملك مصر والسودان فى اطار حق تقرير المصير للسودانيين .. » بل حتى بريطانيا أبلغت الولايات المتحدة فى ٢٨ يناير ١٩٥٢ انها : « وان كانت غير قادرة على الاعتراف بالملك فاروق ملكا لمصر والسودان الا أنهما لن تعارض اعتراف الدول الأخرى » .. ثم جاء الحل من أوسع الأبواب .. باسقاط التاج وهو ما كان الموظفون الانجليز فى السودان قد روجوا له عندما شنوا حملتهم ضد عبارة : « تحت التاج المشترك » فسموه « تحت المهرج المشترك » لعبا على التشابه بين لفظى Crown أى التاج و Clown أى المهرج .. كان الحل هو « اسقاط التاج المشترك » .. وقد حدث وأعلنت الجمهورية واختفى ملك مصر والسودان ووصف بما هو أبشع « من المهرج » ولم يعد السودان تحت التاج المشترك ولا حتى مصر .. وبذلك أطلقت يد الثورة فى المساومة مع الأمريكان والانجليز . وقد شهد سلوين لويد الوزير البريطانى : « أعلى حكام مصر الجدد تنازلا لم تقدمه حكومة مصرية من قبل وهو حق السودانيين فى تقرير المصير » .

وكتب فى الطبعة الأولى من كتابى : « كلمنى للمغفلين » قد وصلت بالتحليل وحده الى دور الأمريكيين فى الغاء الملكية ولكن صدر بعد ذلك كتاب الناصرى الكبير المرحوم فتحى رضوان الذى تطوع بالشهادة بأن الغاء الملكية كان قرارا أمريكيا . وكان الأمريكيون ــ كما تؤكد كل المصادر المنشورة عن تلك الفترة ــ يضغطون لاخراج الانجليز من مصر

والسودان ٠٠ ولم يكن لدى الأمريكان المشتغلين بالمسألة المصرية البريطانية رغم نصائح الانجليز ومطالب جمعيات التبشير والمرتبطين بهم من المصريين ، لم يكن لديهم اى ممانعة فى ارتباط السودان بمصر برابطة اتحادية ما ، فقد كانوا على ثقة من مركزهم فى مصر ٠

ولكن الاستراتيجية البريطانية منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية ، كانت تستهدف فصل السودان نهائيا عن مصر ٠٠ وجعله مقرا للامبراطورية البريطانية الافريقية ، أو الامبراطورية الثالثة كما كانوا يسمونها ويحلمون بها ، واستبعاد أى احتمال للاختفاء فى الحكم المباشر فى السودان قبل نهاية القرن ٠٠٠ وللمزيد من الاحتياط تم فصل الجنوب وترك الشمال المسلم العربى كآخر ورقة فى المساومة ، وفى نفس الوقت ، كانت بريطانيا تعتمد على « المشكل » السودانى ، والاصرار المصرى على وحدة وادى النيل ، مع العجز عن تحقيقها كمبرر لتأجيل الجلاء عن مصر ٠

فلما جاء انقلاب ٢٣ يوليو ، وقررت أمريكا أنها الفرصة الأخيرة ٠٠ اذ وجد الحكم القوى الذى يستطيع قبول ما لا يرضى به الشعب ٠٠ بدأت كما قلنا الضغوط الحاسمة على الانجلبز ، وهنا قاتلت الامبراطورية العجوز معركتها الأخيرة ، وصممت أنها لن تقبل بأى حال اتحاد السودان مع مصر ٠٠ وكانت تأمل فى سقوط النظام اذا ما قبل ولو مبدأ الانفصال ، أو تدبير انقلاب بريطانى ضده ، يجمد الموقف مرة أخرى ، كما كان يحدث فى سوريا من تبادل الأمريكان والانجليز للانقلابات ٠٠ أو على الأقل يعجز النظام الجديد عن فرض فصل السودان على الشارع المصرى ، أو فى النهاية يتم الجلاء وتتنازل مصر لبريطانيا عن السودان ٠

وأيقنت الولايات المتحدة أن رفض بريطانيا لاتحاد مصر والسودان هو رفض نهائى لا سبيل لتذليله ٠٠ لا بالمساومة ولا بالضغط فى الحدود المسموحة بها بين الدولتين لأنه يمثل استراتيجية بريطانية أساسية وسياسة تاريخية فى اضعاف مصر ومنع امتدادها ، وقضية حيوية لحماية المصالح البريطانية الاستعمارية والصليبية فى افريقيا السوداء ، ولو كانت وحدة وادى النيل قائمة ، لتذكر الأوغنديون أنهم كانوا جزءا من السودان ومن مصر وكان حاكمهم يعين من القاهرة ، ولتنبهوا وهو الأهم أنهم فى « وادى النيل » يصبحون أكثر أمنا على دينهم وحريتهم ٠٠

وصادف هذا الموقف البريطانى هوى لدى المبشرين الأمريكان ، والاستعماريين التقليديين — فى الادارة الأمريكية — من أعداء الامتداد العربى الاسلامي في افريقيا ، والمدرسة الصهيونية التي ترفض أية تقوية

لمصر ، والتى تعتقد أن الضغط على الشعب المصرى أو خنقه داخل حدود مصر هى أفضل وسيلة لانهيار مقاومته وقبوله السيادة الاسرائيلية على المنطقة ٠٠ أو على الأقل تقليل فعاليته ٠

ومن ثم كانت الصفقة هى اقناع الانجليز بقبول الجلاء عن السودان مقابل عدم اتحاده مع مصر ، واقناع المصريين بالتركيز على تحقيق الجلاء وبناء قوة مصر بدلا من « الجرى وراء سراب وحدة وادى النيل » التى لن يسمح بها الانجليز أبدا ٠٠ أو « أوهام وضغوط وحدة وادى النيل » كما سماها مؤرخ الناصرية !!

وهذا ـ كما تبين أخيرا ـ هو ما اقتنعت به وقبلته «الجهات العليا» فى مصر والتى كما سنرى كانت أكبر وأعلى من مجلس الثورة ، وما ضم من وطنيين بسطاء ٠٠ ولكن عملية الاخراج اقتضت الاقتصار على قبول مبدأ حق تقرير المصير مع الترويج والايعاز ، بأنهم انما حرروا رجل الانجليز وان السودان لن يقبل الا الاتحاد مع مصر ، وكل الدلائل كانت تعزز هذا الظن ٠٠ وكلنا كنا نغنى مع عبد الوهاب : « السودان لمصر ومصر للسودان » وعلى ثقة من تأكيد شادية أنه : « ولا السودانى يسيب مصره » وحتى اذا ما حاول الانجليز الملص فان ذلك سيخلق وضعا جديدا يمكن لمصر استثماره ٠ بينما كان الآخرون قد بدأوا العمل سرا فى تنفيذ الاتفاق الأنجلو ـ أمريكى بفصل السودان وجلاء الانجليز على كره منهم ٠

وقبل ان ننتقل الى التنفيذ نقول كلمة عن المبدأ ٠٠ فقد كان التسليم بحق تقرير المصير هو الاعتراف بانفصال السودانيين عن المصريين ، والتخلى عن مبدأ « من غير المعقول ان نستفتى أسيوط مثلا » وليس فى التاريخ الا حالات نادرة جدا طرح فيها حق تقرير المصير وانتهى بالوحدة ، خاصة وأن رجال ٢٣ يوليو سقطوا فى الفخ اللغوى وجعلوا الاستفتاء ليس بين الوحدة والانفصال بل بين الوحدة والاستقلال كأن الوحدة هى النقيض للاستقلال أو اذا قيل أن « حل عقدة السودان » كان شرطا لتحقيق الجلاء وما جره من خسر ، فالرد على ذلك أولا من ادعاءاتهم هم ، اذ يؤكدون أن بريطانيا أجبرت على الجلاء بعدما استحال عليها الوجود فى القناة بفضل حركة المقاومة المنظمة التى قادها عبد الناصر والمخابرات المصرية ضدهم ، لا المقاومة الفوضوية الارتجالية الوفدية ٠٠ الخ ان كان ذلك صحيحا ٠٠ فالجلاء اذن كان مضمونا فلماذا تطوعت حكومة الثورة بدفع بقشيش بمثل هذا الحجم وهو التنازل عن نصف الوطن الذى تسلموه ؟! لماذا ٠٠ ؟!

ثانيا : لو كانت ٢٣ يوليو تتمتع بالثورية المفروضة لأمكن تنظيم مقاومة فعلية ضد الاحتلال لا فى مصر وحدها ، بل فى مصر والسودان ،

ولتحقق الجلاء وتمت الوحدة بالاسلوب الفيتنامى ·· لا البورقيبى ·· وان كان حتى بورقيبة نال « تونس » كاملة · كان الوضع فى السودان أكثر من ناضج للثورة ، لو قام وضع ثورى حقيقى فى مصر رفض المساومة وصمم على المجابهة الثورية مع الانجليز · وها هو السفير الأمريكى يشهد بذلك : « اذا تشدد الانجليز وانهارت المفاوضات حول السودان ، فان مركزهم فى السودان سيتدهور وباستمرار وستكون هناك متاعب تنتهى باجبارهم على الانسحاب » ولكن المفاوضات استمرت وتجنبت الانهيار لأن الجانب المصرى فرط فيما لم يصدق حتى الأعداء أنه قابل للتفريط ·

ويثير الشيوعيون حتى اليوم بعض الغبار حول حكاية تقرير المصير ·· ففى وصية هنرى كورييل قائد وممول التنظيم الشيوعى المعروف باسم الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى نجده يفخر بأنه هو ومنظمته أول من رفع شعار انفصال السودان وحق اليهود فى وطن قومى فى فلسطين ·· واذا رجعنا للتاريخ الشيوعى نجد أن حق تقرير المصير فى الفكر الشيوعى كان يستند لنظرية ستالين فى القوميات ·· ولكن للمصادفة العجيبة فان الشيوعيين المصريين والسودانيين قد أخذوا نصف نظرية ستالين وتنكروا للنصف الآخر بما يحقق الهدف البريطانى تماما · فقد قال ستالين : « ان حق تقرير المصير «الثورى» يقوم على اقرار الشيوعيين فى القومية الكبرى بحق الانفصال للقومية الصغرى ، بينما يقاتل الشيوعين فى القومية الصغرى من أجل الاتحاد مع القومية الكبرى » ، وقد كانت تلك النظرية حلا عبقريا لاستبقاء وحدة الامبراطورية الروسية وطبقه ستالين بالحديد والنار اذا اعتبر أى دعوة للانفصال من جانب القوميات الصغرى دعوة رجعية تتنكر للفهم الثورى لحق تقرير المصير ·· أما فى قضية وادى النيل فقد أيد الشيوعيون فى مصر والسودان الانفصال ! وكان الحزب الشيوعى السودانى على صلة طيبة جدا بالمهديين والانجليز ، وصوت بحماسة مع فصل السودان تحت ستار مكافحة الحكم العسكرى الفاشى فى مصر ·· نفس الحكم الذى تحول الحزب الشيوعى السودانى بعد ذلك الى أكبر مؤيد له ولكن بعد تمزيق الوطن · ان الثوار الوطنيين يقدمون الوطن على النظام ، ولكن الشيوعيين السودانيين رفضوا الوطن واختاروا النظام !!

بدأت الثورة تعالج قضية السودان أو تحل « العقدة » أو تدفع بعض ثمن الجلاء ·· فاختارت « صلاح سالم » الذى وصف نفسه بأنه يجهل كل شىء عن السودان وقال : « لم أقرأ فى حياتى قبل ٢٣ يوليو عن السودان سوى كتابين احدهما لعطا اثناسيوس عن الصيد فى جنوب

السودان . والثانى لتشرشل بعنوان « حرب النهر » ولم يكن لى صديق سودانى واحد يحدثنى وأتحدث معه فى شؤون بلاده وأهله . ولم أسمع شيئا عن السودان الا من والدى الذى أمضى زهرة شبابه وحياته فى ربوع القطر » .

وكانت مصر تضم المئات ان لم نقل الآلاف ممن عاشوا فى السودان ولقضية السودان ولهم صداقات بل ومكانة قيادية لدى السودانيين ، ولكن الثورة لم تختر أحدا منهم ولا استعانت بأحد منهم .. ولن نشير الى الزعامات المصرية التى كانت لها قوى سياسية وجماهيرية فى السودان مثل الوفد والاخوان والشيوعيين فهؤلاء كانوا فى السجن أو العزل . كان لديهم مثلا « فتحى رضوان » وهو صاحب تاريخ عريض فى الدعوة لتراث الحزب الوطنى ، والتمسك بوحدة وادى النيل ... ولكنهم أعطوها للصاغ صلاح سالم .. ولكن حتى « صلاح سالم » لم يكن المسؤول الحقيقى عن السودان لدى « الجهات العليا » فى مصر !!

وقد مثل مصر فى اللجنة الخماسية التى تولت حق تقرير المصير حسين ذو الفقار صبرى ، وهو شقيق على صبرى ، مدير مكتب جمال عبد الناصر للشئون السياسية ، وهو الذى اتهمه صلاح سالم بأنه ينفذ مؤامرة فصل السودان ..

وقد نجح صلاح سالم نجاحا كبيرا فى البداية وخاصة فى جنوب السودان ، والجنوب كان الجانب الشائك الذى زعم الانجليز أنه لا يمكن أن يقبل الاتحاد .. فاذا بصلاح سالم يكسبه برقصاته ، أو هكذا حرصت الصحافة البريطانية على تصوير الموقف ، بينما الحقيقة أن الجنوبين الذين عاملهم الانجليز معاملة الحيوانات وحرصوا على ابقاءهم عراة ومنعوا عنهم الثقافة والحضارة ، وحولوا جنوب السودان الى « سفارى » آدمى .. رأوا زعيما أسمر اللون شديد السمار يتحدى الانجليز ويأتى اليهم ويأكل معهم ويرقص معهم ، ويسب الانجليز فى قلب جنوب السودان ويعدهم باخراج السيد الأبيض .. فعشقوه ..

ولأن وحدة وادى النيل كانت متجذرة فى الضمير الوطنى المصرى والسودانى ، فلم يكن من السهل القضاء عليها من أول جولة ولذا عندما أجريت الانتخابات فى ٢٥ نوفمبر ١٩٥٣ تحقق ما كان يأمله الوطنيون فى مصر والسودان ، فقد سقط حزب الأمة حزب العمالة لبريطانيا والعداوة لمصر سقوطا فاحشا .. ولم يجد العجوز سلوين لويد ما يفسر به ذلك الا الزعم بأنه نتيجة أفعال التعايشى « اذ عرفت أن حزب الأمة لم يفز فى أى دائرة من التى حكمها الخليفة التعايشي » ! والتعايشى حكم

السودان كله ! والأنصـــار ليس لهم أى علاقة فى ذاكرة السودانيين بالتعايشى من أيام حكم التعايشى نفسه الذى اعتقلهم !

المهم فاز الحزب الوطنى الاتحادى الذى خاض الانتخابات حول مبدأ « الاتحاد مع مصر » فاز بـ ٥٤ مقعدا وحزب الأمة ٢٠ مقعدا والجمهورية ٤ والمستقلون ١٢ ثم انضمم الجمهورى للاتحاد فأصبح له ٥٨ مقعدا وللأمة والمستقلين ٣٢ .

ويقول بغدادى :

« وهذا النجاح جعل أملنا فى الاتحاد مع السودان كبيرا ولكن هذا الأمل خاب وسيأتى ذكر أسباب هذا الفشل » .

المهم أن هذه النتيجة لأول انتخابات أو استفتاء فى تاريخ السودان هى كلمة الفصل فى بطلان أى زعم بأن الوحدة كانت وهما أو مطلبـا مصريا من جانب واحد يستند الى حق الفتح ! .. فالاتحاد كان ارادة مصرية – سودانية ، ولم يكن سرابا .. وان كان تحقيقه صعبا . بل شديد الصعوبة ... ولكنها امكانية تشبث بها الشعب المصرى أكثر من نصف قرن ولو على حساب الجلاء عن مصر .. وقاتل الشعب السودانى من أجلها فى ١٩٢٤ ووفى لها فى ١٩٥٣ فى ظل الاحتلال البريطانى .. ثم ضاعت !

هذه قضية لا يجوز أن نهيل عليها التراب أبدا ..

لم تنهزم القوى الامبريالية والعميلة ولم نيأس بل بدأت تعمل ، راهنت على أخطاء مجلس الثورة فى مصر ، وعلى أطمـــاع وطمـوحات السياسيين فى السودان .. والحركة السياسية فى السـودان ، كانت صورة من الحياة السياسية فى مصر مع فارق عشرين سنة ، ومن ثم كانت طموحات السياسيين السـودانيين أكثر شبقا وشـبابا كما كانوا مرتبطين مع السياسيين المصريين بعلاقات التتلمذ وخاصـــة مع الوفد والشيوعيين والاخوان . ولا شك ان احـدى الأوراق المهمة فى يد مصر وقتها كانت « محمد نجيب » الزعيم المحبوب فى كل أنحاء العالم العربى ، والذى يشكل الحل الممتاز لقضية الرئاسة ، فالقيادات هناك ككل قيادات العالم الثالث ليس فيها عمر يقول لأبى بكر أمدد يدك أبايعك .. لم يكن فيهم من يرضى بأن يرى منافسه أو نظيره ملكا أو رئيسا للسودان ، وربما كان قطاعا من الاتحاديين يطلب الإتحاد كراهية في حكم عبد الرحمن

المهدى أقبح صور التخلف والعمالة وقتها .. ولذلك كان الحل هو ملك مصر والسودان ، والملوك لا ينتمون الى اقليم ولا الى طائفة .. والعرش هو رمز الوحدة الوطنية غالبا .. فلما سقط العرش ، كان المفروض أن يكون رئيس مصر الذى أسقط العرش هو رئيس السودان .. وتشاء الظروف الحسنة أن يكون هذا الرئيس نصف مصرى ونصف سودانى . فلا غبن ولا سيطرة ، ولا نزعة شوفينية يمكن أن تثار .. بل هو بملامحه أكثر سودانيـة .. ولكن الصراع فى مجلس الثورة ، أدى الى سقوط « محمد نجيب » وسقطت بذلك ورقة قوية كانت فى يد مصر على الصعيد الجماهيرى . ولم يكن أحـد ــ وقتهـا ــ فى مصر أو السـودان يقبل ــ راضيا ــ حكم عبد الناصر .. والناس نرى كل ما تمنوه يضرب وينهار ، والديكتاتورية العسكرية البشعة تنشب مخالبها فى أمانينا وأحلامنا .. دون أن تسجل ــ حتى ذلك الوقت ــ أى انتصار ولو اعلامى .. ولا نذهب الى القول بأن الاطاحة بمحمد نجيب كانت ضمن مخطط دفع السودانيين لرفض الاتحاد ، على الأقل من الجانب المصرى ، الا أن الأطراف الأخرى ، الانجليزية والأمريكية قد سعت ، واستفادت من تصفية نجيب والكشف عن الوجه الديكتاتورى فى نظام ٢٣ يوليو ، فى سحب البساط من تحت الاتحاديين الحقيقيين ، وشل تردد المذبذبين ، وتشـجيع المتآمرين على الكشف عن وجوههم !

ولم يكن أعضاء مجلس الثورة بغافلين عن هذه النتيجة المحتومة .. ووقائع مناقشتهم فى أزمة محمد نجيب حافلة بالأدلة على قناعتهم بتأثير ابعاد نجيب على الاتجاه الوحدوى فى السودان .. ومع ذلك رأوا أن استقرار السلطة فى يدهم أهم من المخاطرة بوحدة وادى النيل !!

خلع محمد نجيب فى المرة الأولى مع افتتاح أول برلمان للسودان وبدا الوضع غير طبيعى ، ان يستقبل السودانيون أول عهدهم بالبرلمان فى نفس الوقت الذى يلغى فيه البرلمان والدستور والأحزاب فى مصر وتعلق الحياة السياسية ثلاث سنوات فترة الانتقال .. ! ..

كانت الأحزاب والقوى السياسية فى السودان فرحـة بالاستقلال منطلقة الى ممارسة حقوقها التى حرمت منهـا والتى قاتلت وسجنت فى سبيلها ولكن النظام الناصرى يصادر هذه الأمانى جملة وتفصيلا ، فهو لا يؤمن بالحزبية ، ويلغى حرية الصحافة ، ولا يؤمن بالفصل بين السلطات ويضرب رئيس أعلى محكمة فى مصر والذى كان يعتبر شيخ القانونيين فى العالم العربى كله ، ومعظم زعماء السودان تعلموا الحقوق على يديه . ويقدم مصطفى النحاس للمحاكمـة . والنحاس باشـا بالنسبة لزعمـاء السودان ، وخاصة الاتحاديين منهم ، فى مكانة عبد الناصر بالنسبة لزعماء انقلابات الخمسينات ، وتخيل تأثير محاكمة عبد الناصر بتهمة الفسـاد

والافساد أمام محكمة الثورة على السراج وعارف ٠٠ ؟! وتخيل أن محكمة الثورة هذه نطالبهما بالوحدة معها ؟ كذلك علقوا الاخوان على المشانق وزجوا بالشيوعيين في السجون ، وفي نفس الوقت طالبنا أو توقعنا أن يهرع الاخوان والشيوعيون في السودان للوحدة لينالوا من الكأس التي تجرعها أساتذتهم !

ثم ما جرى على « محمد نجيب » من اذلال وامتهان ، حتى العجل الذي خصصه للذبح يوم افتتاح برلمان السودان كان يتضور جوعا ! فضلا عن الحملة الرخيصة عليه في الصحف ، والسودان ما زال بكرا فيه تقاليد الرجولة والقبيلة والطهارة ويرفض هذا التدني في الخصومة ! ٠٠ ولذلك عندما يصرخ الأزهري : « هل تريدون أن يحكمنا العسكر » تصرخ الجماهير : « لا ٠٠ لا ٠٠ ! » والضباط في مصر اشتكوا أن الناس تبصق عليهم لخيانتهم لنجيب وتصارعهم على السلطة ٠٠ فما بالك في السودان ؟!

فالحقيقة هي أن منفى وقيادات السودان انفصلوا عن النظام الناصري ، ولم ينفصلوا عن مصر ، وما كان يمكن أن يختاروا الديكتاتورية ويتخلوا عن الديموقراطية صباح الاستقلال لنغنوا مع نجاة : « بكتنى في ليلة عيدي » ٠٠ وهل للاستقلال من ثمرة تتعطش اليها الجماهير وتستشهد في سبيلها وتكافأ بها أحلى وأجمل من الحريه والديموقراطية ؟!

وهل يمكن أن يختار السياسيون في بلد بارادتهم الحرة الخضوع لحكم ديكتاتوري يقوم على الغاء الحريات ، واقامة المحاكم الخاصة والمعتقلات لليسار وينصب المشانق للعمال وزعماء الاخوان ٠٠ ؟ مقابل ماذا ؟ لا شيء ٠٠ فلم يكن النظام الناصري قد أتيحت له فرصة بعد لتحقيق أي انتصار خارجي أو داخلي براق ٠ وعندما قبل السوريون أن يدفعوا الحرية السياسية ثمنا لوحدة مع عبد الناصر كان الوضع مختلفا فلم يكن عبد الناصر وقتها بطل الأمة العربية وأمل تحريرها فحسب ، بل كان النظام السياسي السوري ذاته قد تهرأ واحترق ، وسقط أكثر من مرة ، بل كان الشعب السوري يريد أن يتخلص من ديكتاتورية قبلية يمارسها السراج ولو الى ديكتاتورية متحضرة يمثلها عبد الناصر ٠٠ ومع ذلك لم تطق سوريا صبرا على ديكتاتورية ناصر فضحت بالوحدة على أمل استرداد الحرية وخسرت الاثنين ٠

ورغم كارثة الانفصال السوداني ، فان الزعامة الناصرية لم تتعلم . أو لم تقبل أبدا أن تضحي بالديكتاتورية ولا أن تقيم نظاما ديموقراطيا

جذابا لتحقيق الوحدة ٠٠ بعدما ثبت أنه يستحيل أن يقبل شعب أو بمعنى أصح القوى السياسية فى أى بلد عربى التضحية بوجودها فى سبيل الوحدة · وهكذا بعد خمس وخمسين سنة من الحكم الانجليزى للسودان والحكم الرجعى فى مصر ، صوت الشعب السودانى بالأغلبية الساحقة للحزب الذى تقدم بشعار وحدة مصر والسودان ٠٠ وبعد أقل من عامين من حكم الثورة فى مصر وتوليها « قضية السودان » صدر قرار الانفصال ! وقاد زعيم حزب الاتحاد حملة « التصدى » لمصر ورفض هدايا مصر ورفض ارسال السودانيين للتدرب فى مصر بل وانتقل الحكم للحزب الذى أنشأه الانجليز والذى قام على عداوة مصر ، والذى كان منبوذا من المثقفين وكان الوطنيون السودانيون يتحاشونه كما يتحاشى الاشراف الشبهات · فاذا به بفضل الأجهزة المصرية يصبح المسيطر على السياسة السودانية منذ الاستقلال حتى سقوط نظام الأحزاب !

على أية حال لم يكن اصدار قرار بذبح الوطن وتمزيقه بالأمر السهل الذى يمكن دعوة الشعب اليه أو تنفيذه علنا وبالنص عليه فى المعاهدة كما حدث فى الدفاع المشترك الذى قبله رجال ٢٣ يوليو · وانما كان لابد من حصر المؤامرة داخل مجموعة محدودة تعاونها الحكومتان المصرية والبريطانية على اصـــدار قرارهـــا بذبح وادى النيل · واليكم ما كتبه الدكتور رمضان : « فوفقا لهذه الاتفاقية ، كان على البرلمان ، فور التحقق من تمام عملية السودنة ، وتهيؤ السودانيين لممارسة حق تقرير مصيرهم — أن يعلن رغبته فى اتخاذ التدابير للشروع فى تقرير المصير · وعندئذ كان على كل من مصر وبريطانيا أن تسحبا قواتهما من السودان فى مدى لا يتجاوز ثلاثة أشهر من تاريخ الاخطار · وفى الوقت نفسه تضع الحكومة السودانية مشروعا بقانون انتخاب لجمعية تأسيسية يقره البرلمان ، وتجرى الانتخابات تحت اشراف لجنة الانتخابات الدولية للجمعية التأسيسية التى تتولى مهمتين أســاسيتين ٠٠٠ **أولا :** تقرير مصـــير الســـودان كوحدة لا تتجزأ سواء بالارتباط بمصر على أية صورة من الصور أو الاستقلال التام ، **ثانيا :** اعداد دستور دائم للسودان يتفق مع القرار الذى يتخذ لتقرير المصير ٠٠ ولكن بعد ثلاثة عشر يوما فقط ، أى فى يوم ٢٩ أغسطس (١٩٥٥) ، وقرر البرلمان السودانى العدول عن الوسيلة التى رسمتها الاتفاقية لتقرير المصير ، وهى الجمعية التأسيسية ، واختار بدلا منها وسيلة الاستفتاء الشعبى المباشر · وطلب الى الحكومة السودانية اخطار دولتى الحكم الثنائى بهذا القرار لطلب موافقتهما ، فوافقتا عليه ، وعدلت المواد ١٠ ، ١٢ ، ١٣ من اتفاقية السودان لتحقيق هذا الطلب · على أن

المجلس عاد مرة أخرى ، ولما يمضى على قراره الأخير بشأن الاستفتاء الشعبى المباشر ثلاثة أشهر ونصف ، فعدل عن هذا القرار ، وقرر أن يتولى بنفسه مهمة تقرير مصير السودان ! • وفى يوم ١٢ ديسمبر ١٩٥٥ أصدر قرارا يعلن فيه باسم شعب السودان ، « أن السودان قد أصبح دولة مستقلة كاملة السيادة » « وفى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٥٥ ، انتخب خمسة من رجال السودان البارزين ليكونوا أول مجلس سيادة سودانى يحل محل الحاكم العام وتؤول اليه رئاسة الدولة • وقد استجابت مصر لهذا القرار ، كما استجابت بريطانيا ، واعترفت الدولتان باستقلال السودان فى أول يناير ١٩٥٦ » ! • ومن حقى ان أقف هنا وأضيف تعليقا ، حول موقف الحكومة المصرية • فتواطؤ الحكومة الانجليزية وقبولها عين ما كانت تسعى له ، أمر مفهوم • ولكن لماذا قبلت حكومة ٢٣ يوليو وباركت تنفيذ هذه المؤامرة • أى التصويت بفصل السودان من قبل هذا المجلس ودون الرجوع للشعب كما تقضى الاتفاقية وبمخالفة صريحة لنصوصها ؟ • وكان بوسع الحكومة المصرية أن تعترض فتوقف الاجراءات وتجردها عن الشرعية ، بل لم يكن هناك أى مبرر لقبولها ، وبالذات لأن اتفاقية الجلاء عن مصر كانت قد وقعت ، ولم يكن لبريطانيا أية حجة فى الغائها ، وخاصة أن مصر ليست هى التى تراجعت بل هى التى تتمسك بالاتفاقية التى سبق وأقرتها جميع الأطراف •• ان الموافقة السريعة من جانب سلطات ٢٣ يوليو على هذا النقض للاتفاقية وقبولها أن يقرر هؤلاء فصل السودان بالمخالفة للاجراءات المنصوص عليها ، هو موقف لا يمكن فهمه الا فى ضوء اتهامات صلاح سالم لرفاقه بأنهم كانوا يعملون على فصل السودان عن وعى وتصميم وسبق اختيار واقرار •

وهكذا أصبحنا أمام مفهوم جديد لموقف ٢٣ يوليو من السودان •• فهى لم تفقده عن جهل أو سذاجة ، بل عن وعى وبموجب اتفاق تم مع قيادات ضباط ٢٣ يوليو أو بالذات عبد الناصر وحفنة الموالين له الأمناء على أسراره • وليس هذا قولنا بل قول صلاح سالم فى شهادة عبد اللطيف البغدادى •• تلك الشهادة التى طرحت اتهاما بأن النكسة السودانية ، أو فقدان نصف الوطن فى مفهوم الوطنيين القدامى ، وضياع فرصة وحدة وادى النيل عند الوطنيين الجدد •• لم يكن مجرد هزيمة فى مسلسل الهزائم التى حققتها الناصرية فى قضايانا الوطنية والقومية المصيرية •• بل تمت عن عمد ، وصفها بما شئت ، ولكن نسمع أولا ماذا قال صلاح سالم ، الذى كان شخصية دستوفسكية ، حاد الذكاء ، وقد يصفه البعض بالجنون ، متحدث ساخر لاذع مع كثير من البذاءة والقسوة فى النقد ، وطنى متطرف ، مع ضحالة سياسية أدت الى سعيه للثقافة فسقط فى مستنقع الشيوعية ، وتولت السفارة السوفيتية « تجنيده » وتثقيفه ••

وصلاح سالم كان شديد الطموح ، رأى نفسه محبوب الأميرات ، ومرشح لرئاسة الجمهورية الاتحادية لمصر والسودان ، واعتبر كما يقول حمروش ان « محمد نجيب » نصف السودانى هو منافسة على هذا المنصب ! أو هكـذا أوحى اليه جمال عبد الناصر ، ومن ثم استخدمه فى تصـــفية « محمد نجيب » فأفحش فى ذلك •

صلاح سالم عهدوا اليه « بقضية » السودان ، وأصـبحت هذه قضية عمره يقترن مستقبله كله بنجاحه فى تحقيق وحدة وادى النيل •• جاء فى يوميات وكيل الخارجية البريطانية : « لابد من مواجهة مع صلاح سالم آجلا أو عاجلا ، لأن صلاح سالم مصمم على تحقيق وحدة السودان مع مصر بطريقة أو بأخرى » •

وقد تفرغ « صلاح سالم » لمحاربة الانجليز فى السودان ، ومحاربة « محمد نجيب » فى القاهرة ، وفى منتصف عام ١٩٥٤ بدا وكأنه قد نجح أكثر مما يجب فى الاثنين ، فقد سقط « محمد نجيب » وأصبح الاتحاد مضمونا كما قال هو ••• وبدأ الانحدار •

لعبة السلطة كانت تستهدف ضرب نجيب بصلاح سالم والتخلص من صلاح باستنزافه فى هذه المعركة ، ولكن ذلك لم يكن الجانب المثير ، فقد اكتسف صلاح سالم لعبة أخرى أخطر ، وهى وجود قوى مصرية تعمل ضده فى السودان وتنفذ مخطط الانفصال !

يقول البغدادى : « وقام صلاح واتصل بجمال عبد الناصر تليفونيا وكان فى حالة عصبية شديدة وقال له : « ان البغدادى وحسن موجودان عندى الآن ولكن لابد أن تعلم أن هناك مؤامرة كبرى تدبر لعدم اتمام اتحاد مصر مع السودان » ويشترك فى هذه المؤامرة بعض المسئولين من داخل مجلس الثورة نفسه ومن خارجه • وأن الذى سيؤدى بالبلاد الى التهلكة هو زكريا محيى الدين وعلى صبرى (مدير مكتب جمال عبد الناصر للشئون السياسية) وبكره تعرف اننى قلت لك هذا » • ان على صبرى ينفذ سياسة الأمريكان والانجليز بعدما طلبت اشتراك روسيـــا فى لجنة تقرير المصير ورأوا ان يتخلصوا من صلاح سالم » •

وقد اتهم أنور السادات أيضـــا فى الاشتراك فى هذه المؤامـرة المزعومة ـ والكلام لايزال للبغدادى ـ وذلك لارساله قاسم جودة الى السودان • وذكر أن قاسم جودة قد أدلى بتصريح هناك على أنه موفد من قبل أنور السادات لمعرفة حقيقة الوضع بالسودان لابلاغـه الى الرئيس جمال عبد الناصر •

وبعد فترة قصيرة انصرفنا من عنده ، وأخذنا طريقنا الى مبنى مجلس منا أن نذهب اليه • وفى صمت كان قد خيم علينا بعد حديث صلاح عن تلك المؤامرة المزعومة ، والتى تحاك ضد اتحاد مصر مع السودان » •

وبعد فترة قصيرة انصرفنا من عنده ، وأخذنا طريقنا الى مبنى مجلس الثورة ، ووجدنا هناك جمال عبد الناصر وكمال الدين حسين الذى دعاه جمال للحضور ، ثم حضر عبد الحكيم ، وطلب منا أن نقص عليهم ما حدث • فذكرت لهم حديث صلاح معى فى التليفون فى الصباح ؟ ثم حديثنا معه بعد أن التقينا به ، وقرار المجلس الذى اتخذ ، وتعليق صلاح عليه بأن الاجازة معناها الاستقاله ، ورفضه تنفيذ هذا القرار ، وأن استقالته ــ كما حكى ــ مرتبطة باعلان استقلال السودان فورا • ثم تكلم جمال عبد الناصر كذلك عن حديث صلاح اليه وتلك المؤامرة المزعومة • وفى أثناء اجتماعنا هذا حضر صلاح فجأة ودون سابق علم من حضوره • وبدأ يتحدث عن وجود تلك المؤامرة الكبرى ــ على حد قوله • ومن أن لديه المستندات التى تثبت ذلك • وأطلعنا على برقية من الصحفى اللبنانى جبران حايك والذى كان بالسودان بدعوة من الحكومة السودانية • وقد تواجد هناك أثناء وجود قاسم جودة بها • وهذه البرقية التى أطلعنا عليها كانت مرسلة من جبران حايك الى أحد وزراء اسماعيل الأزهرى واسمه « يحيى الفضلى » ويبلغه فيها أنه ــ أى جبران ــ قد أطلع جمال عبد الناصر على وجهة نظرهم • كما ذكر أيضا أنه قد أطلعه على حقيقة الموقف بالسودان • وأن مجلس الثورة قد اجتمع على أثر هذه المقابلة لمدة عشر ساعات • وطمأنهم فى النهاية خيرا • وانه سيرسل اليهم التفاصيل فيما بعد • كما قرأ صلاح علينا أيضا ما جاء بنشرة المخابرات المصرية والمرسلة من السودان • وقد جاء بها أنه قد سرت اشاعة فى السودان عن أن صلاح سالم سيتنحى عن مسألة السودان وسيتولاها بدلا منه أنور السادات • وكانت هذه المعلومات مؤرخة بتاريخ ٢٤ أغسطس ١٩٥٥ • وقد ربط صلاح بين هذه المعلومات وبين ارسال أنور لقاسم جودة الى السودان • وحاول أن يبرز أن هذه المؤامرة المزعومة تهدف الى ابعاده عن قضية السودان ليتولاها أنور بدلا منه •

وبعد أن انتهى صلاح من حديثه سأله جمال عبد الناصر عن أسماء الذين يتهمهم من أعضاء مجلس الثورة فى هذه المؤامرة • فأجاب بأنه يتهم أنور السادات وكذا على صبرى بحجة أنه يقوم بتنفيذ سياسة الأمريكين والانجليز فى هدم صلاح وابعاده عن مسألة السودان ، اثر هذه المقابلة لمدة عشر ساعات • وطمأنهم فى النهاية خيرا • وأنه

بعد أن اقترح اشتراك روسيا فى لجنة تقرير المصير • وبعد أن هدأت ثورة بعض الاخوان على ـ صلاح ـ تكلم جمال عبد الناصر قائلا : « مسألة السودان قد انتهت لأن مجلس النواب السودانى سيجتمع باكر فى الساعة العاشرة صباحا ليقرر عمل استفتاء على تقرير المصير ومعنى هذا استقلال السودان » • وقد طلب السفير البريطانى مقابلة صلاح ليتكلم معه فى هذا الشأن لأن هذا يعتبر تغييرا فى الاتفاقية ولابد من أخذ موافقة كل من مصر وبريطانيا • وقد أذاعت لندن ان مصدرا مسئولا فى الحكومه البريطانية قد صرح أن انجلترا ليس لديها مانع من الموافقة على مبدأ الاستفتاء » • ومستطردا « واذا كان هذا هو موقف انجلترا فلن يمكننا المعارضة • والمشكلة الآن أصبحت مشكلة صلاح وهى نحتاج الى حل » •

اتهام صلاح سالم ، عززته شهادة « أحمد قاسم جودة » ، رجل « أنور السادات » الذى جاء يشهد ضد « صلاح سالم » وهذا وحده يعطى ثقلا لما جاء فى شهادته ، معززا لاتهام صلاح سالم بأن جمال كان يعمل ضده فى السودان فقد شهد أحمد قاسم جودة « أنه شعر أن الناس هناك تعتقد أن هناك جبهتين فيما يتعلق بمسألة الاتحاد مع السودان •• جبهة جمال عبد الناصر وجبهة صلاح سالم » •

وهذا دليل على أن الناس قد لمست :

ـ وجود نشاط مصرى رسمى مضاد لنشاط وأهداف صلاح سالم فيما يتعلق بمسألة الاتحاد •

ـ أن هذا النشاط كان نفوذه أقوى و « مالينه » أقوى ، وفعاليته أقوى وصوته أرجح •• ولذلك فقد نسبوه لقوة أكبر من صلاح سالم •• الى جمال عبد الناصر هذا اذا لم نقل ان « هذه الجبهة » كانت تعلن ذلك صراحة •

ـ ان هذه الجبهة كانت تعتمد على عناصر غير مصرية ، وأعمال شبه جاسوسية ، مثل البرقية الخطيرة التى كانت تستلزم تحقيق المجالس ، أو حتى سؤال : « ايه حكاية البرقية دى يا جمال ؟ » • ولكنها كلفتت ! مع أن صلاح سالم تمكن من الحصول عليها ، وهى دليل مادى يثبت اجراء اتصالات بين جمال عبد الناصر وأحد وزراء حكومة الأزهرى ـ يحيى الفضلى ـ بواسطة شخص لبنانى •• معروف جدا •• ومن وراء ظهر صلاح سالم المسئول رسميا عن السودان •

ولا كلمة ولا تعليق ولا رد من جمال عبد الناصر فلم يعلق عليها ، بل ببراعة عرفت عنه ، غير مجرى الحديث بقوله : « من هم من أعضاء

مجلس الثورة الذين تتهمهم بهذه المؤامرة ؟ ٠٠ وهكذا نسيت البرقية ولم يفتح فيها حديث آخر ٠٠ كما انسع الخرق على صلاح سالم اذ اندفع يتهم آخرين ولو كان مسيطرا على أعصابه لأصر على أن يسمع أولا تفسيرا لموضوع البرقية ٠

لا يمكن للمؤرخ « المحقق » أن يشك بعد ذلك بوجود نشاط لجمال عبد الناصر أو باسم جمال عبد الناصر ٠٠ مضاد لنشاط صلاح سالم الذى ثبت أنه كان مؤمنا بالوحدة ايمان جيلنا كله بها الى حد الطموح فى أن يكون رئيس الجمهورية الاتحادية ٠٠ وأنه أثبت فعلا جديته واخلاصه واحترامه لنفسه بأن ربط مستقبله بنجاحه فى تحقيق الاتحاد ، فلما فشل استقال ٠٠ ومن ثم فلا يمكن أن تكون الجبهة الثانية ، الا عاملة ضد الاتحاد ٠٠ وهذا يعزز بل يؤكد اتهام صلاح سالم ، الذى يرفض بغدادى أن يحقق فيه حتى اليوم ! بل وثبت أن عبد الناصر كان يعلم بقرار المجلس بالانفصال قبل وقوعه ٠٠ وكان يستطيع أن يثير الشارع السودانى والمصرى ضده ، وكان يستطيع أن يوقف هذا القرار ، أو يمتنع من الموافقة عليه فتسقط شرعيته حتى ولو لم يتمكن من منعه ٠ ولكنه قال ببساطة شديدة ودون أن يرتفع حاجب من الدهشة فى وجوه أعضاء مجلس الثورة ٠٠ قال : « انه ما دامت بريطانيا ستوافق فلا يمكننا المعارضة » ٠٠ لماذا يا زعيم ؟! لقد كنا نرفض موافقات بريطانيا فى بورما وكينيا وليس عدن وحدها فلماذا نقبلها فى سوداننا ٠٠ ؟! لقد قاتلنا خمس سنوات لفرض تحرير اليمن فلماذا نتخلى بسهولة ودون طلقة واحدة عن السودان ؟!

ويفهم من الحوار ومن الصيغة التى أورده بها بغدادى أن الشهود كانوا مطلوبين لاقناع بقية أعضاء مجلس الثورة المصريين الذين لا يعلمون شيئا عن اقناعهم بتأييد قرار عبد الناصر بالتخلى عن السودان ، فالشاهد الذى بعثوه ينهى شهادته مطالبا المجلس باتخاذ خطوة جريئة فيسأله زكريا محيى الدين : « ماذا تقصد بخطوة جريئة ؟ » ويعلق بغدادى فى خبث « وكان قصده بسؤاله أن يفصح قاسم جودة عن فكرته ويوضحها » ولم يتردد الشاهد فطالب باعلان الاستقلال ٠

وواضح أن « صلاح سالم » شعر بأن اللعبة التى تجرى ليست مجرد مناورة داخلية فى لعبة الصراع على السلطة ، بل جزء من لعبة أطرافها : أمريكا وبريطانيا ٠٠ وأقرب المقربين لعبد الناصر ٠٠ زكريا وعلى صبرى والسادات ٠ وبهذه الاتهامات أصبح صلاح سالم فى عداء مباشرة مع زكريا وأنور فضلا عن عبد الناصر الذى أدار الجلسة ببراعته الفائقة فى التاكتيك ٠٠ فقد ألقى بموضوع السودان فى سلة المهملات

ودعا المجلس لبحث ما هو أهم وهو « صـــلاح سالم » قال عبد الناصر :
« مسألة السودان الآن أصبحت فرعية بعد فقدان كل أمل فى الاتحاد ،
المسألة الآن أصبحت أجسم مما نتصور ، وهى اتهام لبعض من أعضـــاء
المجلس بالخيـــانة ، وكذلك مدير مكتبى ، ومعـــروف أنه مدير المكتب
للشئون السياسية ، ومعنى هذا أننى أيضـا أنفذ ســـياسة الأمريكان
والانجليز ، والمسألة أصبحت اليـــوم مسألة صلاح والمجلس وليست
مسألة السودان ، لأن مسألة السودان أصبحت فرعية الآن بعد فقدان كل
أمل فى الاتحاد » ··· وهكذا سقط الســـودان من جدول أعمال ثورة
يوليو ·· أصبح السودان ووحدة وادى النيل مسألة فرعية ، ومسألة
صلاح سالم هى المسألة الرئيسية !

هذا ما فعلته ثورة يوليو بالسودان ! قادته الى الانفصـــال وقبلت
الانفصال بل ساعدت عليه · فاذا كان ذلك هو الوضع الطبيعى والثورى
والتحررى ·· فقد غرروا بنا وبالشعوب العربية بما بددوه من كلام وحبر
وبيانات وشعارات عن الوحدة العربية والأمة الواحدة ، ورسالتها التى
تتحقق بالوحدة الشاملة والفورية · اذا كانت مصر والسودان لايجدان
ما يبرر الوحدة بينهما ، حتى يصبح انفصالهما هو الوضـــع الطبيعى
فكل حديث عن وحدة مصر مع أى بلد آخر هو حديث خرافة ·

المناقشة والتعقيبات :

ـ استفسار من **الأستاذ الباقر** وهو أستاذ ســوداني وصاحب جريدة الأشقاء السودانية : حقيقة أنها مسألة عظيمة جدا أن تسمح لنا نحن أبناء جنوب الوادى لنحس بهذا الأمان وهذه الطمأنينـــة ونناقش قضية وحـدة وادى النيل ، وأتفق مع الأستاذ جلال كسك أنهـا قضية حيوية وقضية أساسية ، والأستاذ أحمد عبد الله صاحب جريدة الرسول الســودانية وهى كجريدة الأشقاء الأسبوعية كان من حزب الاتحـــاد وهو الآن يحضر رسالة دكتوراه فى الجامعات البريطانية عن الســودان والعلاقات المصرية « كان أحمـــد عبد الله هذا من حزب الاتحـــاد قبل ٣٠ يونية » ومن هنا جاء حدينى من منطلق أكاديمى أولا وبالقناعة الكاملة بقضية هذه الوحدة قضية وحدة وادى النيل ٠

وأنا أشكر مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر فلابد أيضا أن أسجل شكرى الحقيقى للأستاذ محمد جلال كشك رغم تحدثه عن هذه القضية الحيوية الهامة ولا أستطيع أن أتحـــدث عن ثورة ٢٣ يوليو وهل هى ثورة أم انقلاب !

أنا شـــخصيا لاتعنينى المســـألة ـ أنا لست ناصريا ـ ولكن عبد الناصر قال فى حياة كل شعب ثورتان ثورة ســـياسية وثـورة اجتماعية ، اذا كانت الثورة السياسية أحدثت تحول اجتماعى فهى ثورة واذا لم تحدث تحول اجتماعى فهى انقلاب وليس واضح هنا أن نتحدث عن هل هى ثورة أم هى انقلاب ٠

أنا سأختلف مع الأستاذ جلال كشك حيث أننى أعتقد أن النظام الحالى هو امتداد طبيعى لثورة ٢٣ يوليو ولم يأتى هذا الكلام من فراغ وليس عبد الناصر واضعه ولا السادات واضعه هذا النظام الديمقراطى القائم على المؤسسة الذى نحن نعده ديمقراطى الآن من خلال هذا الحديث انما يرجع الفضل فيه للرئيس حسنى مبارك وانمـا لم يأتى من فراغ وهو امتداد طبيعى لثورة ٢٣ يوليو ولو كان عبد الناصر نفسه حيا كان لازم أن يفعل ذلك لأن هذا التحول الكبير فى قضية الحريات لأنه هنا تكمن عظمة الشعب المصرى ســـواء عبد الناصر أتى به أم حسنى مبارك أو أى رئيس آخر هو رئيس على الشعب الأصيل وشعب له الحضـارة العريقة ضاربة الجذور فى التاريخ ٠٠ الخ ٠

ورغم شكرى للأستاذ جلال كشك الا أن لى بعض الملاحظات فيما جاء عن قضية وحدة وادى النيل ٠

أنا أرجع للأستاذ فؤاد سراج الدين فى حديث معه ونحن نتباحث وقال قضية الوحدة مع السودان ـ المشكلة والتاريخ دائما يقول الطاغية اسماعيل صدقى ـ ولكن فؤاد سراج الدين فى حديث أكاديمى منذ أسبوعين قال ان اسماعيل صدقى وكل الذين بقوا على مصر ما كان هناك واحد منهم ما يرغب فى الوحدة مع مصر ولذلك أنا لن أتكلم عن تقرير ثورة ٢٣ يوليو عن السودان انطلاقا من حكم الثورة الأول ، ففؤاد سراج الدين وهو رجل صمد وكان واقفا وكان له موقف يقول أنه ليس هناك انسان أو مصرى واحد فرط فى الوحدة مع السودان ولو حدث هذا فان هناك خلل أو يشعر بأن خلل قد حدث ووحدة وادى النيل هى حقيقة ووحدة التاريخ المشترك ووحدة الجغرافيا ٠ وحدة الوجدان الواحد فى شقى الوادى هذه حقيقة مسلم بها ٠

وأنا مع الأستاذ جلال كشك فى أنه لابد من أن تبدأ الوحدة من مصر والسودان أولا أى وحدة لابد أن تنطلق فى مصر والسودان لأنه يربط مصر والسودان أكثر من رباط ليس تاريخ فقط وليس جغرافيا فقط بل هو نظام مشترك حيث أنه عندما قامت ثورة عرابى فى مصر كانت ثورة الامام المهدى فى السودان وأعتقد أن الأستاذ قد وضح أن الثورة المهدية كانت ترغب فى أن يستبدل جوردن بعرابى ، وعندما قامت ملحمة دنشواى قامت ثورة الحبوبة سنة ١٩٠٨ فى أواسط السودان ٠

وعندما قامت ثورة ١٩١٩كانت ثورة ٢٤ يوليو ثورة الضباط السودانيين أتو على أساس أن يقاوموا الانجليز لما فعلوه ضد اخواتنا وأشقائنا المصريين الموجودين فى السودان ، وما مقتل السيرلستاك حاكم عام السودان فى مصر على أيد مصريين وبأيدى شباب مصرى ، لتأكيد لهذه المشاعر الواحدة المتحدة ، الحركة اليسارية ، الحركة الاتحادية ، الحركة الشيوعية تاريخ واحد ، شعب واحد ، حتى الاعلام المصرى فى كل مراحله منذ ثورة ١٩١٩ الى هذه الليلة فشل فى أن يعطى صورة ذهنية حقيقية عن من هو السودان ٠

الاعلام المصرى خلق صورة سلبية أو الصورة الذهنية عن الشارع السودانى فى السينما المصرية حيث أنها صورت أن السودانى هو ذلك النوبى الذي يقدم خدمات معينة في صورة حقيقية عن السودانى ٠

كنت سعيدا وأنا أستمع لكلام الأستاذ جلال كشك لأنه يتحدث حديث العارف بالسودان وحديث انسان عارف بالشارع المصرى ٠

نحن نؤمن بمصر تماما وبهذا الشعب تماما الا أن مشكلتنا الأساسية هو الجهل الكامل ، وأيضا هنا توجد عادة سيئة جدا وهى أن الاعلام المصرى كان يتجه اتجاه معين ومن هنا الشارع يتجه اتجاه معين يقلب الشارع كله ١٨٠ درجة حتى لو لم يكن عندهم خلفية عن هذا الشىء٠ فرسالة محمد نجيب ما فى شك كان لها تأثير حقيقى فى الشارع السوداني وصلاح سالم لأنه لصلاح سالم ممارسات سلبية قاسية فى السودان ممارسات سلبية غير طبيعية ٠

السودان على علاقات محمد نجيب وكان موجود وزير الرى السودانى سكرتير عام الحزب الوطني الاتحادى آنذاك ودلل على ذلك بأن يوجد شاعر اسمه محمد أحمد صالح عمل قصيدة لمحمد نجيب ذكر فيها أوصاف محمد نجيب ودلل فيها على حبه لمصر وذكر فى أحد الجرائد الرسمية فى مصر أن وزير الرى السوداني يقوم بتوزيع منشورات فى جمهورية مصر العربية ٠

ـ رد الأستاذ جلال كشك :

أن ما جاء فى كلمة الأستاذ الباقر عن الانهيار الدستورى لم يكن صحيح اذ أن الانجليز خوفوكم ولم يكن يجب أن يضع الاتحاديون فى اعتبارهم معنى سيحدث انهيار دستورى هو الأمم المتحدة بتتحرك بسهولة ما يحدث انهيار دستورى خمسة عشرة سنة وطبعا أنا تحدثت عن الخلافات بين السكان والفرد انما سيناء أضرب بها المثل اذا قامت فيها حركة انفصالية مثل البلازريو فى المغرب والجزائر ، نحن لا يجب أن نقف مع كل حركة انفصالية ٠

انما يوجد طبعا خلافات ضخمة وهذا يجرنى الى سؤال قد أتى الى ، السؤال يقول : رغم الدور المخزى عندما هرب المماليك الى السودان فما مدى أهممة مناقشة أمر السودان الآن ؟ ٠

فرد الأستاذ جلال كشك بقوله لا ٠ ان أمر السودان مهم جدا وحيوى جدا مصر من غير السودان والسودان من غير مصر مستقبلهم مظلم للغاية ثم ان المسألة الآن عندما أصبحت مصالح ، يعنى طبعا فكرة الوحدة بالشكل الذى كنا نقول به الآن غير واردة لأن وضع السودان الآن مهدد بالتفكك ولكن لنا مصالح ولنا ارتباطات ولنا حقوق ولنا

واجبات نحو أننا نحمى الوضع فى وادى النيل ونحاول خلق وضـــع جديـد ٠

ولابد من أننا ندرس التجربة لماذا فشلت لكى نعرف ماذا نفعل فيما يأتى ٠

استفسار آخر عن : من هى الدولة رقم واحد والدولة رقم ٢ فى الشرق الأوســط ؟

يرد الأستاذ جلال كشك : الدولة رقم واحد اسرائيل ورقم ٢ ايران ، ونحن الآن نزاحم على المركز الثالث مع الحبشة ٠

ـ استفسار آخر يقول اذا كانت ثورة يوليو هى سبب انفصـال السودان عن مصر واذا كانت هذه الوحدة طبيعية فأعتقد أن النظام الحالى يرحب بهذه الوحدة فلماذا لا تتم ؟

فرد الأستاذ جلال كشك على ذلك بقوله أن الوضع معقد جدا لأن السودان نفسه وحدته موضع شك وموضع خطر ، الوضع معقد وطالما نحن نخبىء أو نداري على ما حدث ونشحن فى الاعـلام عن ثورة يوليو لانستطيع أن نصل الى شيء ، لابد أن نحلل الأسباب ونعـرف ما هى ونعتمد على الوثائق وليست وثائق المخابرات الحربيــة ونرى ما هى الأســباب السياسية ٠ ليس هناك أمم تدار سياستها بالمخابرات ، هذه المخابرات تعد لعمـل عمليات ، وكمـا ذكر الدكتور عبد العظيم رمضان أن التوجه العربى فى مصر لابد أن نكون صرحاء لأنهم من أنشأ الجامعة العربية ، بالعكس عندنا مؤرخ الناصرية محمد حسنين هيكـل يذكر أن مصر قررت مساعدة الجزائر لتشغل فرنســـا عن تسليح اسرائيل ، أنا الذى تصديت له وقلت ان هذا تشويه لموقف مصر ، مصر أيدت الجزائر أولا من تضامنها العربى ومن مصالحها ومن تاريخها ، ولذلك دخلت فرنسا مع اسرائيل وليس نحن الذين فعلنا ذلك ٠ اننى لم أشك فى حياتى فى وطنية حركة الضباط الأحرار ٠

ـ سؤال آخر يقول ؟ هل لك أن تتهم عبد الناصر بأنه دكتاتورى ولكن ألا ترى أنه من الاسـفاف والمبالغـة أن تتهم عبد الناصر بالعمالة للانجليز أو الأمريكان ؟ ٠

ـ رد الأستاذ جلال كشك : طبعا أنا لم أقل انه عميل أنا أقول بالحرف الوحد (ولكن عندما تعمقت فى الدراسة تأكد لى صدق وطنية عبد الناصر ومصريتها وانه فعلا أحس بخطر اسرائيل منذ سنة ١٩٥٤ ولكن علاقاته بالمخابرات الأمريكية وما أسره في نفسه من خوف وما ربطه

من تعهدات وما أوهمه من وعود بنسويات كل هذا أفسد فكره وشل يده وأجبره على شن معارك واتخاذ قرارات كانت كلها للأسف خطأ) ٠

أنا فعلا الذى كتبت كل هذا وأنا لم أقل أن عبد الناصر عميل ر.ت.نه جاء بالسياسه ٠ لأن الثورة ليست عميلة واذا كانت عميلة ليست ثورة والحكاية أن الأمريكان **صنعوا تسراك** فى مصر لتنفيذ مصالحهم والتقت هذه المصالح مع مصالح نظيم الضباط الأحرار ، وكان يمكن أن يتخذ شكل علاقة سياسية علانية ولكن لأنه اتخذ شكل علاقة مع المخابرات عمل انعكاسات وتداعيات ، فهم مثلا استأجروا واحدا وأعطوا له كارنيه هذا النوع من الاعلام أنا هاجمته وانتقدته ٠

ـ تعليق آخر عن أهمية سوريا والسودان بالنسبة لمصر وهذا التعليق الآتى أعتقد أن سوريا أهم لمصر من السودان ، وهذا ثابت تاريخيا منذ أيام صلاح الدين وحتى فى عهد محمد على حين اهتزت الدول الكبرى وكانت قبلها بسنوات تشكل مشكلة ٠

ـ رد الأستاذ جلال كشك : الحقيقة أنه توجد عدم دقة فى هذا ، هو طبعا سوريا مهمة جدا فى الشمال أول ما مصر تكون قوية يتجه على طول على فوق ولكن مصر لن تكون مصر من غير السودان فمثلا يعنى أننا اذا قلنا أنه يمكن أن تكون مصر من غير سيناء لن تكون هناك دولة عربيه فى المشرق ، لكن فى الأول القاهرة فمصر والسودان أولا دائما ٠

استفسار للأخ الباقر من السودان من شخص يسمى صفوت عبد المجيد وهذا السؤال يوجه للأستاذ الباقر صاحب جريدة الأشقاء السودانية وهو رغم عدم وجوده على المنصة والسؤال هو هل هو أو أى سودانى يفضل أن يكون داخل الوحدة أم أن يكون السودان مستقل ٠

يرد الأستاذ الباقر كالآتى : أولا الأخ المصرى ما قال أى وحدة يتحدث عنها وحدة فيدرالية ، وحدة كونفدرالية ، يعنى ليس أن تكون السودان محافظة من محافظات مصر ولكن من المؤكد أنى كرجل اتحادى أو وحدوى أعتقد أن الصراع الموجود فى السودان الآن صراع قوى صراع ثقافى حضارى الزنجى العربى ما كان يمكن أن يسير بنفس المسيرة القائمة الآن لو كانت هناك وحدة وادى النيل ٠

وحقيقة الصراع ليس فى السودان فى حزام أسود يحبط بالسودان السنغال وموريتانيا الصومال الغربى اريتريا ، هذه جذور الصراع الثقافى وغيرها ٠

أنا شخصيا أتمنى حقيقة أن نكون هنـــاك وحـدة وأحس بأمان وبأن قضيتى محفوظة من خلال الوحدة ، وحدة وادى النيل ولكن كمـــا سبق وذكرت هناك عدة أشكال للوحدة وحدة تعمل جيش واحد ولكن تعطى لكل واحد ذاته هذه وسياسته هذه هى الوحدة المطلوبة أم أن يكون استقلالا هو أساسا لا السودان ولا غير السودان يستطيع أن يعيش ، ولا مصر بالذات تستطيع أن تعيش يعنى لايمكن أن نعش وتعالوا لنبحث هناك مجلس التعاون العربى وهذه الأسماء والأشكال من ضروب الوحدة ونحو التوجه الحقيقى نحو الشطر الأعظم للوداى ويلاحظ أن الحماية الحقيقية للصراع الثقافى الموجود فى الســودان ، وأنـا لا أعتقد أن الشعارات القائلة أننا انفصلنا وأننا فرطنا ولكن يعتقد أنه لابد من أن نقوم شكل من أشكال الوحدة تربط هذا الشعب الواحد فى شـــمال الوادى وجنوب الوادى .

ــ **سؤال وجه للدكتور عبد العظيم رمضان** وهو عن التوجه المصرى العربى وكان كالتالى : هل محمد على كان يفكر فى قومية عربية ؟ وهل الذين أنشأو الجامعة العربية فكروا فعلا فى قومية عربية أو تنظيم شكلى لجمع العرب .

ــ **رد الدكتور عبد العظيم رمضان :** أنه بالنسبة لمحمـــد على ، محمد على أولا فكرة العروبة فى ذلك الوقت كانت فكرة غير موجودة اطلاقا والعرب أنفسهم لم يكونو يعرفون أنهـــم عرب والذى كان موجود آنذاك فكرة الجامعة الاسلامية على اعتبار أن هذا كله مجتمع اسلامى انما محمد على كان يتجه لتوحيد البلاد الناطقة باللغة العربية فهذا الاتجـــاه هو الذى نسميها الاتجاه العربى وهو وحدة اللسان العربى .

أما بالنسبة لجامعة الدول العربية فبكل تأكيد أنها كانت توجد فكرة القومية العربية لأن فكرة القومية العربية كفكرة كانت موجودة قبل قيام الجامعة العربية وهم عندما انطلقو لتأكيد أيدلوجية ولتنفيذ فكره ، قبل ١٩٣٦ كانت القومية المصرية فقط هى الشعار السائد والدائم انما بعد معاهدة ١٩٣٦ وخروج قضية فلسطين للساحة هذا كله أوجد الاتجاه العربى ، انما الاتجاه العربى منطلق من القومية العربية وهذا ما جعلهم ينشئون جامعة الدول العربية .

ــ تعقيب من الأستاذ الدكتور محمد ابراهيم نصر (أستاذ جامعى غير متفرغ) فى الحقيقة أن هذه الندوة جديرة بالاحترام والتقدير لأنها أتاحت الفرصة للاستماع للرأى والرأي الآخـــر في حرية نامة ونزاهة

كاملة ، ولذلك استكمالا لدورها العلمى الرائد كان ينبغى أن تحدد ـ المصطلحات • مصطلح ثورة ومصطلح انقلاب •

وبالاشارة الى هل هى ثورة أو هى انقلاب أستشهد بما يردده دائما الرئيس حسنى مبارك فى كثير من خطبه واتجاهاته نحـو الشعب وقوله ان ما نحن فيه الآن من مشكلات اقتصادية ومشكلات اجتماعية ومشكلات سياسية ومشكلات ثقافية ليست من صنعى وانما هى تراكمات وصلت الينـا فمن أين وصلت اليه ! اذا كانت ثـورة حقيقية التى قام بهـا جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٢ فهذه الثورة تعمل لمصلحة الشعب وتستمع لرأى الشعب ولا تزج بالشعب فى السـجون ولا تقيم المجتمعات بعضها على بعض ولا تقلب أوضاع الناس الفلاحين على الملاك ولا تقلب أيضـا المستأجرين على أصحاب العمارات ولا تقلب العامل على صاحب العمل وانما تدفع الى الانتاج وجودة الانتاج والتقدم الحقيقى المثمر للبلد • هذا هو المقياس الحقيقى لكلمة ثورة لأنها تعمل فعلا لمصلحة شعبها أما ما نقوله الآن من مشكلات فهو الذى وصل الينا من هذه الثورة التى يطلق عليها مجازا ثورة ، وأنا أؤيد الأستاذ / جلال كشك فى أنها فعلا انقلاب وأن هؤلاء وان كانوا وطنيين مخلصين الا أنهم لم يكونوا على مستوى الفهم والوعى السياسى أو الاجتماعى الذى تتطلبه الأوضاع •

الأمر الثانى وهو الذى أشار اليه الأستاذ د / عبد العظيم رمضـان وهى كلمة « وثيقة » ، لابد أن نضع حدودا لمعنى وثيقة متى تكون الوثيقة وثيقة حقيقية يلتفت اليها ويعمل بها كوثيقة تاريخية ، هل المانشتات الصغيرة التى تصدر فى الصحف تحت سيطرة الحكم الموجود مثلا أو تحت سيطرة دولة ما أو ما الى ذلك يصح أن نعتبرها وثيقة ؟

هل ما يقوله زعيم من الزعمـاء فى جمع من الناس أو فى خطبة سياسية يحاول أن يجتذب بها الجماهير اليه يصح أن يعتمد عليها ونقول أنها وثيقة ! الوثيقة • وثيقة تاريخية أو وثيقة أدبية أو وثيقة لابد أن تكون مكتوبة فى حرية تامة وأن يكون لصاحبها رأى مستقل وأن يكون قد عرف عنه فيما مضى أنه صاحب رأى وأن تكون مؤيدة من أوضـاع مختلفة وما الى ذلك حتى تسمى وثيقة •

يجب أن ندقق كثيرا عند تحديد مفهوم كلمة وثيقة وألا يزج بكلمة وثيقة اطلاقا الا فى المكان المناسب لها حقيقة وقد رد الدكتور عبد العظيم رمضان على هذا الأمر الخاص بالوثيقة فقال : ان الوثيقة أسـاسا كل أصل ، بمعنى أن كلمة سيادتك التى ذكرتها فى هذا اليوم فان سجلت بكل ما جاء بها دون حذف أو اضافة دون أى تحريف فهى وثيقة •

الوثيقة هى كل أصل الحطب ، التصريحات ، المحاكمات . كل هذا وثيقة ولكن ليس كل وثيقة آخذ منها هباء فكل وثيقة آخذها وأبدأ فى عملية تحقيقها وتصديقها كل هذا عمل شاق يدخل فى الصدق أو الجدية التاريخية .

ان الوثيقة هى عبارة عن حفنة قد تكون كلها تراب والبعض تبر أو الغالبية منها تبر والباقى تراب . مهمة المؤرخ التحقيق فى مدى مصداقية هذه الوثيقة .

أنا أعنى بكلمة وثيقة كل وثيقة معتد بها يعنى درست ومحصت وبحثت وكشف عنها ، انها أصبحت تعد من الوثائق المعتد بها ، هذا ما أعنيه وطبعا ليس هناك خلاف بين ما ذكرته وما ذكرتموه ولكن أرغب فى توضيح ذلك طالما أنها ندوة علمية على هذا المستوى العلمى الجيد ، فلابد أن تحدد المصطلحات حتى لا نتوه فى متاهة .

تعليق آخر من أحد الحضور ؟ :

استهل هذا التعليق بشكره للقائمين على أمر هذه الندوة كان لابد من الضرورى أن نستمع الى الأستاذ / جلال كشك وغيره من المخالفين للثورة وأنا أشكر الأستاذ جلال لأنه طرح نقط كثيرة وان كنت أختلف معه فى أشياء كثيرة وأرجو أن يتسع صدره وهو يستمع الى وخصوصا أنه كان موضوعيا على تعليقه على بعض أصدقائه عندما نفى اتهامه لأى أحد من الوطنيين المصريين أو المسئولين المصريين بالعمالة فهذه نقطة ايجابية أسجلها له .

ثم تحدث عن أشياء كثيرة جدا فمثلا ذكر أنه ليس هناك ثورة مع انقلاب ، وأنا فى الحقيقة أقول له أنا من خلال خبرة فى الخارج لأكثر من ثلاثين عاما فأنا كنت أقابل فى كل الدول التى خدمت بها أو زرتها مثل ليبيا والكاميرون والجزائر وتركيا وغيرها من الدول الكثيرة التى تحدث عنها الدكتور عبد الرحمن برج وكان لى أن أزور الجزائر وتونس ومكثت فيها عدة أسابيع فى كل منها وأن أعمل فى ليبيا لعدة سنوات وأن أتردد على ليبيا بعد ذلك فبدون شك أن هذه البلاد أو الدول لاتقدر حركة يولية هذه الا كثورة ليست كثورة بالنسبة لمصر فقط بل ثورة بالنسبة لافريقيا والعالم العربى والعالم الثالث بأثره .

فأنا متذكر أننى فى سنة ١٩٦١ ، ١٩٦٢ ، ١٩٦٣ . كنت أقابل مندوب كوبا وكان يعتبر أن عبد الناصر هذا له تأثير على ثورة كوبا التى

مازالت موجودة الى اليوم والممثلة فى كاسترو آخــــر معقل للاشتراكية فى أمريكا اللاتينية اذا عندما نذكر أن ثورة يوليو لها تأثيرها كما تفضل كل من تفضلوا ويجوز أنها كانت انقلاب كما ذكر دكتور / عبد العظيم نفسه وأيضا كانوا يسمونها (تبيسكا) وهى نعنى انقلاب ويمكن أن يقوم به أى جنرال سواء فى العالم العربى أو فى أمريكا اللاتينية وأيضا متل ما حدث فى باكستان من ضياء الحق ، يجوز لها أن تسمى انقلابا ولكن التطورات التى حدثت بعد ذلك على مدى السنين الطويلة والتغيرات الاجتماعية توضح أنها ثورة ٠

والنقطة التى يجوز أنها كانت فى صالح الأستاذ جلال كشك هى أنه بعد هذه الثورة حدث تراجع أو حدثت الثورة المضادة التى أشــــار اليها الدكتور ابراهيم نصر الذى تحدث قبلى وهى أنه فعلا يوجد كثير من التراكمات وكثير من المخالفات التى تنسب الى ثورة يوليو ، وفى الحقيقة أنها لاتنسب الى ثورة يوليو ولكن تنسب الى ما حدث بعد ذلك من ثورة مضادة أو من تراجع ممثلة فى الانفتاح بالذات ، فلابد أن أختلف مع الأستاذ جلال فى ذلك وأسجل رأيى وأحترم رأيه فى نفس الوقت ٠

أما بالنسبة لما قاله الأستاذ / جلال كشك فيما يختص بالسودان فعلاقاتنا بالســـــودان علاقة حيوية وعلاقة أدبية ولكن أود أن أقول أنه كان لى الشرف فى الأربعينات أن أتقابل مع السيد / اسماعيل الازهرى وطبعا كنت طالبا فى تلك الأيام وكان اسماعيل الأزهرى يمثل شىء كبير فى السودان فى ذلك الوقت فقد قدم الى مصر وكان يمثل تيار الوحدة فأنا طبعا لايمكن أن أتعدى وأتحدث على أمور فى السودان والأســـــتاذ الباقر موجود ولكن أنا أود أن أقول أن الانطباع الذى أخذناه وقتها من اسماعيل الأزهرى وغيره قبل الانفصـــــال أنهم كانــوا يريدون تعديل أو كانوا يوافقون على تعديل شعار وحدة وادى النيل الى الجلاء عن وادى النيل تمشيا أو تجنبا للمشاكل التى أشار اليها الأستاذ الباقر كالمشاكل مع السيطرة البريطانية أو مع المحتل البريطانى ، وأنا أؤيد أن يكون لنا هذه العلاقة القوية مع السودان ولكن مع السودان القوى ، السودان الجار على قدم المساواة على قدم المصالح المتبادلة على قدم التكافؤ ٠

نحن نريد هذه النقطة لكن بشكل موضوعى ٠ نحن نريد الوحدة الحقيقية وليست مجرد وليست سياسية شكلية على طريقة ملك مصر والسودان وصاحب دارفور وكردفان هذا كلام قد انتهى أمره ٠

أما النقطة الأخيرة التى سأتحدث فيها مع الأســـــتاذ جلال كشك وأرجوا أن يقبلها وهى أنه يقول أن الثورة نتيجة لمشاريعنا تجــــاه

السودان بدأت تحول المسيرة أو بمعنى أصح تحويل الأنظار أو تحويل التيار أو الاتجاه الى المنطقة العربية والى الوحدة العربية مثل التعاون مع اليمن ومع سوريا ، وأنا أحترم رأى الأستاذ جلال كشك ويطيب لى أن أعلق عليه ٠

أنا أعتقد أن فكرة القومية العربية فكرة لامساس بها لا وجود ولا يجوز أن نتردد أمامها وأن احساسنا مع السودان أو احساسنا مع ليبيا فمثلا دولة مثل ليبيا ودولة مثل السودان واليمن مثل هذه الدول قريبة الى مصر أكثر من غيرها ، هذا لا يمنع أن تكون هذه الدولة قاسية لأن الوحدة العربية والقومية العربية لاتتحقق بين ليلة وأخرى ، فأنا فقط أضرب مثلا بالوحدة الأوروبية كيف أن المرحلة التى أخذتها الوحدة الأوروبية كيف تتحق وهذه الوحدة الأوروبية لم تتحقق على الغاء القوميات الأوروبية مثل الألمانية والفرنسية ٠٠ الخ ٠ لاتحققت على أساس أن هذه القوميات قوية ومتطورة وعلى قدم المساواة ، فنحن نطالب بمثل هذه أى أن تكون الدول العربية قوية ومتحدة ومتكافئة ومتبادلة المصالح ٠

النقطة الأخيرة أننى أحيى الدكتور برج على الرغم من أنه ليس موجودا على المنصة الآن عن ما ذكره عن دور مصر تجاه الجزائر وتونس وليبيا وقد لمست ذلك أنا شخصيا لأننى منذ الستينيات كنت فى الخارجية وكنت رئيسا لقسم الدول العربية المغربية أو الدول العربية الأفريقية بوزارة الخارجية فأنا أؤيد الدور الهام الذى قامت به مصر تجاه استقلال الجزائر وكيف أن وزارة الخارجية الادارة العربية قامت بهذا الجهد الكبير ٠

ولم يرد أحد على ذلك التعقيب ٠

ــ استفسار من السيد محمود عبد الغنى محمود :

كنت سأتحدث عن الوثائق ولكن استوفته المناقشة ولكن الجزء الآخر الخاص بالوثائق هو المؤرخ أى يعنى من يؤرخ لثورة مصر أو ما قبل الثورة والمرحلة ما بعد عبد الناصر والمرحلة الحالية ٠

فى رأيى أن هذا مهم جدا لأنه خضوع أى تاريخ لعاطفة معينة أو لاتجاه معين يقلب كيان الشعب كله ، وهذه فرصة طيبة أن أجد حضراتكم على اعتبار أننى عندما أقرأ جريدة أحترمها لأن بها أساتذة مثل الدكتور عبد العظيم رمضان والأستاذ جلال كشك ولكن بعد نصف المقالة لازم أتركها أو لا أستطيع أن أستمر للنهاية لماذا لأننى أشعر بأن العملية لم تعد أو لم تصبح بموضوعية تامة يعنى يوجد بها الاتجاه الحزبى ٠

أنا لا يسعدنى أن واحدا يمجد فى عبد الناصر ، هذا لا يسعد رجل يرغب فى أن يعرف أخطاء المرحلة ما هى أخطاء هذه المرحلة وأيضا لايسعده الهجوم أو التطاول على قيادات معروف أنه كان لها تاريخ فى الوفد أننى لم أعش هذه الفترة لكن عشت فترة عبد الناصر وفيها أشياء أؤيده فيها تماما وليس فقط أؤيده وانما واضح أنها حقيقة .

ويأتى طرف ليأخذ شيء أو جزء من هذه الحقيقة ويسلط الأضواء على العيوب فقط هذه تؤدى فى النهاية الى تحطيم الشعب نفسه ، يعنى عندما أختار حادثة معينة أو نحن نستعد لمرحلة انتقالية أتمنى أن يكون هناك ناس تشعر فعلا بحرية الصراخ مثل ما نحن نعانى منها والديمقراطية وأعطى مثالا على ذلك فقال أنه مثلا شخص يكتب مشروع السد العالى ويشوهه وفيما بعد يصدر بحث علمى يذكر أن هذا السد قد أنقذنا من مجاعة وهذا الموقف لماذا لانه بنى فى عهد عبد الناصر .

ـ تعليق الدكتور عبد العظيم رمضان : ان كلمة الحياد التاريخى خطأ بائن لأن كلمة الحياد التاريخى هذا نوع من أنواع ليس هناك مؤرخ محايد . المؤرخ لابد أن يكون له موقف وانما لابد أن يكون موضوعيا وعلميا ، بمعنى نفرض أن مؤرخ شيوعى أو مؤرخ من الاخوان المسلمين لانستطيع أن تجرده من انتماؤه ولكن لابد أن يكون صادقا ولابد أن يكون أمينا وهو يعرض وجهة نظره بمعنى ، أن أنا كرجل يسارى معروف حين كشفت الستار عن الحركة اليسارية فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو كل الذى كتبته فيها أننى ذكرت أو صبغتها به أننى ذكرت التيارات اليسارية فى الحركة الوطنية ولم أقل الحركة الاشتراكية أو الشيوعية لكن أثبت أن الحركة الوطنية بها تيارات . فيها تيارات يسارية وأنا أعرف أن المؤرخين السابقين كانوا يضعوا هذه الحركة اليسارية فى حركات الاجرام وأنها تسبب الجرائم التى تحاول أن تهدد بها نظام الحكم وغيره من الاتهامات التى كانت توجه الى هذه الحركة وعلى الرغم من أننى وصفتها بأنها تيار الا أننى أدنتها فى نهاية الأمر ، لماذا ! لأنها كان لابد من أن تدان فمعنى ذلك أنه ليس لأننى يسارى على أن أحول مسار التاريخ لخدمة الحركة اليسارية وانما معناها أن أنا أدرسها دراسة موضوعية وأنا متعاطف معها أيضا .

مثال آخر . حرب يونية ١٩٦٧ مهما كنت متعاطف وأحبه ومن عشاقه وانما كيف أدافع عن حرب يونية فلابد أن أقول الحقيقة فمثلا أنت تقرأ اعلام لويس السادس عشر لمؤرخ ملكى النزعة تجده حزين وانما يكتب لك الحقائق أما مؤرخ جمهورى النزعة يكتبها بلهجة بها انتصار

كما أنت سيادتك ترى الحجاب وأنـا أراه أنت نـراه علامة من علامات التدين وأنا أراه علامة من علامات التخلف فالأول عندما كان هناك صوت واحد فقط كانت هذه هى المشكلة أى أنك تؤيد هذا أم تعارض هذا ولكن لاتملك أن تذكر غير ذلك ولكن فى هذه الأيـام أنت نستطيع أن نقول ما تريد فمثلا فى هذه القاعة سمعنا الرأى والرأى الآخر وكل واحد مطمئن ولكن كان هناك وقت وأنا فى المحاضرة لو ذكرت نكتة فيهـا لا أدرى ما اذا كنت سأعود الى منزلى أم لا الأساس كله هو الديمقراطية •

ـ تعليق من الأسـتاذ / أحمـد عبد السـلام (موظف) :

أنا لست متخصصا ولكن أعرف أن التاريخ سيان متصل اذا سقطت حلقة فيه يسقط التاريخ كله فلا نستطيع أن نفصل الحلقة الخاصـة بتاريخ عبد الناصر أو الخاصة بحكمه عن الحلقة التى تليها أو الحلقـة السابقة لها ، التراكمات لم تأت من عصر معين وانمـا السـيد حسنى مبارك وهذه أكبر تحية له أن مواطن عادى يمكن أن ينتقد نظامه من على هذه المنصة ، وكما ذكرت أن التراكمات التى تحدثت عنها لم تورث من عهد عبد الناصر والسادات فقط لكن لأن ممكن سياق هذه التراكمات يمتد الى المماليك وألا ستكون فيها مغالطة تاريخية ، أى أننى أرغب فى أن أقول للأستاذ جلال كشك لايمكن لنا أن نحمل الأخطاء التى حدثت خلال هذه الفترة لفرد واحد والا سنكون شعب من النعاج فرد واحد يصنع بنا كل ذلك وكذلك الاسهاب العاطفى الذى يحدث هنا فى حالات التأريخ أو الكتابة سواء بالسالب أو بالموجب •

اذا أحببت شخص فهو ملاك واذا كرهنه فهو شيطان رجيم ثم وجه كلامه الى الدكتور عبد العظيم رمضان فقال انك قد ذكرت أشياء جميلة جدا وهى أنه لايمكن لى أن أجرد شخص من اتجاهاته أو ميـوله ولكن ألزمه فقط بالصراحة والموضوعية والدقة والأمانة ، ثم استدل على ذلك بقول • الرسول صلى الله عليه وسلم « لعن الله قوما ضاع الحق بينهم » صدق رسول الله •

ثم وجه حديثه الى الأخ السـودانى البـاقر بقوله أن المصريين لايعرفون شيئا عن السودانيين وان كل ما نعرفه عن السودان ذلك النوبى الذى يظهر فى الأفلام السينمائية وهو يقدم المشروبات وغيرها فأرد عليه قائلا لا • نحن نعرف الكثير عن السودان فأنا مثلا أعرف ثورة المهـدى وأعـرف حـركة الأخ الضـابط على عبد اللطيف وأعـرف كثيرا عن السودانين وتضحياتهم ••• الخ •

أما مسألة الاعلام الموجهة فكلنا فى الهم سواء الاعلام موجه عندنا وهذه حقيقة لا نخجل من ذكرها ٠

ـ تعقيب للدكتور **عبد العظيم رمضان :**

ان الاعلام حاليا ليس موجها فأنا ككاتب سياسى أكتب فى جريدتين أنا أكتب فى جريدة الوفد وهذه جريدة معارضة وأكتب فى مجلة أكتوبر وهذه مجلة قومية لايوجد من يوجه لى أى توجيـــه ولا يوجد من يعترض على مقالى بالحذف أو الاضافة وهذه حقيقة أنا أذكرها لك بكل أمانة ، واذا كان فيه فان هناك ناس ملكيين أكثر من الملك هذا ليس له علاقة بالنظام ، النظام ليس عنده توجيهـــات بشىء معين وهذه مشكلته يعنى لو كان كل النظم التى بها أيدلوجية معينة توجه ولكن نظامنا الآن مفتوح بمعنى أن ليبرالى بشكله الخاص أو بمعنى أن فيه قطاع عام يسيطر على معظم وسائل الانتاج ولكن من ناحية أخرى فليس فيه توجيه وانما ان كنت أنت تقـرأ لبعض الكتـــاب كلام يسرفوا فيـه فى التأييد أو النفاق ـ ان وجد ـ فهذا عيبهم أو خطأهم ولكن لم تأت لهم تعليمات بهذا لا من رئيس حكومه ولا رئيس دولة ولا من أى جهة على الاطلاق ٠

ـ فرد المعلق الأستاذ / أحمد عبد السلام بقوله يجوز أننى قد أخطأت فى التعبير وانما أقصد أن هذه سياسة عامة وأنا لا أقصد المنع من الكتابة أو غيره أنا أرغب فى الاشـــارة الى أن هناك سياسات عامة أو السماح بها وانما أنا سأعطى مثالا على ذلك بأنه منذ فترة كنـا نجد هجوما كاريكاتيريا فى الأخبـــار كل يوم وحاليـا ـ وقت المناقشـــة مارس ١٩٩٠ ـ ابراهيم نافع نشر صورة فى الصفحة الأولى كلها للقذافى وصفحتين تكميليتين يتحدث فيهما عنه ٠٠٠ الخ ٠

فرد الدكتور عبد العظيم رمضان ان هذه لعبة السياسة ٠

المتحدث : اذن هناك توجيهات سياســية ، ثم تدخل للمرة الثانية د / عبد العظيم رمضان وأعطى له مثالا قائلا : يعنى نفترض أننى قد قابلتك مع ابنك الصغير فهل أنا محتاج الى أنك تقول لى تحدث مع هذا الطفل وداعبه أم أننى أداعبه من تلقاء نفسى لأننى أعلم أن هذه المداعبة ستلقى منك تأييدا وستسعدك ٠

وهو عندما قتل المشير عبد الحكيم عامر هل عبد الناصر أعطى أوامر بذلك ! لا طبعا ولكن الذى قتله كان يعلم أن ذلك سيلقى تأييدا وعلى الأقل يريح النظام من عبء على اعتبار أن ذلك النظام كان يرغب فى أن يعيد

بناء الجيش الوطنى والمشير عامر معوق لهذه العملية ويمكن أنا فى أثنائها عبرت عن ذلك بقولى اعدام المشير عامر .

ثم وجه المتحدث كلامه مرة أخرى الى د / عبد العظيم رمضان قائلا : انك ذكرت أننا فى ندوة تاريخية وليست سياسية فاسمح لى أن أقول لسـيادتك .

أنا أعرف أن التاريخ أبو السياسة .

فرد د / عبد العظيم رمضان عليه قائلا :

ان التاريخ يعلم السياسة وليس هناك سياسى لا يعرف التاريخ واذا لم يعرف التاريخ فانه لايعرف السياسة .

ـ تعليق أخير من القاعة :

وهو عندما قرأت البحوث لم أجـد فيهـا بحثـا عن الحريات لعبد الناصر ؟ لماذا ؟

رد الدكتور عبد العظيم رمضان : لأن هذه الندوة عن ثورة يوليو والعالم العربى .

استفسار آخر من نفس المعلق : هناك نقطة أخرى وهى أنك قد عقبت على الأستاذ جلال كشك فى التفسير العلمى للثورات بقولك انه تغيير فى البناء التحتى . وأنا أعتقد أن التفسير العملى للثورات هى أنها هى التى يقوم بها الشعب وليس العسكر .

رد د / عبد العظيم بقوله :

ان الثورة علم فليس كل مظاهرة فى الشارع تعد ثـورة والثورة ليست فى احتياج لمظاهرة ، الطبقة البرجوازية صنعت ثورة لأنها نقلت وسائل الانتاج من أيدى الأجـانب الى أيد المصريين والدليل على ذلك شـارع فؤاد كان فيه ثورة حيث أن كل اللافتات للمحلات فيه كانت بأسماء أجانب كون أن هذا الشارع تصبح لافتات المحلات فيه مصرية هذه ثورة ، فليس من الضرورى أن يكون فى الثورة عنف ... الخ .

نقطة أخرى للمعلق وهى أن سيادتك ـ الكلام للدكتور عبد العظيم رمضان ـ أعطيت مثل على الثورة والاصلاح الزراعى من أثنـاء نقدك

للثورة والأستاذ جلال كشك حيث قلت أن الاصلاح الزراعى لم يقض على الاقطاع ولكنه أدى الى تفتيت الثروة الزراعية المصرية وأعقبه بعد ذلك قرارات التأميم ٠

نقطة أخرى هى أن سيادتك وصفت عبد الناصر فى أحد كتاباتك بأنه زعيم فما هى الزعامة بالنسبة للدكتور ؟

رد الدكتور عبد العظيم على ذلك بقوله :

ان عبد الناصر هو أنقى وأطهر ما فى ثورة يوليو وأنا أكثر واحد يهاجم عبد الناصر ولكن أنا أحبه أنا عاطفيا مع عبد الناصر انما عمليـــا مع السادات ٠

فرد المتحدث على الدكتور عبد العظيم قائلا ٠ أرغب فى أن تقول لى ما هو الزعيم تحديدا !

أنا أعتقد أن الزعيم هو الذى يوجد فى وسط زعامات ويستطيع أن يبرز ويظهر فى وسط هذه الزعامات ٠ ولكن الزعامات كلهـــا وقت عبد الناصر كانت فى السجون ٠

وقد علق الدكتور عبد العظيم رمضان على ذلك بقوله أننا يجب أن نكون موضوعيين ويجب أن تعـــرف أنك تتحدث مع مؤرخ بمعنى أن المؤرخ لابد أن يكون فى يده وثيقـة لكى يستطيع أن يثبت أو يدين ، ولذلك ستجد أن المؤرخ أكثر الناس المترددين فى الدنيـــا أى أنه يظل يفكر هل هذا صح أم خطأ الى أن تثبت أمامه الحقيقة بمعنى أنك ستجد شائعات كثيرة هنا وهناك فالمؤرخ لا يسأل فى هذا ولا ذاك ، فاذا وجدت عنده الوثائق ما يثبت ذلك فأقره ٠

فالمؤرخ مثل القاضى فالقاضى اذا لم يصـــل الى معـرفة القاتل سيحكم على ماذا ، سيحكم بالاعدام على من ، المؤرخ له عقلية معينة لابد أن تتحرى حتى تصل الى الحقيقة انما السياسى هو حر لأنه يخدم نظـــام ولا يخـــدم الحقيقة التاريخيـــة ، فمثلا أنا لست متورط فى الحديث التاريخى لايهمنى أن يكون هذا برىء أو غيره فأنا عندما درست أحمـــد حسين وأنا كنت أحب أحمد حسين وكنت من عشـــاقه وبعد دراســـته اتضح لى أنه كان فاشى النزعة وانه كان من خدام القصر فى بدايته وانه كان مع حزب الأحرار الدستوريين فبدأت مشاعرى تتغير ٠

فأنا مرة كنت فى تونس والاذاعة التونسية أجرت معى حديث فقالوا لى نحن نخشى من انجاهاتك الفكرية أن تؤثر على الحقيقة التاريخية فقلت لهم نعم • ولكن أنا أخشى من أن الحقيقة التاريخية هى التى تؤثر على ميولى الفكرية •

أنا كنت مرة فى كلية الاعلام ذكرت ان أنا ناصرى وعندما درست حرب يونيـــه ١٩٦٧ وكتبت تحطيم الآلهـــة أنا كتبت تحطيم الآلهـة وأنا متعاطف وأعتز بنفسى ان أنا ناصرى وانما التاريخ فى نهاية الأمر جعلنى أنتقد نظام عبد الناصر •

تعقيب عـــــام

د. مصطفى الفقى

« بسم الله الرحمن الرحيم » أرجو أن يسمح لى بتعليق موجز على هذين البحثين المســـهبين فى موضوع واحد وهو الموضـــوع المتصـــل بثورة يوليو والعالم العربى معا ٠

وأود بداية أن أقرر وأنا ممن ينتمون مثل الغالبية العظمى من أبناء الشعب المصرى لثورة يوليو التى نكاد نحتفل بالعيد الأربعين لقيامهـــا ، أقول وأنا أنتمى لهذا الجيل أود أن أســـجل بعض الملاحظات تعليقا على ما سمعت ٠

الملاحظة الأولى : لمن يعتقـــد وأنا فى ذلك : أختلف عمن سبقونى أو عن الأغلب الأعم من المؤرخين والكتاب حول هذه الفترة ، ان ثورة ٢٣ يوليو هى حدث قومى بالدرجة الأولى له تأثيراته الضخمة فى المنطقة العربية ولأننى أزعم ان الخريطة السياسية للعالم العربى لم تتأثر منذ سقوط الدولة العثمانية بحدث مثل ما تأثرت بقيام ثورة ٢٣ يوليو من حيث انها ثورة لم تكن محلية بالمعنى الوطنى المحدود ولكنها كانت ثورة قومية ذات تأثير وتأثر على المستوى الاقليمى وربما على المستوى الدولى أيضا فى القارتين الآسيوية والافريقية ، وهى ثورة من حيث نظـــاما أحدثت تغييرا هيكليا فى النظام السياسى وأسقطت ملكا وأقامت نظـاما جمهوريا لأنه مما أفزعنى اننا ونحن نقترب من العام الأربعين لقيام هذه الثورة لازال منا من يشكك فى ثوريتها ويشير اليها بأنها انقلاب عسكرى عارض وليس فى ذلك تجنيا على هذه الثورة الوطنية فحســـب ولكنـــه مغالطة علمية مقصودة لا تخفى على ذى عينين ، الأمر الذى أريد أن أؤكد عليه انها ثورة من منطلقين أساسيين لا يمكن اغفالهما ، الأول انها اكتسبت مضمونها القومى بشكل محدد بعد سنة ١٩٥٦ فبعد تكالب القوى الأجنبية على مصر وتأميم قنـــاة السويس وحرب السويس فى سنة ١٩٥٦ تقـــدم

عبد الناصر للعالم العربى قائدا لثورة قومية أصبح لها تأثيرها فى أرجاء الوطن العربى كله · من هنا بدأت تتضح ملامح البعد القومى أو المضمون القومى لهذه الثورة ، اكتسبت هذه الثورة أيضا فيما بعد مضمونها الاجتماعى وربما اكتسبته بشكل غير مباشر بحركات التمصير بعد سنة ١٩٥٦ واكتسبته بشكل محدد ومتعمد بعد القوانين الاشتراكية سنة ١٩٦١ ولسنا هنا بصدد التقييم نحن مع من أو ضد من ، ولكن لانها ثورة بدأت تتدخل فى الخريطة الاجتماعية للمجتمع وفى توزيع الثروات ولأن البعض يذهب الى أبعد من ذلك ويعتبر ان قانون الاصلاح الزراعى فى حد ذاته هو بعد اجتماعى لثورة ٢٣ يوليو وان كنت ممن يعتقدون انه كان عملا سياسيا بالدرجة الاولى أى قانون الاصلاح الزراعى ، فهو يدخل ضمن نطاق تغير طبيعة القوى فى المجتمع ·

أما قوانين سنة ١٩٦١ فقد كانت عملا متعمدا يهدف بشكل محدد الى اعادة توزيع خريطة الثروة بمضمون اجتماعى واضح يهدف الى ملامح معينة يسعى اليها من قام بهذا العمل ·

الأمر الثانى ولو اننى أنتمى الى جيل ٢٣ يوليو كما تنتمون الا أننا ولأسباب علمية لانتحمس كثيرا للقول بأن الأمور تبـدأ بحدث معين وتؤرخ به ، قد تجوز التحديدات الدقيقة فى العلوم التطبيقية ولكنها فى العلوم الاجتماعية تختلف فلست أتصور أن سياسة مصر العربية أو توجهاتها القومية بدأت بين يوم وليلة بقيام ثورة ٢٣ يوليو الأمر أبعد من ذلك وأقوى ولكن قد نستطيع أن نقول ان ثورة ٢٣ يوليو ليست حدثا قوميا منشئا ولكنها حدث معزز أى أنه يعزز البعد القومى لمصر ، انما أستطيع أن أقولها بصورة أوضح وهى ان مفهوم العروبة قبل ٢٣ يوليو أو البعد العربى لمصر كان مختلطا بأبعاد أخرى قبل سنة ١٩٥٢ وانما يرجع الفضل لثورة ٢٣ يوليو والتى كانت تدرك أكثر من غيرها التصاعد المنتظر لخطر قيام اسرائيل فى المنطقة وضباطها قد عادوا منذ فترة وجيزة حين قامت الثورة من أتون هذه الحرب ، وشهدوا فيها ما شهدوا وأدركوا أن التغيير يجب أن يبدأ من الداخل فليبدأ من عاصمة أكبر دولة عربيـة ·

أقول ان هذا الدرس الذى وعاه ثوار يوليو قد أعطى البعد القومى لمصر مفهومه السياسى الواضح ، فلقد اختلط على امتداد العقود السابقة على ذلك بالفكرة الاسلامية وكانت النظرة للدول العربية لاتبرأ من التعاطف الاسلامى بالدرجة الأولى وحتى أولئك الذين نسميهم بآباء الحركة العربية فى مصر فى هذا القـرن من أمثـال عزيز المصري وعبد الرحمن عزام

وصالح حرب هم نتاج العسكرية العثمانية فى آخر جيوش الدولة فكان مضمون الفكرة العربية لديهم مختلطا أساسا بمضمون الانضواء تحت لواء أو مظلة الخلافة العثمانية ككل ، ولم يكن البعد العربى حتى من قاتل منهم فى طرابلس ومن حارب مع السنوسيين وحارب فى أجزاء أخرى من العالم العربى انما كان الدافع فى معظمه دافع دينى ، ولست أقول ذلك من فراغ ، حتى الحركات الوطنية فى العالم العربى ذات البعد القومى كانت حركات دينية فى أغلبها ، الحركة الوهابية فى السعودية والسنوسية فى ليبيـــا أو المهدية فى السودان حتى قبل ذلك كلها حركات تحررية ولكنها ذات مضمون اسلامى بعد ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ استطاع ثوار مصر ان ينطلقوا من مرحلة البعد الدينى أو البعد الاسلامى لمفهوم عـروبة الى بعد أكثر وأوسع وأرحب وهو البعد العربى البحت ولعل هذا يفسر ذلك التركيز الذى اعتمده عبد الناصر ورفاقه للمفهوم الثقافى والسياسى لفكرة الوحدة العربية دون اغفال العامل الدينى ولكن دون التركيز عليه أيضا بل انى لا أغالى اذا قلت أن اندفاع شباب الاخوان المسلمين للمشاركة فى حرب فلسطين لم يكن بدافع عربى بقدر ما كان بدافع اسلامى فلقد كانت رؤية الاسلاميين دائما الانتماء العربى لمصر مقترنة بأنها جزء من تجمع اسلامى كبير ، أما بعد ٢٣ يوليو فقد اختلف الأمر وأصبحت النظرة قومية مجردة تبعد بشكل ملحوظ عن باقى العوامل وان لم نغفلها ، هذه ملاحظة ثانية أردت أن أشير اليها ٠

الملاحظة الثالثة وهى تعليق على حديث الأستاذ / أحمد حمروش وهو من نقدره ونعتز به لأسباب كثيرة أولها أنه أضاف الى الرداء العسكرى من فكره ما جعل له مكانا متميزا على امتداد أربعين عاما على الأقل فى حقل العمل السياسى بانتماء واضح وبفكر وطنى مستنير ، ولكننى أود ان يتسع صدره لبعض التعليق فأنا أعتقد ان اختيار نموذج اســماعيل صدقى وهو رجل اقتصـــاد بالدرجة الأولى عمل فى مجالس ادارات عدد كبير من الشركات ، وعلى الرغم من أنه كان رجـــل دولة مقتدر كما تدل كل شواهد وسابقات المناصب التى تبوأها الا أنه كان بحـــكم تكوينـــه ينتمى الى مدرسة مصرية ترتبط بشكل واضـــح بالأقليات التى كانت تسيطر على هذه الشركات فى ذلك الوقت ، فقد عمل مع الأقلية اليهودية بشكل محدد فى كثير من الشركات وكان له رأيه من منطلق وطنى انه ليس من صالح مصر أن تنخرط فى صراع لايبدو فى الأفق القريب حلا له كما أنه لا يبدو أنها طرف أصيل فيه وعلى ذلك فاختيار نموذج اســـماعيل صدقى هو اختيار تحكمى لا يعبر عن تيار ما قبل ١٩٥٢ تجاه عروبـة مصر أو بعدها القومى ، أيضا يصعب الحكم على محمـــد محمـــود فى

العشرينات أو حتى فى الثلاثينيات فلم يكن الخطـر الصهيونى قد بدأ يتبلور ويعطى ارهاصـــات واحتمالات تكوين الدولة انمـــا الثـــورات الفلسطينية بدأت واشتدت بشكل ملحوظ فى الثلاثينيـــات وعلى ذلك فلم يكن النظرة هى بهذا الشكل بـل اننى أزعـــم أن المثقفين المصريين العائدين من أوروبا فى ذلك الوقت وهم أصحاب انتماءات بحر أوسطية (متوسطية) وذوى ثقـــافات تؤمن بالتغريب أكثر مما تؤمن بالتعريب كانت نظرتهم الى الخطر الصهيونى فى اسرائيل أو فى فلسطين فى ذلك الوقت نظرة فيها كثير من التحفظ على اعتبـــار أن ذلك (تابوا) يعنى مجموعة المخاوف الدينية والسياسية والتاريخية من وجود اسرائيـــل لم تكن قد تبلورت بهذا الشكل بل ان كاتبا مرموقا ومفكر مصرى عظيم لايختلف عليه الناس مثل طه حسين كان موقفه يبدو لبراليا بدرجـة كبيرة من الثقافة العبرية ومن الوجـود اليهودى فى فلســطين وله من المقالات حين ترأس مجـــلة الكاتب المصرى ما يشـــير من قريب الى أنه لا يشعر بتلك الدرجة من العداء الحاد لذلك الخطر المقبــل على المنطقة فلا يلام هؤلاء أو أولئك بل علينا أن نضع أنفسنا فى مكانهـــم فى ذلك الوقت فلم يكن حجم الخطر واضحا كما هو بعد ٢٣ يوليو أو بعد الحرب الأولى فى ١٩٤٨ وأيضا كانت النزعة المصرية لدى عدد من هؤلاء تبـــدو قوية ومؤثرة فلقد كانت النظرة الى العروبة رغم الاحســـاس بنـــوع من الانتماء الثقافى انمـــا كان فيـــه نوع من الاحســـاس « بالبرايوريتى » أو الاستعلاء أو التفوق المصرى اذا جاز هذا التعبير فى وقت لم يكن فيه النفط قد صنف الدول العربية الى من هم أغنى من مصر ولم تكن كثير من التصورات والتطورات قد جددت على المنطقة وكانت مصر لاتزال هى بلد الجامعات وبلد التعليم وليس هناك طريق للجامعات ولا للتعليم بدونها فكان هذا الاحساس أمرا واجبا ومقبولا ، تغيرت الأمور بعد ذلك انمـــا دعنا نأخذ مثالا لذلك ، حزب الأغلبية اذا أردنا أن نقيم نظـــرة الساسة المصريين قبل ٢٣ يوليـــو للبعد القومى لمصر فلنعتمد حزب الأغلبية فى هذا ، حزب الأغلبيـــة كان فى معظمه هو نتاج لحـــركة شـــعبية فى سنة ١٩١٩ حركة استقلال وطنى حركة لها طابع ليبرالى علمانى يعتمد على الوحدة الوطنية لايهمه كثيرا تلك الوشائج التى تربط مصر بغيرها فى ذلك الوقت بل حتى مشاركة الوفد فى الأعمال التحضيرية للجامعة العربية .. الخ كانت فى سياق العمل الســـياسى بين مصر وبين الدول المجاورة يعنى حين يستقبل النحاس باشا وفد من تونس يعنى قد تختلف الأمور قليلا عن اســـتقباله لوفد من اندونيسيا ولكن البعد الاســـلامى لا يزال طبعا ، غذي من هذا التصور سقوط الخلافة العثمانية وترشيح

مصر من جانب كثير من القوى فى العالم الاسلامى لوراثة هذه الخلافة فكان ملك مصر فؤاد وفاروق يطمعان كلا فى وقتـه الى أن يكون وريثـا طبيعيا لقيادة العالم الاسلامى هذا كان على حساب الفكرة العربيـة فى مصر ٠

ـ طبعا كلنا نذكر حادث انشاص لما الملك فاروق أم بالرؤساء العرب والملوك ، كل هذا كان احساس بأنه قيادة مصر للعالم الاسلامى سوف ينضوى فيها بشكل مباشر الوجود العربى فلا داعى للتركيز على الوجود العربى منفصلا ٠ أما بعد ١٩٤٨ فقد اختلف الأمر تمـاما وبدأ هناك احساس بأن خطر يتهدد العرب قبل أن يتهدد المسلمين وأن هذا الخطر يمس مصر وحدودها الشرقيـة بشكل مباشر ، من هنا بدأت المخاوف وبدأت القطيعة وبدأ الحذر وبدأ ذلك التراكم القوى من الكراهية والابتعـاد بين اليهـود فى فلسطين وبين العرب ككل ومصر وثـورة ٢٣ يوليو بشكل خاص ولذلك فحين يعتب علينا العرب كثيرا فى أننا قد سبقناهم الى التسوية السلمية مع اسرائيـل فهم يشيرون الى هذه النقطـة بالذات أنتم من أنتم ، أنتم الذين علمتمونا قبل غيركم مخاطر الوجود الصهيونى فى اسرائيل وذلك الخطر المنتظر من دولة اسرائيل ، الاعلام المصرى هو الذى غرس هذه المشاعر فى قلوب الأجيال على امتداد الخمسينات والستينات اذا فكيف نستطيع بين يوم وليلة أن نتغير ١٨٠° ، قد يتغيرون فيما بعد ولكن هذا السبق هو دور مصر دائما سواء كان هذا السبق سلبى أو ايجابى انما اذا انتقلنا الى ٢٣ يوليو ودورها العربى فلتسمحوا لى أن أركز على بعض النقاط الفرعية ، أول هذه النقاط هو ما أشار اليه الأستاذ حمروش بوضوح فى حرب فلسطين وعلاقة الضباط الأحرار بالتيارات العربية الأخرى فى الأربعينات واسهامهم فى حرب فلسطين ، أريد أن أضيف الى هذا بعدا آخر شعرت به من محاضرة الأستاذ الدكتور يونان لبيب رزق وهو أن ما حدث للعلاقات المصرية السودانية أيضا فى بداية الخمسينيات كان دافعا الى توجه أعم وأشمل فى المنطقة بالحديث عن مفهوم شامل للقومية العربية لقد خسرنا السودان لا أريد أن أقول خسرناها على اعتبار أن الاستقلال حقه انما ذلك الحديث عن وحدة وادى النيل ضاع بين أيدى الثوار فى بدايات الثورة وربما كان لعوامل داخلية تأثير فى ذلك ربما كان للصراع على السلطة تأثير فى ذلك فى هذا قول كثير انما أيضا كان الشعور القومى السـودانى كان يتزايد فكان لابد من ابدال هذا التوجه لوحدة وادى النيل بتوجه أشمل وأكبر وهو التحدث عن القومية العربية والاتجاه اليهـا ، ليس الأمر كذلك

فحسب ان هناك بعدا ثالثا يضاف الى ذلك وهو تلك المواجهة الساخنة بين عبد الناصر ، المواجهة الأولى وجماعات الاخوان المسلمين فى ١٩٥٤ قد أشعرته أنه أو أن الحكم فى مصر لا يحتمله هو وهم ولابد من أن يكون هناك تخلصا كاملا منهم وان هناك دينا سابقا لهم عليه فى مرحلة التكوين أو هكذا ظنوا وتصوروا أنهم يمكن أن يكونوا شركاء فى الحكم بعد ١٩٥٢ فكان بتخلصه منهم بالشكل العنيف الذى حدث فى ١٩٥٤ ثم أيضـــا ١٩٦٥ مبررا له لأن يكون توجهه القومى أكبر وأقوى تخلصا من توجه دينى أو اسلامى قد يحسب عليه فى ظل الظروف الداخلية ، اذا لايجب أن نبعد توجه مصر العربى فى بداية الخمسينيات لكى يكون مجردا من أحداث كانت قائمة أولها حرب فلسطين وثانيهـــا ما حـدث بالنسبة للسودان وثالثها ذلك الصراع العنيف مع الاخوان المسلمين فى مصر . وهكذا نجد أن البعد العربى لمصر لم يكن أبدا وليد ثورة ٢٣ يوليو ولكن يرجع الى تلك الثورة الفضل فى تعزيزه وابرازه بذلك الشكل السياسى الذى قام عليه بل ان تجربة الوحدة بين مصر وسوريا كانت رمزا واضحا لامكانية التوجه نحو الوحدة أو تطبيق قومى تقبله الجماهير ، وتساءل الناس يومها كيف نترك السودان أو يتركنا السودان لنتجه الى دولة ليس بيننا وبينها حدود جغرافيـــة على الأقل ولكن كان التصـــور القومى لعبد الناصر أوسع وأشمل وكانت مرحلة تكوين الضباط الأحرار لاتزال قابعة فى خلفية الضباط فى نهايات الخمسينيات وكان درس الحرب الفلسطينية الأولى لايزال ماثلا أمام وجدانهم فكان ذلك طبيعيا .

ـ ملاحظة أخرى لايجب أن أترك المكان دون أن أشير اليها وهى أن عبد الناصر وفى سياق كثير من التوجهات التى يمكن أن تحسب أو تؤدى فى النهاية الى وصفه بالعلمانية فى تشبيه ولو غير متطابق مع كمـــال أتاتورك فى مرحلة معينة فهل عبد الناصر ألغى المحاكم الشرعية أو أبطل عملها ؟ عبد الناصر قام بتعديل قانون الأزهر ليصبح جامعـــة حديثة عبد الناصر دخل فى مواجهات ساخنة مع التيار الاسلامى فى مصر مرتين فى ١٩٥٤ ، ١٩٦٥ ، عبد الناصر تحرك فى سياسته الخارجية من منطلق علمانى بحت لا يعتمد الدين مبررا للتوجه السياسى أيد مكاريوس وقبرص اليونانية ضد تركيا ، أيد وجهة نظر الهند فى كشمير ضد باكستان ، لم يعتمد سياسة الأحلاف الاسلامية فى المنطقة ، كل هذا التصور يمكن أن يكتمل بالوجه الآخر للعملة وهو التوجه العربى لكى يملأ ذلك الفراغ ولست أقلل من حجم التوجه العربى لثورة ٢٣ يوليو أو أن أحيلها الى مجرد ردود فعل الى مواقف داخلية ولكن لابد أن نرد الفضل لأهله وأن نقول فى صراحة على الرغم من أن التاريخ لا يبدأ أو لا يؤرخ له بحدث ما

بذاته منفصل لأن نظرية السبب الواحد لاتنهض فى العلوم الاجتماعية لأننا لانستطيع أن نقول أن التوجه القومى لمصر بدأ ب ٢٣ يوليو ولكن نستطيع أن نقول وبكثير من الاطمئنان أن ثورة ٢٣ يوليو هى المسؤلة تاريخيا عن تقديم الفكرة العربية للمواطن العربي بشكلهـا السياسى لا فى مصر وحدها ولكن على امتداد خريطة العالم العربى كله ، وبذلك فان ثورة ٢٣ يوليو وان لم تكن منشئة للبعد القومى المصرى الا أنها كانت معززة له ودافعة لدعمه ومبرزة للخطر الصهيونى على الجانب الآخر الذى دفع العـرب فى ذلك الوقت الى الالتفاف حـول عبد الناصر بما له من « كاريزما » تاريخية والى مصر بما كان لها من دور تحررى ومد هائل وكاسح فى الخمسينيات والستينيات من هذا القرن ·

هذه بايجاز بعض ملاحظاتى على التوجهات العربيـة لمصر والبعد القومى فى مصر وشكرا ·



ثم عقب الأستاذ الدكتور عبد العظيم رمضان :

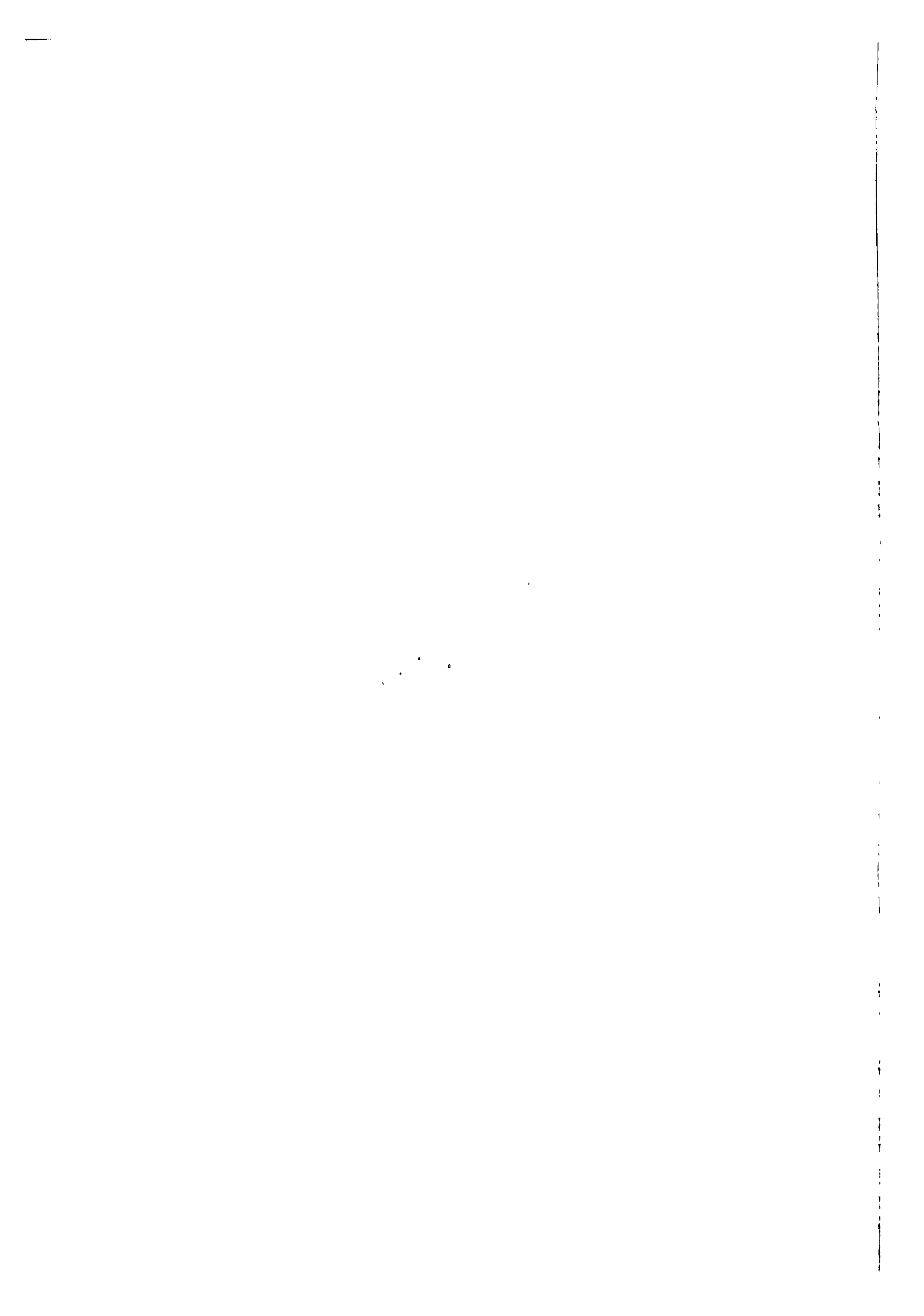
بعد هذه المحاضرة القيمة التى قدمها لنا الدكتـور مصطفى الفقى والتى ضمنها ملاحظته على الأبحاث التى قدمت فى هذه النـدوة بنظرة شمولية يتميز بها الدكتور مصطفى الفقى الذى يجمع فيها بين العقلية التاريخية والعقلية السياسية ونحن نعرف فى علم التاريخ وفى العلوم السياسية The Political Sciences ان العلوم السياسية بتستفيد من التاريخ فالدكتور مصطفى الفقى يجمع بين العقليتين بالاضافة الى أنه مفكر سياسى هام ، طبعا هو يمكن كانت ملاحظتى فى الأول هى ملاحظة فى منتهى الأهمية بالنسبة لحكاية الاصلاح الزراعى وأعتقد أنها جديدة فى تقييمه قال أن هذا بعد ، وقدم بعدا سياسيا أكثر من البعد الاجتماعى وأعتقد أنه كان محقا فى ذلك تماما لأن على الرغم من أن الاصلاح الزراعى كان مطلب الجماهير وكان مطلب الرأسمالية المصرية نفسها انمـا حين طبقه عبد الناصر كان يقصد بالذات ليس انصاف الفلاحين بقـدر ضرب الطبقة الاقطاعية أو شبه الاقطاعية التى كانت موجودة فى ذلك الوقت ما كان الأمر الذى كان يهمه اسقاط هذه الطبقة عن طريق اسقاط قوتها الاقتصادية وتعتبر هذه النقطة جديدة أنا لا أريد بطبيعة الحال أن أحتكر الحوار أو التعليق وانما أفتح باب المناقشة سواء بالنسـبة لمناقشـة محاضره أ · حمروش ، أ · جمال حماد أو أ · د · مصطفى الفقى ·



الفهـرس

صفحة





مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٣/٩٦١٤

ISBN — 977 — 01 — 3553 — 4



العالم العربى هو باب مصر إلى الحلبة العالمية، وبدون العالم العربى تبقى مصر محصورة داخل ظروفها المحلية. ومن هنا فعلى كل المصريين الذين يريدون أن تنكفىء مصر على شئونها الخاصة، وأن تنصرف عن الشئون العربية، أن يعلموا أن الشئون العربية هى فى المقام الأول شئون مصرية.

وهذه الحقيقة لم تخترعها ثورة يوليو، وإنما اخترعها الشعب المصرى، ودفعته إليها مصالحه المصرية الصميمة، فهى حقيقة تتعلق بالأمن القومى لهذا البلد الذى لا يمكن أن يتسامح فيه أى عهد من العهود وأى عصر من العصور إلا إذا كان رغم أنفه.

وهذا الكتاب الذى بين يدى القارىء يتضمن أبحاث ومناقشات الندوة التى عقدها مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر حول ثورة يوليو والعالم العربى فى المدة من ٣ ـ ٥ مارس ١٩٩٠.

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

٦٥٠ قرشا

تصميم الغلاف أحمد عبدالغفار